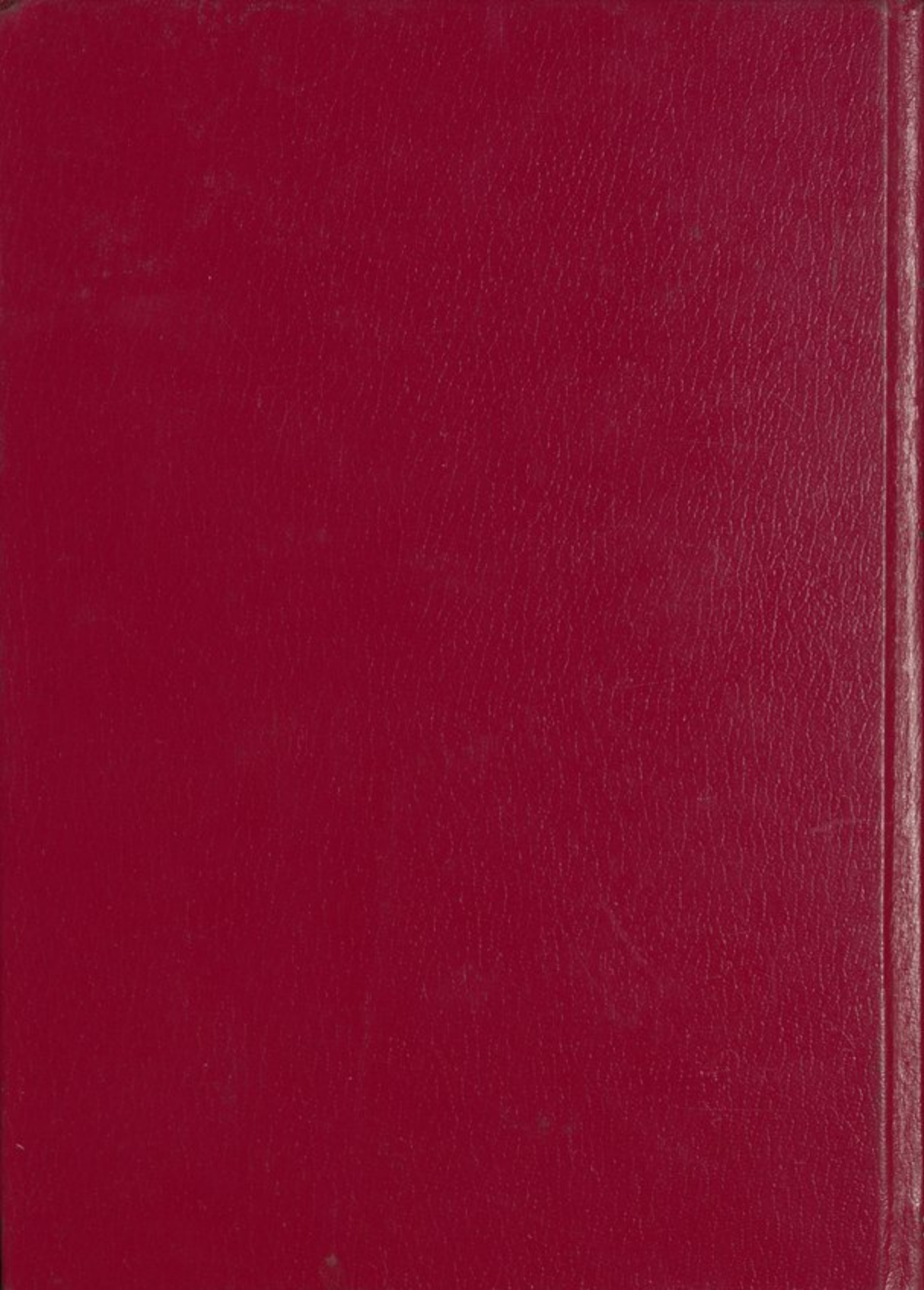
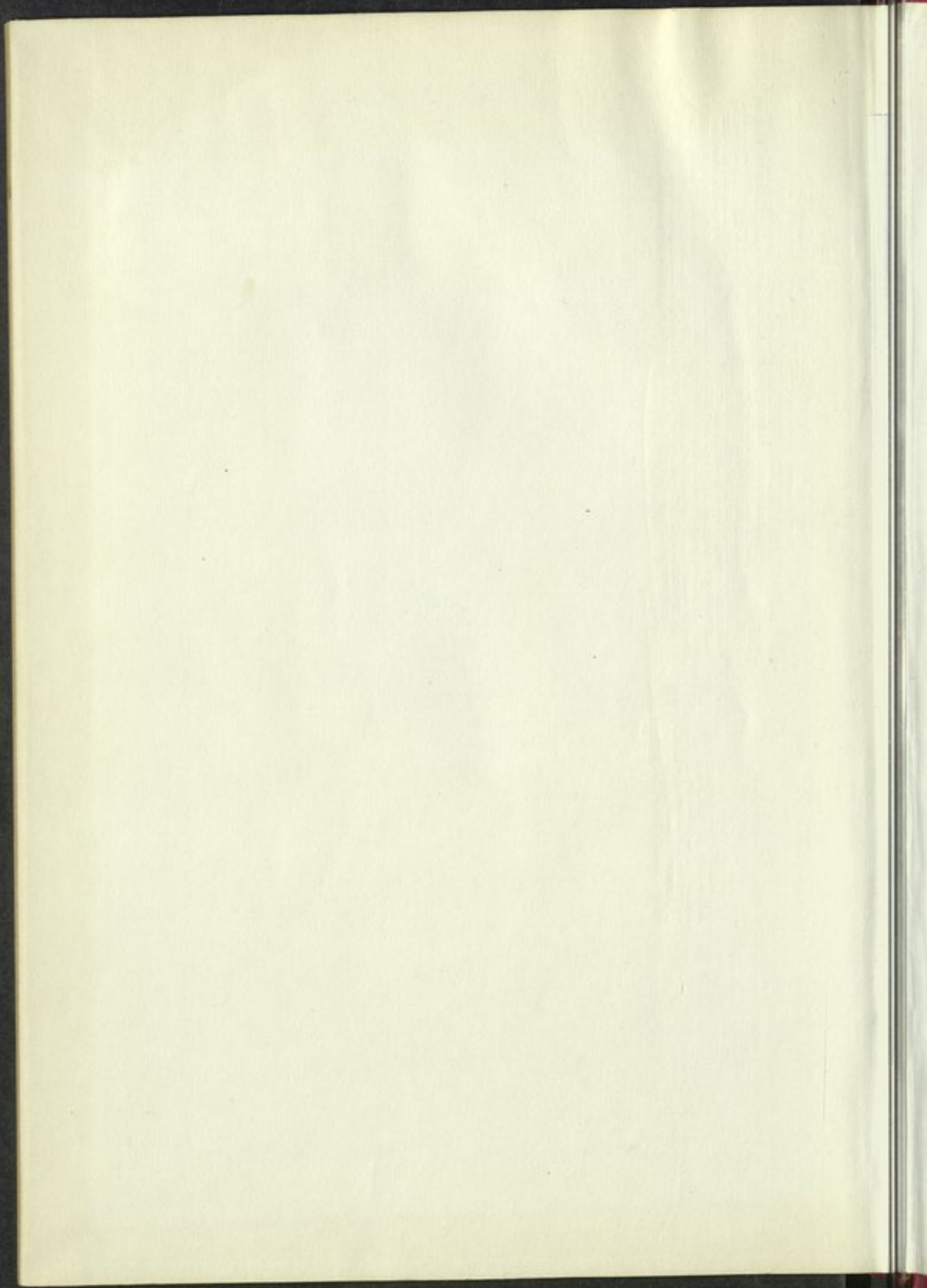


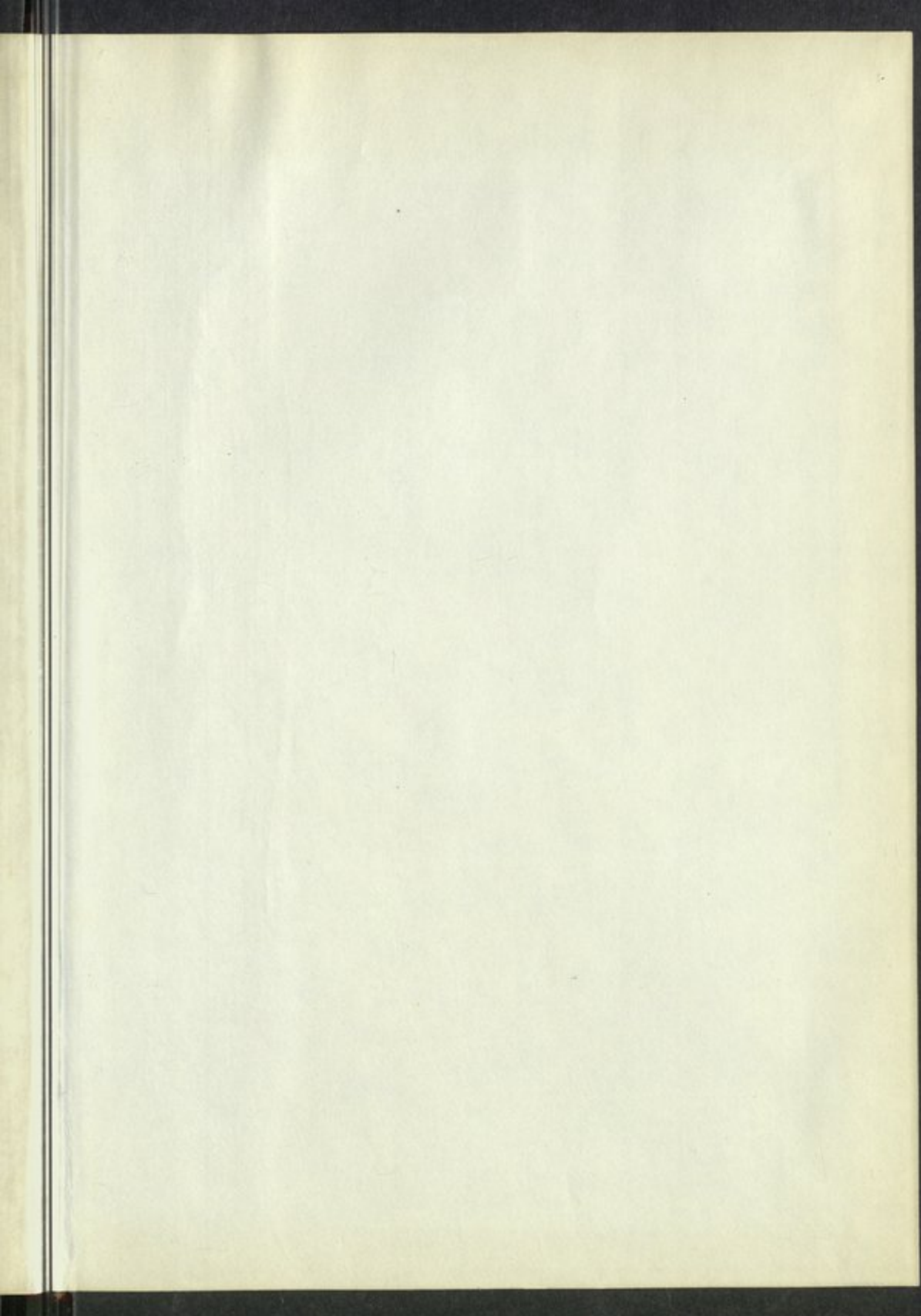


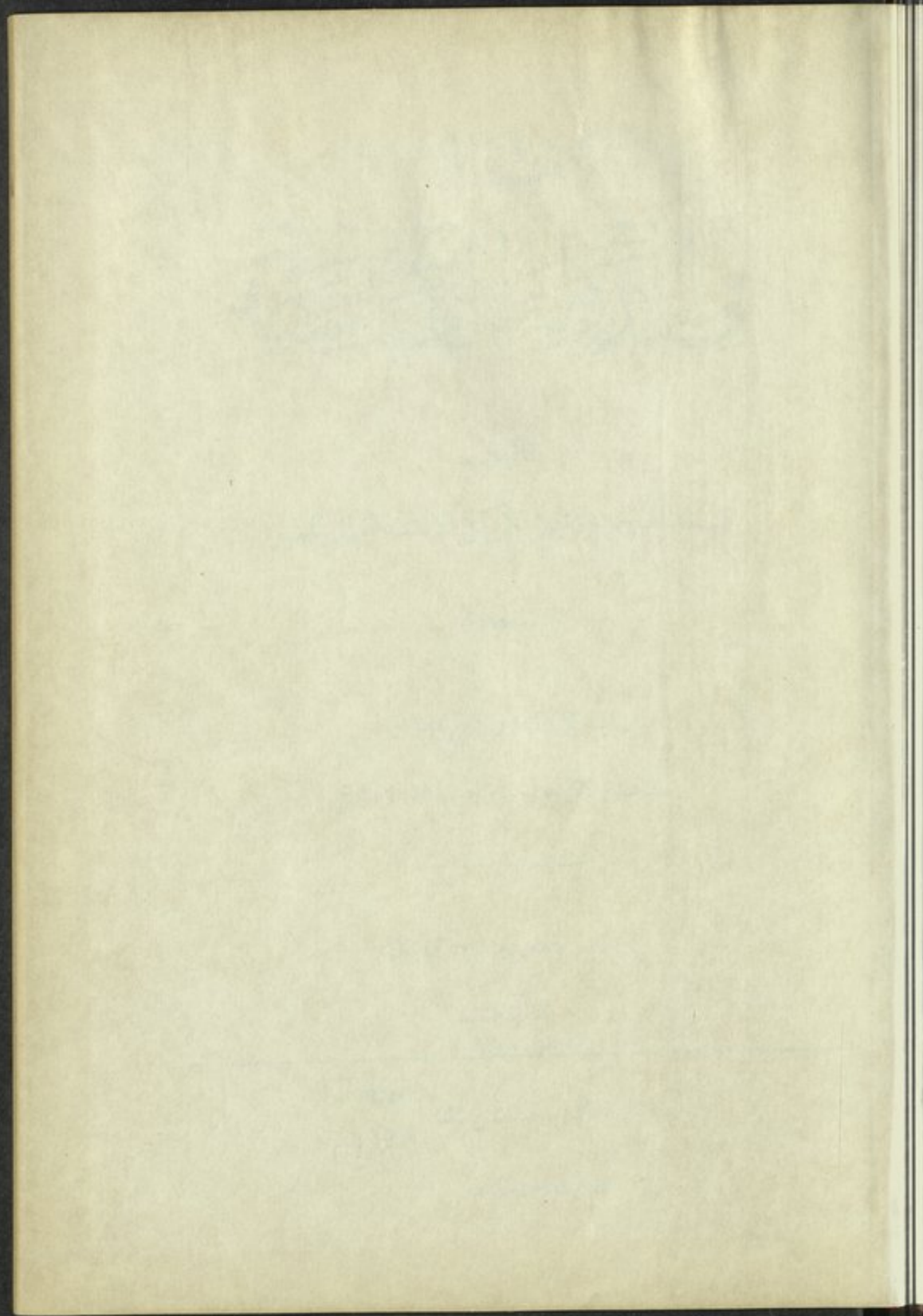
A. U. B. LIBRARY

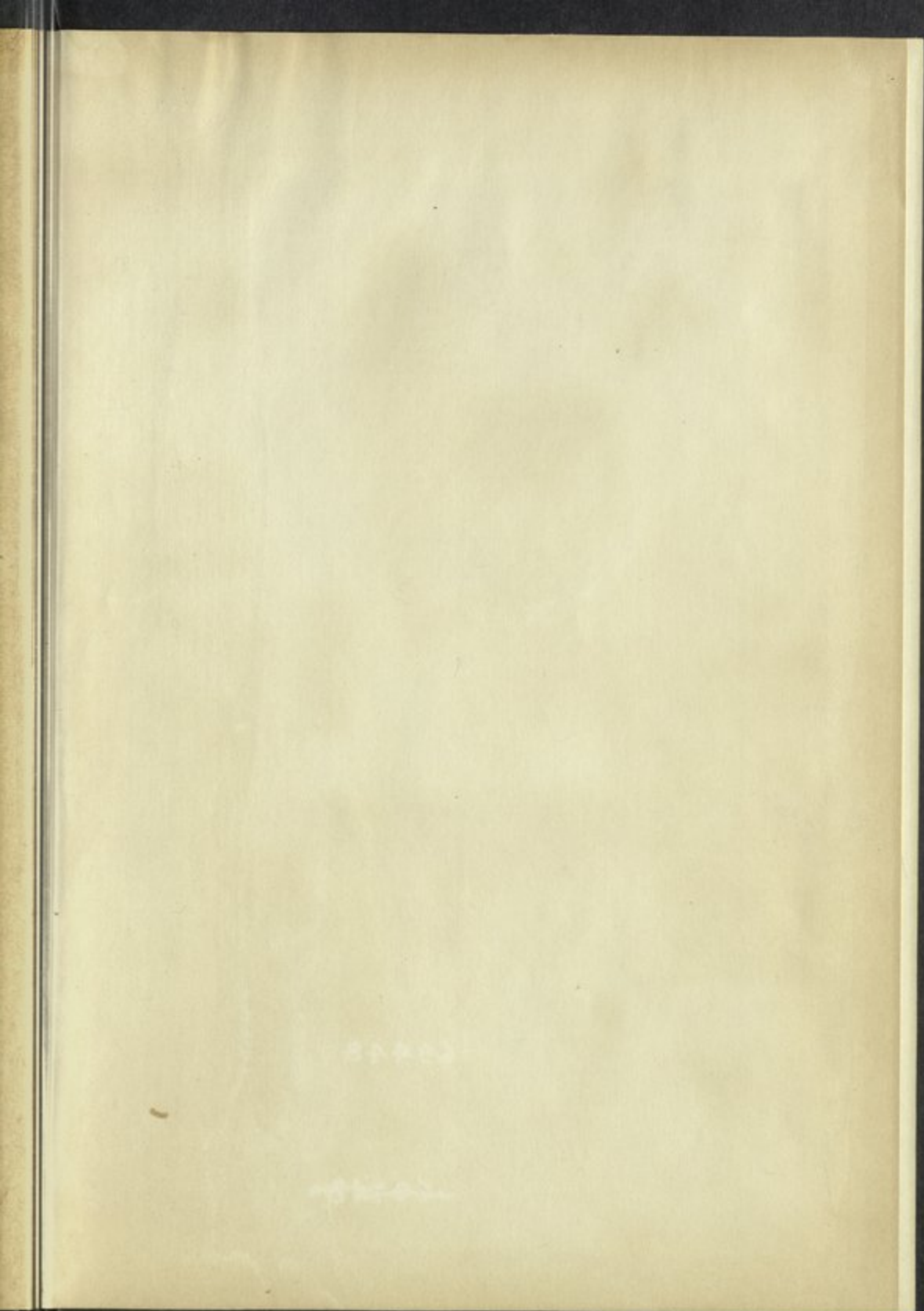
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT











المجلد الحادي عشر

فوائد الأدب والتاريخ والعجائب

تأليف

الشهيد المرحوم رئيس الركن الاستاذ نعمان ثابت



وقف على طبعه وراجع مصادره

عبدالستار القرغولي وابراهيم ادم الزهاوي

ربيع ومفروق طبع محفوظ

لعائلة الشهيد

69448

١٣٥٨ هـ

١٩٣٩ م

مطبعة بغداد جديد حسن باشا

69448



الاهداء

الى اعيان عاقل العرب والفائز الاعظم سيد البهراء صاحب المجلد
الرهاسية الملك غازي الاول ادام الله ظله الوارف على البهراء تقدم كتاب
جنديم الشريعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى .
اما بعد : فهذا اثر نفيس ، من آثار المرحوم الشهيد رئيس الركن الاستاذ
نعمان ثابت بن الحاج عبداللطيف ، الشاعر الاديب ، البعانة المحقق ، والجندي
الباسل ، صاحب الفضل الكبير في مضمار الجندي ، وميادين الادب .
وهذا الكتاب من بعض فضائله الجمة ، فقد تناول فيه البحث عن الجندي
في العصر الذهبي للعرب والاسلام ، عصر بني العباس ، ولم يفته ان يسلسل
بحته هذا مبتدئا به من عهد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم - ولو بصورة
موجزة - حتى دخل موضوعه الصميم .

ولا يخفى ما في هذا البحث من المشقة التي ذلها له عزمه الصارم ، وهمة
العالية ، على الرغم من اعباء الوظيفة العسكرية التي كان يقوم بها على أتم وجه واكمله .
كما لا يخفى ما في هذا الكتاب الذي هو كنز ثمين من الفوائد الكثيرة التي
سيستفيدها قراء العربية عامة ، ورجال الجيش خاصة . فانه مرآة تبدو فيها عظمة
العرب والاسلام ، ويتبين منها طول باعهم في تجميد الجيوش ، والقيام بما يحتاجه
مثلها من العناية اللازمة ، والادارة الحازمة ، في تلك المملكة الترامية الاطراف .
وهذا حافز عظيم للرجال العاملين الى انتهاج منهجهم والنسج على منوالهم .
كما انه يملأ النفس عزة وعصبية للامة العربية الاسلامية صاحبة ذلك التاريخ المجيد .

والكتاب كان قد أعدّه الاستاذ المرحوم ليكون اطروحة ينال بها رتبة ضباط اركان الحرب ، فلا غرو ان يعتنى به هذه العناية حتى أبرزه شمساً منيرة كشفت ما احاط بتلك المصور النبيرة من الظلمات ، وسد فراغا عظيما في تاريخ الفن العسكري .

وقد قننا بطبع هذا الكتاب الجليل وفاء بالعهد الذي أخذناه على انفسنا من اننا سوف لا نألو جهداً طبع كتب المرحوم ، ونشر آثاره التي اكثر منها على عمره المخنزل القصير الذي تعرفه من مطالعة ترجمته المفصلة في ديوانه « شقائق النعمان »

ونحن نشكر باسم عائلة الشهيد امراء جيشنا المحبوب على تشجيعهم ايانا في اخراج هذا السفر القيم الى عالم المطبوعات . والله نسأل أن يوفق الجميع لما فيه خير الامة والوطن .

ابراهيم ادعم الزهاوي

عبد الستار القرغولي

سعة المملكة العباسية

لا شك ان الدول تعرف أقدارها بآثارها ... وأخذ الآثار التي تتفاضل بها الملوك ؛ وتتطاول بها رتب الدول ، كثرة الفتوح ، واستتباب أمور الملك والرعية ، وتوطد دعائم العلم وانتشار العلم .

ونحن نعرف أن دولة بني أمية قد أخذت من كل ذلك قسطا وضربت في كل ذلك بسهم (١) حتى أنهم ملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضاً .

ولكن عندما نجحت دعوة العباسيين في خراسان ، وآزرهم الفرس باموالهم واسلحتهم ورجالهم ، وتحركت الجيوش العظيمة بقيادة داعيتهم الاكبر ، دالت الدولة الاموية ، وقامت الدولة العباسية على انقاضها ، ونحوحت العاصمة من الشام الى بغداد ، ودخل في حوزتهم مملكة واسعة . وضع أساسها خارج جزيرة العرب ابو بكر خليفة رسول الله ﷺ ، وشاد بنيانها ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ومكن قواعدها وزان جوانبها بنو أمية بن عبد شمس (٢) اما هذه المملكة الاسلامية الواسعة فكانت تشمل :—

جزيرة العرب وفيها الحجاز واليمن وعمان وهجر (٣) ؛ والعراق ، والجزيرة ، وبلاد الشام : حمص وقنسرين ودمشق والاردن وفلسطين والشرارة (٤) ومصر

«١» الاستاذ شبلي النعماني ص ٤٠ في رده على جرجي زيدان

«٢» محاضرات تاريخ الامم الاسلامية لاخضرى ص ٣٤

«٣» قاعدة البحرين

«٤» جنوب البلقاء وفيه قرية « الحميمة » التي ظهر بها صاحب الدعوة

العباسية وجد العباسيين سنة ١٠٠ هـ

والواحات ، واليعة ، وبرقة ، وطرابلس ، وتونس ، ومراكش ، والاندلس ،
والشرق ويسمى ما وراء النهر ، وخراسان ، والديلم ، والرحاب التي تشمل على
بلاد الران وأرمينية وأذربيجان ، والجبال والاهواز ، وقارص ، وكرمان ،
والسند ، وبعض بلاد الهند (١)

هذه هي المملكة الواسعة المترامية الاطراف ، التي ورثها العباسيون من
الامويين ، وكانت جميعا تأتمر بأمر الخليفة في الشام ، لا ينازعه في امره أحد
من وال او قائد او عامل آخر .

وسوف نرى كيف حافظ العباسيون على هذا التراث ، وكيف زادوا عليه ،
وكيف جمع اوائلهم بين بيعة الملك والنظر في امور العباد ، والتشهير في عمارة
البلاد ، وكيف أوقعوا الرعب والهيبة في قلوب الملوك المعاصرين ، ثم كيف جاء
من بعدهم خلفاء تجزأت المملكة في ايامهم الى دويلات وإمارات صغيرة متعددة
منتشرة في الاطراف والاكناف ، وكيف قضى عليهم القضاء الأخير ، واصبح
في خبر كان ذلك الملك الطويل العريض ، الذي تعب العرب في فتحه واصلاحه
وتعميره وثقيف اهله ونشر العدل والأمن فيه .

عدد الجند

اما وقد بينا ما اشتملت عليه المملكة العباسية ، من الاقاليم ، فلنتطرق اولا
الى عدد الجند ، الذين انيط بهم المحافظة على هذه المملكة ، ورد غائلة الاعداء
عنها .

(١) ملخصة عن كتاب : أحسن التقاسيم للمقدمي

ولكننا وبنا للأسف لم نتمكن من الوقوف على عدد الجند في الدولة العباسية بالضبط ، وبالأحرى اننا لا نقف على عدد الجند في الدولة الاموية التي سبقتها ، مع اننا نعرف ان الخلفاء في صدر الاسلام كانت لهم عناية خاصة في احصاء المسلمين اقتداء بما فعله النبي ﷺ اذ احصى اصحابه ، واقتداء بالخلفاء الراشدين الذين احصوا رعاياهم فانهم لم يقتصروا على تدوين اسماء جميع المحاربين فحسب ، بل احصوا جميع الامة الاسلامية ، وكانوا يثبتون المواليد والوفيات من كل قبيلة ، ثم يدونون ذلك في قوائم خاصة ، مع ذكر الهويات المفصلة لكل نسمة . وفائدة ذلك عظيمة من وجهة النظر .. الخ .

انما درس كل ذلك ، واعتورته يد الضياع ولقد دفعت الاغراض والحزازات بعض ولاية الامر من العباسيين ان يقضوا على حسنات بني امية ، وان يعفوا آثارهم فلم تصلنا نتائج تلك الاحصاءات ، حتي الاخير منها ، اعني ذلك الذي احصى به الامويون العرب في جميع الامصار في خلافة هشام بن عبد الملك (سنة ١٠٥ - ١٢٧ هـ) .

ولا يخفى ما كانت عليه الدولة العباسية من درجة رفيعة في الاستخبارات ، وكتم الاسرار ، والاحتفاظ بكل ما يهم شؤون الدولة ، او يهدد سلامتها ، كلما تسرب الى عدوها الخارجي ، او خوارجها الداخليين ، وحتى وزرائها وقواد جيشها من الموالي والترك وغيرهم ، وما سوى ذلك ، « فقد جرت عادة ديوان الجيش عدم الجمع على الجند كي لا يحاط بهدته ويطلع اليه » (١) كذلك هي الحالة في جميع الجيوش ، فان الامة انحرص كل الحرص في الاحتفاظ بهذه المعلومات ،

وتعتبرها من اسرارها الخطيرة ، وتدرجها في لائحة الحركات الحربية ، التي لا يسوغ لغير دائرة الاركان العامة الاطلاع عليها ، . . . ولهذا الاسباب كان من الصعب جداً ، ان تقف على عدد الجند في الجيشين الاموي والعباسي ، ولـكننا نتبع الحوادث العظام ، والوقائع الشهيرة ، وننظر الى الجيوش التي جهزها الخلفاء في اوقات مختلفة ، اما بقصد الفتح وتوسيع اطراف المملكة ، واما بقصد اخضاع ثورة ، يشعل الخوارج نارها ، واما لرد الغارة التي يشنها العدو ، فتوصل باستقرائنا هذا الى نتيجة ان لم تكن صحيحة فهي قريبة الى الصحة .

اما في عهد الرسول

فلقد كان المسلمون كلهم جنداً ، اذ عندما ظهر الاسلام انفرد المسلمون عن سائر العرب ، واتحدوا بجامعة الدين وصاروا يداً واحدة في محاربة اعدائهم ، فكان من اسلم من العرب فقد احرز ماله ودمه وصار للمسلمين اخاً ، ودخل في صفوف الجند الاسلامي فكانوا كلهم جنداً كبيرهم وصغيرهم فعدد الجند يومئذ هو عدد المسلمين باسراهم .

و اول جنود المسلمين ، المهاجرون ، وبلغ عددهم لما اسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاربعين ، فلما جاؤا المدينة اتحدوا بالانصار وصاروا جميعاً جنداً واحداً قائدهم النبي ﷺ بنفسه ورابطتهم المعاهدة على المؤاخاة ، وعددهم قليل جداً اذ لم يكونوا يزيدوا في السنة الاولى للهجرة على بضعة عشرات يقيمون في المدينة ثم ازدادوا فكان عددهم في وقعة بدر الكبرى وهي اول وقعة في الاسلام (٣١٣) رجلا من المهاجرين والانصار (١) ولم يكن فيهم غير فارسين احدهم المقداد بن عمرو

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٥٣٢ انهم ٣٠٥ رجلا ومعهم خمسة افراس .

السكندي . واما في غزوة احد وهي في السنة الثالثة ، فقد كان الجند (٧٠٠) وفيهم مائة دارع (١) ثم ازدادوا بمن اعتنق الاسلام من القبائل العربية ، وفي حديث اخرجه البخاري أن النبي قال : اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام فكتبنا له الفا وخمسمائة فكان ذلك أول احصاء يقوم به الرسول ﷺ يحصي به اجناده حتى اتخذ الخلفاء سنة من بعده .

ثم كانت حملة مؤنة وكان عدد الذين اشتركوا فيها ٣٠٠٠ آلف مقاتل عربي . وبلغ عددهم في غزوة تبوك وهي في السنة التاسعة للهجرة وهي آخر الغزوات (٣٠٠٠٠) الفا ومعهم عشرة آلف فرس وقد عادت ادراجها دون ما قاتل . فذلك عدد جند العرب في اواخر ايام صاحب الرسالة ﷺ (٢) وكانت وحدات الجيش من القبائل العربية وبخاصة من اهل الحديبية والطائف وغيرها من القبائل .

وأما في ايام الخلفاء الراشدين

فلقد تزايد عددهم بمن انضم اليهم من قبائل العرب في الحجاز واليمن ونجد واليمامة ، واصبحت قيادة الجيوش من وظائف الخليفة تبعاً لرسول الله ﷺ الذي كان يخرج بنفسه في الغزوات ، فهو - والحالة هذه - والخلفاء الذين جاؤا من بعده كالقائد العام في هذه الايام .

وكانت العادة في عصر الخلفاء الراشدين أن من تخلف عن وجهته التي وجهه اليها الخليفة بشهر في الناس حتى يعتبر المعتبرون (ولذلك لم يكن للجيش عدد

«١» تاريخ الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٥٧ وفي الحلبية ج ١ ص ٥٣٣

انه كان مع هذا الجيش سبعون بعيراً .

«٢» تاريخ التمدن الاسلامي .

معلوم اذ أن كل مسلم كما رأينا ملزم بالاستعداد عندما ينتدبه الخليفة وإذا كان الاستنفار عاما وجب على كل مسلم الخروج ومن تخلف ظن فيه النفاق وعوقب اشد العقاب (١)

وبلغوا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه زهاء (١٥٠٠٠٠) ألفاً فنظمهم جيوشاً كبيرة وصغيرة على مقتضى الحاجة وجعل على كل منها اميراً من شجعان العرب وعلية القوم ، من ذوي الكفاءة والتجربة واصالة الرأي في الامور الحربية وانشأ لهم ديواناً ينظر في امر تسجيل الجنود واعطياتهم ، وتموينهم كما سنده في مكان آخر .

وحاربوا في ساحات حركات مختلفة وقاتلوا في ميدان الشام ، وميدان العراق ، وميدان الجبال (٢) ، بوقت واحد وانتصروا في جميعها . ومن الدوائر الادارية التي احدثها عمر بن الخطاب دائرة احصاء الجند فقد

« ١ » هذا كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لشدة حاجة الاسلام لانصاره واما عندما توسع وزاد المؤمنون به فقد كان القتال فرض كفاية تتقدم له المقاتلة بتمدر الحاجة والقاعدة في هذا الباب معلومة وهي ان الحرب تكون على من يستطيعها من رجال ونساء وحتى الاولاد عندما يهاجم الاسلام في عقر داره ومن هذا يتبين لك لماذا كان القاعد عن الجهاد في ايام النبي صلى الله عليه وسلم يرمى بالنفاق لانه ببعوده كالمعين على هدمه لان الاسلام في بدء امره كان كالمهاجم من اعدائه في عقر داره

الناشران

« ٢ » يحد الجبال من الشرق مفازة خراسان وفارس وغربا العراق وشمالا اذربيجان والديلم وجنوبا الاهواز والعراق .

كانت بادىء بدء خاصة بقيد المهاجرين والانصار ثم توسعت في اعمالها فعمت سكان جزيرة العرب، وقد ذكروا انه احصى السكان القاطنين بين المدينة المنورة وعسفان التي تبعد عن مكة المكرمة مسافة بردين، وقيد اسماء من يصلح منهم للجندية وعلى رواية جغرافي العرب ان هذا الاحصاء امتد الى البحرين وانه احصى العرب القاطنين في الكوفة والبصرة والموصل والفسطاط والجزيرة. اما عدد الجند الذي احصى حينذاك فان المؤرخين لم يذكروا شيئاً عنه ولكن يقدر عدد هؤلاء الجند الذين كانت تصرف لهم رواتب من (١٠٠) الف الى (١٠٠٠٠٠٠) نسمة. وقد ذكر ابن سعد انه كان يرسل ثلاثون الف مقاتل في كل عام الى الحرب والفتوح. وذكر الطبراني انه كان في الكوفة (١٠٠٠٠٠) مقاتل، وكان اربعون الف مقاتل منهم يقيمون في الري واذربيجان. ولما تم للمسلمين في عهد عمر فتح البلاد وتمصير الامصار اتقسموا الى اجناد يقيم بعضها في مصر، وبعضها في الشام، وبعضها في العراق، في محطات خاصة بهم، وكان جند كل محطة ينقسم باعتبار القبائل والبطون فكانت البصرة مثلاً خمسة اقسام تسمى الاحماس يقيم في كل خمس منها قبيلة وهم الازد ونعيم وبكر وعبد القيس واهل العالية (فريش وكنانة وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلها ومزينة) وكانوا يسمون اهل العالية، والكوفة اهل المدينة، وكان على كل خمس امير من امراء تلك القبائل وقس على ذلك سائر اجناد المسلمين في الكوفة والفسطاط بما مصره المسلمون او في غيرها من مدن العراق والشام ومصر، فقد كان لهم في كل اقليم جند ينقسم على هذه الكيفية. ولم يزل يتضاعف ذلك العدد في عهده، والمسلمون كلهم حينئذ محاربون لا يعمل احدهم عملاً، وقد نهام عمر بن الخطاب عن الزرع، كانه رآهم بعد ان فتحت

لهم الامصار ورأوا خصب الارض ، قد مالوا الى الرخاء والتقاعد عن القتال فامر مناديه ان يخرج الى امراء الاجناد يتقدمون الى الرعية إن عطاءهم قائم وان رزق عيالهم سائر فلا يزرعون ولعله اراد بذلك ان لا يتوطنوا في بلد ، اذ ربما مست الحاجة الى تجنيدهم لنجدة اخوانهم في بلاد اخرى ، او لحماية بعض الامصار فلا يثقل عليهم ذلك (١) .

ومن هنا نستدل على بطلان قول صاحب التمدن الاسلامي والتناقض الظاهر فيه لانه قال « ويظهر ان التجنيد اللازمي بدأ في اواسط هذه الدولة (اي الدولة الاموية) . ثم صار التجنيد سنة » (٢) .

وقد امتدت الزخوف في عهد عثمان الى المغرب والى ارمينية وبلاد القفقاس ، واتم فتح فارس وخراسان وطبرستان .

اما في عهد الامويين

فقد بلغ عدد الجيش في معسكري البصرة والكوفة فقط (١٤٠.٠٠٠) مقاتل ، كان منهم (٨٠) ألفاً في البصرة و (٦٠) ألفاً في الكوفة ومعهم من العيال (٢٠٠.٠٠٠) بين نساء واطفال . اما في معسكر القسطنطينية بمصر فقد بلغ عدد المرابطين هناك : (٤٠.٠٠٠) مقاتل ما عدا العيال . و كان جند الشام المرباط في دمشق نحو ذلك ، اولئك عدا الذين اقاموا في المراكز العسكرية المهمة الاخرى ، مثل القيروان وواسط والموصل وغير الذين عهد اليهم حماية الثغور ، ومن هنا نستدل ان عدد ما كانوا اثبتوه في دواوينهم كان عظيماً جداً ، ثم اننا نستدل من بعض الجيوش

التي جيزها الامويون ، في اوائل دولتهم ، ان عدد الجند كان عظيماً جداً . فان يزيد بن المهلب عندما حمل على جرجان وطبرستان جرد اليها (١٢٠،٠٠٠) من الجند المرتزقة اي الذين ادرجت اسمائهم ورواتبهم في ديوان الجند ، وذلك سوى الموالي الاتباع ، والمنتطوعة الذين يجاهدون في سبيل الله .

فلقد كان الامويون يحق حمة بيضة الاسلام ، وبخبرنا التاريخ على ان اول من عاقب بالقتل على التخلف عن الخروج الى الوجهة التي يأمر بها الخليفة هو الحجاج بن يوسف الثقفي امير العراق في هذه الدولة .

والسر في ذلك التقاعد الذي صار يقوم به بعض الجند الاموي هو ان الجند الاسلامي في عهد الخلفاء الراشدين كانوا يخرجون الى الحرب جهاداً في سبيل الله . انما عندما قامت العنينة بعد مقتل عثمان سنة (٣٥) هـ استنقلوا بالحرب فيما بينهم مدة ، وكل طائفة تندفع الى ذلك دفاعاً عن رأيها ، واعتقادها بانها تدرأ عن الحق . ثم ضعفت قوة الاحزاب ؛ وابطل الامويون تلك الحروب الاهلية وصار المسلمون دولة واحدة ، انما لم يروا من بعد تلك الحروب الدامية ما يدفعهم الى الحرب في الخارج طوعاً (١) وهكذا نرى ان الحروب الاهلية هي السبب .

اما في عهد العباسيين

فليس لدينا ثبت نعول عليه وانما نعتمد على الحوادث التالية : —

ففي سنة (١٦٢) هـ في خلافة المهدي غزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين الف مرتزق سوى المنتطوعة .

وفي سنة (١٨٩) هـ في خلافة الرشيد لقد شهد الغداء الاول (٥٠٠٠٠٠)

جندي من المسلمين ، وكانوا جميعاً باحسن ما يكون من العدد وال سلاح والقوة .
وفي سنة (١٩٠) هـ في خلافة الرشيد ايضاً حملت الجيوش العباسية والرشيد
في طليعتها على هرقلة (١) وكانت عدة هذه الجيوش (١٣٥٠٠٠) من المرتزقة
سوى الاتباع والمتطوعة الذين لم يكونوا باقل من المرتزقة . بينما انطلق داود بن
عيسى احد القادة العباسيين المشاهير في ارض الروم في (٧٠٠٠٠) من الجنود
في الوقت نفسه ، وتم النصر لسكليهما ، للقائد العام العباسي ، ولقائدة الحازم
الغطريف .

وروى ابن خلدون في مقدمته : ان المعتصم نازل عمورية في جند عدده
(٩٠٠٠٠٠) غير أن ذلك لم يثبت لدينا من مصدر آخر ولذلك نتوقف فيه ،
ونقول ان الذي تم الاتفاق عليه هو زهاء (٢٠٠٠٠٠٠) جندي (٢) وكان في
مقدمة عسكره اربعة آلاف ابلق (٣) اذ انه امر خياله ان لا يخرجوا إلا على
خيل بلق فخرجوا في سبعين الف ابلق . (٤)

وقال الموفق بالله قبل ان يموت في سنة ٢٧٨ هـ وكان قد ألم به مرض فاضجره
« قد اشتمل ديواني على مائة الف مرتزق ما فيهم أسوأ حالا مني » . (٥)
وفي سنة (٣٠٥) هـ عندما قدمت رسل ملك الروم وطلبت عقد هدنة مع

١، مدينة بآسيا الصغرى كانت قاعدة مملكة الروم لعهد الفتح الاسلامي
فتحها مسامة بن عبد الملك سنة ٨٩ هـ واسمها الآن اركلي ،

٢، كتاب التعبية للعقيد صبيح نجيب . ٣، صبح الاعشى ج ٣
ص ٢٧٢ والابلق هو الجواد الابيض . ٤، تاريخ القرماني ص ١٥٥ نقل
عن امرأة الزمان لسبط ابن الخوزي . ٥- تاريخ ابي الفداء ج ٢ ص ٥٤

الخليفة المقتدر كان الجيش المرابط في بغداد عدده (١٦٠) ألفاً ما بين راجل ورجل ، صفهم بالسلاح من باب الشماسية (١) الى دار الخلافة ، وبعدهم الخدام وعددهم (٧٠٠٠) ويلهم الحجاب وهم (٧٠٠) (٢) قال ابو العباس (٣) « هذا مع قهقر الخلافة » .

واما في الدولة الخوارزمية

فقد بلغت جريدة السلطان جلال الدين على اربعمائة الف مقاتل (٤) وفي خلافة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين كان عسكر بغداد لوحدها مائة الف فارس (٥) . ويؤكد لنا التاريخ ايضاً « بأن في سنة ١٥٠ هـ عندما خرجت الجيوش الخراسانية عن الطاعة ، واستولوا على اكثر خراسان بلغ ضريبة (٦) الجيش الخراساني (٣٠٠) الف مقاتل ما بين فارس ورجل ، تجهز لحربهم خازم بن خزيمة في جيش عرمرم يسد الفضاء » (٧) غير انني لم افق على عدة الجيش الذي سيره الخليفة ، ومهما كان الامر فهو ان لم يكن بمقدار الخراسانيين المتمردين او اكثر منهم عدداً ، فهو دونهم بشئ . زهيد فالناربخ ينقل لنا بان الخليفة قضى على الخراسانيين ، ومزق شملهم بعد ان كبدهم سبعين الفا من القتلى و (١٤) ألفاً

١- تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٥٣ وابن الاثير وابن الطقطقي وغيرهم

٢- الفتوحات الاسلامية - ٣- صبح الاعشى ج ٣ ص ٢٧٣

٤- الآداب السلطانية لابن الطقطقي ص ٢١

٥- ابو الفداء ج ٢ ص ١٩٤ ، الضريبة هنا يقصد بها عدد السيوف

٦- السيوطي ص ٢٧٤

من الاسرى (١)

والذي ظهر لدينا من كل هذه الحوادث ان العراق وحده كان باستطاعته ان يجهز نحو ربع مليون من الجنود ، وان ديوان الجيش العباسي كان يشتمل على نحو نصف مليون جندي من الجنود النظاميين .

ولكن هل كان نصف مليون جندي وافيًا بحماية الدولة العباسية ودارثا عنها كل خطر ملم ، وحافظا لها كرامتها في الداخل والخارج ومتناسبا مع ثروتها العظيمة . اللهم لا .

فقد اورد العلامة ابن خلدون في مقدمة تاريخه ثبنا (٢) فيه مقدار الجبابة الخراجية في المملكة العباسية وهو قد نقله عن كتاب جراب الدولة فكان مجموع الخراج من النقود فقط غير العروض هو (٣١٨٦٠٠٠٠) درهما و (٢٤٨١٧٠٠٠٠) ديناراً وذلك في عهد المأمون (٣).

واما مقدار الخراج في عهد المعتصم من بعده فانه بلغ : (٣١١٥٨١٣٥٠) درهما و (٥١٠٢٠٠٠) ديناراً (٤) وهو قريب مما كان في حياة المأمون . ومجموع الخراج الاول : - (٢٦٠٥٧٠٠٠) ديناراً ومجموع الخراج الثاني (٢٥٨٧٤٠٩٠) ديناراً .

وقد كان حاصل السواد وهو ارض ما بين الموصل وعبادان في الطول وما بين عذيب بالقادسية الى حلوان في العرض (٥) عشرين الف الف درهم في زمن

١٠. الفتوحات الاسلامية لزيني دحلان ج ١ ص ٢٧٥

٢٠. الثبت بحركة الفهرست او القائمة ٣٠. تاريخ التمدن الاسلامي

ج ٢ ص ٢٧٥ ٤٠. وذلك باعتبار ان كل - ١٥ - درهماً تساوي ديناراً

في ذلك العصر ٥٠. الماوردي ١٩٩

الحجاج (١) اي في عهد الامويين . . وعندما ساد فيها العمران (٢) وانتقلت عاصمة الخلافة العباسية ، وناهيك بما ينبغي ان يتوفر في العاصمة من مرافق البلاد ومواردها صار يحمل منه في عهد الرشيد نحو ستين ألف ألف درهم ، ولا عبرة بهذا الفرق فلقد كانت البلاد ينقص ويزيد خراجها بنسبة الرخاء الذي يسودها ، والخير الذي يعم فيها ، والثورات التي تنشب فيها ، واهتمام الخلفاء بها كعاصمة ، واختلال امرها ، وسوء سياسة العمال فيها ، وهذه مصر جباها عمر بن العاص (١٢) ألف ألف دينار (٣) فما بالها بدلت الى ألف ألف وتسعمائة ألف دينار ، الى ان جباها البرامكة في عهد الرشيد ثلاثة آلاف ألف دينار واربعائة ألف ألف (٤)

واخبرنا ابن خلدون (٥) ايضاً « بان دخل المملكة في عهد الرشيد كان في كل سنة (٧٠١٥) فظاراً والقنطار في حسابه عشرة آلاف دينار فيكون مجموع ذلك سبعين مليوناً ومائة وخمسين ألف ديناراً ، وهي ميزانية ضخمة بلا شك ، كل هذه النفود كانت ترد الى بغداد ما عدا العروض التي يكون فيها المئات من رؤوس الرقيق والامهار والبغال والالوف من الحلل والثيران والبسط والاكسية والمناديل ومئات الالوف اطلاقاً من الزيت والعسل ورب الرمان ولا شك ان هذه العروض لو قومت لبلغت شيئاً عظيماً ، يتصرف فيها الخليفة كيف شاء ، ولا يحاسبه في ذلك احد . ثقلوا انها لو انفقت في وجوه البر والمعارف وفي تجهيز الجيوش وتسليحها واكسائها واعالتها كما يجب ، وفي تشييد الثكن والمساكن

« ١ » المستطرف وابن خرداذبة ٣٦ . « ٢ » المستطرف ج ١ ص ١٢٥

« ٣ ، ٤ » المقرئ ج ١ ص : ٩٨ . « ٥ » المقدمة ص ٥١ .

لهم ، وفي تحصين نفور المملكة برآ وبحراً ، وفي شق الطرق وبناء القنابر والجسور
وفي بناء دور الصناعة وإنشاء الاساطيل ، اذن لكان الجيش العباسي من اعظم
جيوش العالم وأكثرها عدداً وعدة ، وأغرها سلاحاً ولوازم ، وأوسعها ثقافة
وأشدها انقياداً للطاعة وامثال الاوامر ، وأخيراً رأينا النهاية التي آل اليها بنو
العباس هي غير ما نعرف ، وكان أمد حكمهم أكثر مما نهدل سبباً وان
الامة العربية في ذلك الزمن قد فارقت السذاجة وشملت الحاضرة ، وأصبحت
في استعداد تام لتلقي العلوم ، والصنائع ، والفنون . . . انما كان الخلفاء
ويا للأسف ينفقون تلك الميزانية الضخمة في امور لا طائل منها ، فتضيع اموال
الامة في اللهو والترف والاسراف ، ولا ينفقون على الجند في الدواوين
وغيرهم الا الشيء القليل منها ، ففساء الخلفاء من جهة وغلمانهم ، وجواريهم من
جهة اخرى ، ثم يأتي وزراءهم الذين انغمسوا في انواع الترف والبذخ (١) وكان
لهم من النفوذ ما كان لحلفائهم ، وبينما الجنود يتمرّدون لتأخر عطائهم كان الخلفاء
قد تكدست في خزائهم ملايين الدينائر ولم يقتدوا بمن سبهم من الخلفاء فان
المنصور لما توفي سنة ١٥٨ هـ خلف في بيت ماله (٦٠٠٠٠٠٠٠٠) درهم
و (١٤٠٠٠٠٠٠) دينار (٢) اي انه خلف (٣٢٤٠٠٠٠٠) دينار عراقي (٣)

«١» ما اراني بحاجة الى التبسط في ذلك فبطون التراخي مشحونة
بالامثلة عليه . وترى في الجزء الخامس والثاني من كتاب التمدن الاسلامي
وكذلك في كتاب نظام العالم والامم ج ٢ ص ١٩٣ وما بعدها كثيراً منها .
«٢» مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٥ وفي الحضارة الاسلامية انه اربعة
آلاف دينار فليحزر . «٣» اذا عرفنا ان الدينار يساوي ١٥ درهماً في ذلك
العصر فيكون مجموع ما خلفه المنصور ٨١٠٠٠٠٠٠٠ درهم ولما كان *

ولكنه لما دنا اجله أوصى ابنه المهدي قائلاً : « قد جمعت لك في هذه المدينة من الاموال ما ان كمر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لارزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور فاحتفظ بها فانك لاتزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً » (١)

وكذلك الرشيد فقد خلف في بيت المال عند وفاته سنة ١٩٣ هـ (٩٠٠٠٠٠٠٠٠) درهم (٢) مع اننا نعرف ان الرشيد كان يغزو سنة ويحج سنة وكان شديد الاعتناء بالثغور وشؤونها وبناء الحصون والمدن العسكرية وكثير السخاء للشعراء المجيدين فبلاد كانت مبرزانياتها السنوية عظيمة بهذه الدرجة وخلفاء يخلفون في بيوت المال هذه الثروات الهائلة ولا يعرفون القرض ما كانت أحرارها بالخلود أو طول الامد على الاقل .

وماد مناقد وصلنا الى هذه الغاية وقد المعنا الى عدد الجند في الدولة العباسية ، وقد رأينا قليلا لا يتناسب مع سعة المملكة وثرونها فلنبحث عن معسكرات هذا الجند وثكنته .

الثكن

قال صاحب الافصاح : الثكن مرا كز الاجناد على راياتهم ومجتمعهم على لواء صاحبهم وعلمهم وإن لم يكن هناك لواء ولا علم . ومفردها الثكنة بضم الثاء

* الدينار العراقي بقيمة ٢٥- درهماً فيكون المنصور قد خلف - ٣٢٤٤٠٠٠٠٠ - دينار عراقي فتأمل . - ١ - ابن الاثير ج ٦ ص ٦٠ - ٢ - الطبري وابن الاثير وغيرها والذي اخبر به المسعودي ج ٢ ص ١٩٤ انه خلف في بيت المال ١٤ الف الف دينار وستائة الف الف درهم .

وسكون الكاف وليس بفتحها كما يقول العوام .
 وكما انشأ الخلفاء العباسيون مراكز كثيرة لاجنادهم فقد انشأ الراشدون
 والامويون ثكنات ومعسكرات متعددة لاقامة جيوشهم الزاخرة ؛ ولتأمين استراحتهم ،
 ولحماية المدن التي تم الاستيلاء عليها في صدر الاسلام .
 فمن المراكز التي انشأها عمر بن الخطاب

١ - البصرة :

بناها القائد العسكري عتبة بن غزوان سنة ١٤ هجرية على شط العرب وبقياء
 آثارها في الفضاء السكاني ما بين قصبة الزبير والبصرة الحالية وسقتها تدل على
 عظمتها الاولى . وكان الباعث على انشائها حاجة العرب الى فقط عسكرية لتكون
 معادل لجيوشهم ، وذلك على اثر انتصارهم في وقعة القادسية واول ما انشيء في
 البصرة المسجد وبجواره دار الامارة وحولها خطط لسكن قبيلة خطة ، وكان بكل
 منها مسجد ، ومقبرة ، وقد اتخذ كل ذلك في مبدأ الامر من الغاب ولما وجد
 العرب ان الغاب لا يقوى على مقاومة النار شرعوا في بناء دورهم بالبن فلما ازدادت
 ثروتهم بنوها بالآجر والحجارة ولم يكتف العرب بانشاء معسكر البصرة الاسلامي
 واجراء الاصلاحات الجمة في معسكر البصرة الفارسي واسكنهم اصلحوا عدة
 مساح فارسية وشحنوها بالجد ومن ذلك مساح الخريبة والزابوقة وكان فيها من
 مقاتلة العرب لايام زياد ثمانون الفا (١) وذكر الهيثم ان اهلها بنوا خمسمائة الف
 من الرجال بدليل المال الذي فرقه فيهم ابو جعفر وكان الف الف درهم فلم يصب
 الرأس منهم إلا درهمين (٢) .

٢ - الكوفة :

مصرها القائد المشهور سعد بن أبي وقاص سنة ١٧ هـ في مكان غربي الفرات واقطع جيشه المنازل وانزل القبائل منازلهم وبنى مسجدها وقد انتخب سعد ارضها بعد ان امر فاجرى عدة استطلاعات طبغرافية ، وتعبوية ، وصحية ، كما ذكر جلة المؤرخين فاسكنها جند العرب ، وعددهم اربعون الفا ، وكان منهم عشرة آلاف جندي جاهزين للطوارئ في الخيام اولاً ثم بنوا بيوتاً من القصب وسرعات ما انت عليها النار فامر الخليفة عمر بأن تبنى الدور باللبن فاخطت شوارعها وازقتها ابو الهياج بن مالك الاسدي ، واسس بها جامعاً وبنى في متمدته ظلة مقامة على اساطين من الرخام ، وجعل العرب المسجد في وسط المدينة ، حيث تفرعت الطرق فالدروب ، وبنى في نهاية احد هذه الطرق دار سعد بن أبي وقاص ، ويعد عن المسجد بمائتي ذراع واتخذ فيه بيت المال ... وكانت الطرق فسيحة رحبة حتى لا يحجب عن العرب هواء البادية الذي الفوه .

٣ - الفسطاط :

وقد اسسها عمرو بن العاص سنة ٢٢ هـ بأن بنى مسجده وحوله منازل جنوده في موضع شمال قصر الشمع المعروف عند العرب بحصن بايلون (١) ولما عزم عمرو على تخطيط الفسطاط ولي الخطاط اربعة من قواده ممن انزلوا الجند وفصلوا بين القبائل ، وكان الجيش الاسلامي في مصر موزعاً على اربعة اقسام ، قسم منه معسكر في الاسكندرية ، وقسم آخر في السواحل ، والقسم الاخران معسكران في الفسطاط ، وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من اصحابه ، واتخذوا فيه اخاديد ،

ولما حاول هرقل غزو الاسكندرية عام ١٩ هـ اقيمت في المدن الساحلية معسكرات للدفاع ، وارسل قسم من الجيش المعسكر في الفسطاط الى هذه السواحل (١) وقد ظلت الفسطاط قاعدة للديار المصرية ، ومقرّاً للإمارة ، حتى بنى العباسيون مدينة العسكر سنة ١٢٣ هـ .

ومن المراكز التي انشأها عثمان بعد عمر :
القيروان :

بناها عقبة بن نافع الجبني الفهري سنة ٤٥ هـ وجعلها معقلاً وحصناً لعسكره ، ومقرّاً لولاية افريقية (٢) وكان موضع غيضة ذات طرفاء وشجر لا يرام من السباع والحيات والمقارب القتالة (٣) الا انها أصبحت بعد ان اختطها من اهم المدن في افريقية الشمالية وبرزها .

ثم هناك الموصل وقد بنيت في عهد عمر بن الخطاب ايضاً وان اول من اختطها واسكنها العرب هرثمة بن عرجة البارقى الازدي (٤) وكان ذلك بأمر من الفاروق .

وقيل ان الموصل كانت في عهد الفرس عبارة عن قلعة وبضعة بيوت فصرها هرثمة بن عرجة الازدي .

وقد شيد الحارث بن يوسف حفيد مروان بن الحكم - وكان والياً على الموصل

١- الطبري والمقرئزي . ٢- معجم الخريطة ص ٩٠ . ٣- فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٣٠ . ٤- فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٢٧ ولزيادة الايضاح راجع تاريخ الموصل للصايغ ج ١ ص ٥١-٥٥ فتطلع على القبائل العربية التي سكنت الموصل منذ ايام الفتح .

في عهد هشام - داراً منيفة من الرخام الخالص والمرمر عرفت بالمنقوشة لما
تمتاز به من النقش البديع كما بنى خانات (فنادق) في الموصل (١)
وهناك الحديثة أيضاً وقد مصرها هرثمة المذكور واسكنها قوما من
العرب (٢) وإلى غير ذلك مراكز عسكرية مهمة لا تستوعبها أطروحتنا هذه . كما
اقبمت حاميات في أماكن أخرى مثل : حمص ، وغزة ، والرها ، واصفهان ،
والاسكندرية ، وكان القصد من بناء هذه الحاميات هو صد هجمات العدو المفاجئ .
وقد ذكروا أنه كان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها
قدر من يحتاج اليه من المسلمين ، فإن حدث في شيء منها حدث من قبل العدو
سربوا إليها الامداد .

ولم تكن هذه المراكز العسكرية إلا معسكرات ومضارب خيام في بادئ
الامر ثم مصرها القواد فتحولت إلى مدن كبيرة ثم أخذت بال عمران شيئاً فشيئاً حتى
صارت تضاهي العواصم العظيمة وامهات المدن ، اذ كان الجند يقيمون في اول
الامر في أكواخ مصنوعة من سقف النخل ، ثم عدل عمر عن هذه الخطة وامر
باقامة الحصون والمعسكرات الدائمة . فمر اول من أحدث مراكز للجيش في
أماكن مختلفة من المملكة تسمى (الجند) وكانت هذه المراكز كما ورد في فتوح
البلدان قائمة في المدينة والكوفة والبصرة والموصل والفسطاط ومصر ودمشق
وحمص والاردن وفلسطين .

والذي نلاحظه في انشاء المعسكرات الاسلامية انهم كانوا لا يقيمون في مكان
بينه وبين المدينة بحر أو نهر ، والمدينة في عهد عمر بن الخطاب مقر خليفة

١- راجع تاريخ الموصل ج ١ عن المنقوشة . ٢- فتوح البلدان

المسلمين وعاصمة العرب ومنها تطلع امداد الجيوش ومنها تساق الميرة الى جبهات الحرب ويدكر البلاذري ان اللحم كان يرسل الى الجيش من المدينة (١) ومنها تصدر الاوامر العسكرية والوصايا والتعليمات واليها يرسل المحاربون الاخماس . فلهذه الاسباب كان العرب اذا فتحوا بلداً جعلوا معسكرهم في بعض نواحيه على اربال تفصل الموانع الطبيعية بينهم وبين مركز القيادة فتتعرقل اذ ذلك الحركات العسكرية وتعطل المواصلات بين الطرفين هذا من جهة واحدة ومن الجهة الاخرى ان العرب قد اتخذوا البادية قاعدة لحركاتهم الحربية وعاصمة لجيوشهم فان البادية كانت آمن ملجأ لهم حينما لا يحالفهم النصر .

هذا وان الغلبة سر لا يدركه احد ، لاسباب وان العرب في بدء اسلامهم لم تكن لهم من الجيوش الحرارة ، والمعداة العظيمة ما للفرس والروم هذا وان المثنى بن حارثة الشيباني بجيشه الذي لم يبلغ الاربعة آلاف مقاتل من عشيرته وبني عمه قد لازم ضفاف الفرات في العراق مدة طويلة وكان يسارع فيلتجئ الى البادية كلما ضايقه الفرس حتى اتخذ ذلك تعبئة ناجحة واوصى سعد بن ابي وقاص ان يقبعها وهي : ان يقاتل الفرس على حدود ارضهم على ادنى حجر من ارض العرب ولا يقاتلهم في عقر دارهم (٢) وعلى هذا لم يبق مغمز للعلامة ابن خلدون فيطعن بالعرب لانهم شيدوا المدن ولم يراعوا فيها الامور الطبيعية (٣) كما لم يبق مجال لدس المؤرخ جورجي زيدان (٤) في هذا الباب .

١- الجغرافية العسكرية للامير السيد طه الهاشمي ج ١ ص ١٢٤

٢- راجع وصية المثنى في كتاب المثنى بن حارثة لمؤلفه عبدالستار

القرغولي ٣- مقدمة ابن خلدون ص ٤١٣ ٤- تاريخ التمدن الاسلامي

تجهيزات الاجناد في عهد عمر

وكانت هذه المراكز العسكرية مجهزة بما يلي :-

١ - احدثت فيها ثكنات عسكرية لاقامة الجند .

٢ - كان لحيل الفرسان حمى خاصة (١) وقد ذكروا انه كان لعمر اربعة آلاف فرس وقد كان يشتمها في قبلة قصر الكوفة وبالبصرة منها .

وفي كل مصر من الامصار الثمانية على قدرها فان نابتم نائبة ركب قوم وتقدموا الى ان يستعد الناس . ولما حدثت الفتنة عام ١٧ هـ قضى عليها بسرعة زائدة لوجود هذا الجيش جاهزاً .

٣ - احدثت في مراكز الجند قيود وسجلات تكتب فيها المعلومات الاحصائية عن الجيش ووجوده ونفقته وغير ذلك من التفاصيل .

٤ - كانت اعتاد وذخائر الجيش تخزن في هذه المدن ومنها توزع على الجيش .

وما كان قادة الجيوش الاسلامية ليزيفوا عن اوامر قائدهم الاعلى (وهو الخليفة) قيد شعرة ، وانهم عندما استأذنوه في بناء المعسكرات والمدن اخذوا رايه فانفذ اليهم الوصايا فعملوا بمقتضاها .

واليك ما كتبه عمر الى عمرو بن العاص عندما كتب اليه يستأذنه في سكنى الاسكندرية وقد تم الاستيلاء عليها وجلا من كان يسكنها من الروم : - « اني لا احب ان تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فلا

« ١ » انظر كتاب خلاصة وفاء الوفاء للسمهودي فقد ذكره حمى ، المدينة

المسمى بالربذة و « حمى » ضرية القريب من مكة .

تجمعوا بيني وبينكم ما متى اردت ان اركب اليكم راحتي حتى اقدم اليكم قدمت (١) «

وعلى هذا تحول عمرو بن العاص الى فضاء ومزارع بن النيل والمقطم واسس مدينة الفسطاط وصارت قاعدة للديار المصرية ومقراً للامارة حتى سنة ١٣٣هـ (٢) واليك ايضاً ما كتبه الى سعد بن ابي وقاص وهو بشراف (٣) بريد العراق وحرب الفرس :- « . واذا انتهيت الى القادسية والقادسية في باب فارس في الجاهلية وهي اجمع تلك الابواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الاصل وهو منزل رقيب خصيب رقيب دونه قناطر وانهار ممتعة فتكون مسالحك (٤) على انقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات الحجر وحافات المدر والجراخ بينهما ثم ازم مكانك فلا تبرحه فانهم اذا احسوك انقضت رموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم فان اتم صبرتم لدوكم واحتسبتم لقتاله ونوئتم الامانة رجوت ان تنصروا عليهم . . . وان تكن الاخرى كان الحجر في ادباركم فانصرفتم من ادنى مدرة من ارضهم الى ادنى حجر من ارضكم ، ثم كنتم عليها اجراً ، وبها اعلم وكانوا عنها اجبن وبها اجبل » (٥) .

« ١ » تاريخ عمرو بن العاص ص ١٣١ . « ٢ » تاريخ عمرو بن العاص ص ١٣٥ . « ٣ » شراف بين واقصة والفرعاء ومن شراف الى واقصة ميلان وهو المحل الذي نقل اليه المثنى بن حارثة الشيباني ومات فيه « الناشران » ، « ٤ » المسالـح : جماعة المسلمين وفي اصطلاح الحرب الاكن النقط العسكرية او خطوط الدفاع . « ٥ » ورد نص الكتاب في الطبري وابن الاثير ونقله صاحب كتاب اشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة ج ١ ص ٤٥٨ .

وكتب مثل ذلك المثنى عندما كثرت جموع الفرس فقلت جموع المثنى فنكصوا
من المدائن الى ذي قار (١) .

هذا وهناك عاملان آخران ارى الخليفة قد ذهب اليهما واصاب شاكسة
الصواب فيهما .

الامر الاول : —

انه تخوف ان تنفشي الامراض بين الجنود وتسري العدوى اليهم ، فلقد
رأى سنة ١٧ هـ « ان العرب قد رقت بطونها ، وجفت اعضادها ، وتغيرت
الوانها ، فقليل له انهم تأثروا بوخامة الهواء فكتب الى سعد : — « أن ابعث
سليمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلا برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا
جسر » . فلما استقروا في المعسكرات بعيدين عن المدائن الفارسية رجع اليهم
ما كانوا فقدوا من قوتهم » (٢)

الامر الثاني :

انه تخوف ان تفسد اخلاق الجند باختلاطهم مع الفرس والروم والبربر
وغيرهم من العناصر المختلفة ، ولذلك كان يساعدهم بان يستعجبوا معهم النساء
والعيال ، فاقعدتهم الغيرة على نسايتهم عن الدنو من المدن او الاختلاط بسكانها
الغرباء ، ولذلك كان القواد يخصصون للنساء اللاتي يصحبن الجيش اما كن في
المدن المعينة والمعسكرات ولهذا كانوا يعتنون كثيراً بـ (٣) :

آ — الضبط داخل المعسكرات

١» راجع نص الكتاب في تجارب الامم لابن مسكويه ج ١ ص ٣٤٩ .

٢» الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٢٠٤ . «٣» سيد امير علي ص ٦٤ .

فلقد فان القواد يحافظون كل المحافظة على حسن سلوك الجند ، ويشددون العقاب على كل من يعث بالنظام او يتعرض لاهالي البلاد المفتوحة بسوء (١) .
ومما ساعد على حسن سلوكهم تحريم الخمر ، وكان الجندي لا يقيم في الجيش اكثر من اربعة اشهر اذا كان بعيداً عن امرته (٢)

ب - مراقبة النظام :

ومن القضايا المهمة التي احدثها عمر بن الخطاب هي مراقبة حركات الجيش وسكناته والاطلاع على اخباره وهو مقيم في المدينة وكأنه مقيم بين ظرائفه ، فقد كان لعمر موظف خاص يستطلع اخبار الجيش ، وينبئ بها الخليفة ، قال الطبري : « وكانت لعمر العيون في كل جيش فيكتب الى عمر بما كان في تلك الغزاة وبلغه الذي قال عتبة وكان من جراء ذلك ان يطلع على الاخبار في اوقاتهما ويحول دون وقوع حادث مكدر ، ومما يذكر في هذا الصدد انه اتصل بعمر نبأ مؤسف عن عمرو بن معد يكرب في حروب الفرس بأنه حقر قائداً من قواد الجيش ، فارسل اليه كتاب تعزير كان له اكبر الأثر في نفس عمرو .

ومثلاً لم يقم الجيش العربي الذي فتح مصر في الاسكندرية كذلك لم يقم الجيش الآخر الذي فتح العراق في المدائن ، أو القصور الفارسية التي غادرها العجم ، ولا كنهم لم يجحدوا على هذه القاعدة ، ولا حاسبهم الخليفة على إهمالها انما اصدر أوامره اليهم في الانسحاب ، واستثمار النصر بمطاردة العدو ، والتعسكر أنى شاؤا ، وذلك بعد أن تكاملت قواتهم ، وكثرت جيوشهم وتوسعوا

١٠. راجع وظائف الانضباط للعقيد قاسم شكرى . ٢٠. راجع سيرة عمر

بافتوحات ، وثبتوا من النجاح في حر كآتهم الفعلية ، ألم تروا كيف أسكن سعد
ابن أبي وقاص جنوده في دور المدائن ، وكيف أسكن الحجاج بن يوسف الثقفى
جنوده في بيوت الكوفة .

أما ثكنات الجيش الاموي

فلقد كانت كثيرة ، وفي اماكن متعددة ، فلقد سار الامويون على أثر
الخلفاء الراشدين في اختطاط المدن وتمصيرها ، وانزال الجنود فيها ، واعتنوا
كثيراً في توسيع هذه الثكن ، والاكثر من الاهراء لحزن الطعام والارزاق
والعلوفة ، وبناء الاصطبلات لايواء الخيل ، ولم تزل الممارات في عهدهم سائرة الى
التحسن والتوسع حتى أصبحت أمصاراً خطيرة الشأن ، زاهرة بالعلوم والفنون ،
زاخرة بالمقاتلة والسلاح والمؤن ، والتجهيزات وسائر المهمات ، حافلة بالعيال مواجة
بالايدي العاملة التي تمد المقاتلة بكل لوازمها ومعداتهما ، فنههم الفلاحون الذين
يهيئون الغلات ، ومنهم الصناع الذين يعملون الاسلحة ، ومنهم أرباب الحرف
الذين يعدون النسيج ويخيطونه ، وغيرهم وغيرهم كثيرون .

هذا ولست اجد متسعاً من الوقت لانكلم عن كل معسكر شيدوه او ثكنة
بنوها او مصر اختطوه ، وسوف اقتصر على الاشارة اليها .

فمن تلك المدن :

واسط : - بناها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٣ هـ وأتمها سنة ٨٦ وجعلها

دار الامارة ، ولا تزال اطلالها قريبة من بلدة « الحبي » ماثلة

للعيان (١) . واذا عرفنا ان الحجاج انفق على بناء قصره والمسجد

الجامع والحدائق والسور ٤٣ مليون درهم أدر كنا أي مدينة هي ؟

شيراز : - وهي مدينة في بلاد فارس جنوباً ، بناها محمد بن القاسم بن ابي

عقيل الثقفي وهو ابن عم الحجاج ؛ وكانت شيراز قاعدة عماد الدولة

بن بويه (٢) ووصفها ياقوت بأنها بلد عظيم ، وانها مما اختط

في الاسلام واول من تولى عمارتها محمد بن القاسم .

المحفوفة : - بناها الحكم بن العوام السكلي ، وجعلها مأوى للمسلمين في بلاد

الهند ، فصار المسلمون يفزون من المحفوفة (٣) .

الرمكة : - بناها سليمان بن عبد الملك في خلافة ابيه عبد الملك قال في «المزني»

وهي قصبة فلسطين وميناؤها مدينة يافا ، وبناها ٦ أميال (٤) .

عسكر مكرم : - مدينة اختطها بالاهواز مكرم بن معزاه الخارث صاحب

الحجاج بن يوسف فكانت معسكراً له ، وقيل كانت هناك

قرية قديمة فبناها مكرم ولم يزل يبنى ويزيد حتى جعلها

مدينة (٥) .

وغير هذه المعسكرات كثير مثل مكران وجرجان والبيضاء وكسال والرافقة

«١» معجم الخريطة ص ١١٢ هذا وان خير ما كتبت عن واسط ،

المقالات المتسلسلة التي نشرتها مجلة - الاعتدال - النجفية للشيخ علي الشرقي

ثم ما كتبه يعقوب سر كيس عن آثارها . «٢» معجم الخريطة ص ٦٥ .

«٣» الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ٢١٨ . «٤» صبح الاعشى ج ٤ ص ١٠٠

«٥» معجم البلدان ج ٦ ص ١٧١ .

والمنصورة فيقتضي اشرحها مراجعة معجم البلدان لياقوت الحموي وغيره وفي ذلك تطويل لا تقصده .

المسالخ

وشيدوا كذلك مسالخ متعددة في خوزستان . اقاموا فيها جنداً نظامياً وأهم هذه المسالخ كانت في أنهر متبري والمناذر وسوق الالهواز وهرمزان وبنيان وسوسن وجند يسابور . ومهرجان قندق .

وكذلك أقاموا في مسالخ الري واذريجان عشرة آلاف مقاتل . وقد ذكر المؤرخ الكبير شلي النعماني ، العوامل التي حملت عمر (رض) الى تشييد هذه الحصون ، فقال : ان المسلمين كانوا يعتمدون على قوام البرية في الحرب والدفاع لعدم وجود قوات بحرية لهم تصون سواحلهم وموانئهم ، أما الروم فقد كانت قواتهم مجهزة بأنواع النوسائل الحربية .

وقد كان المسلمون لا يخشون انتقاض رعاياهم الذين يقطنون في ولايات الروم السابقة ، لان هؤلاء رغم اختلاف الدين كانوا يفضلون حكم المسلمين على الروم . وكان الراجح ان الروم سيحاولون القيام بهجوم بحري . لاعادة المقاطعات التي اضاعوها ، لذلك أمر الخليفة بتحكيم السواحل والتخوم . أما في العراق فقد كانت الوضعية تختلف عن تلك ، لان ولاية الفرس كانوا رغم سقوط حكومتهم يحاولون استرداد اراضيهم لذلك شيد المسلمون مسالخ ومعسكرات في المراكز المهمة للحيولة دون تمرد هؤلاء الولاة . »

أما المراكز التي بناها بنو العباس

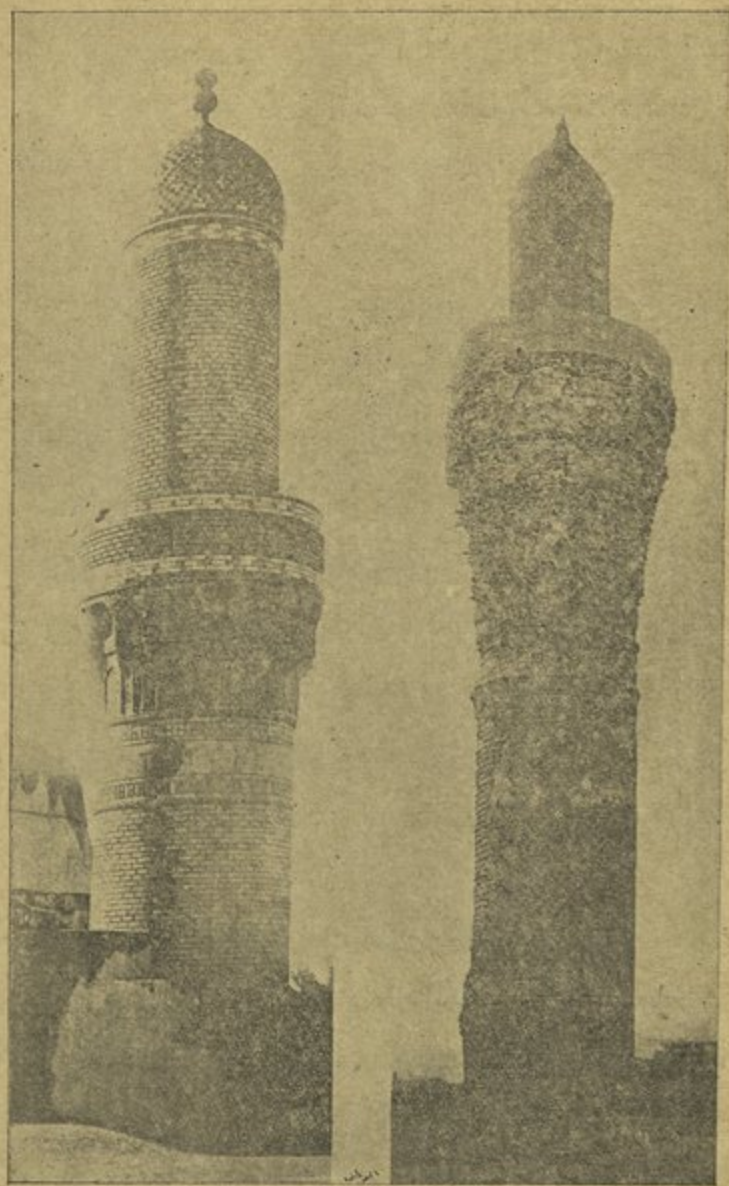
فليس لنا إلا أن نأتي على أهمها ، فمنها : - عسكر أبي جعفر (١) وهي مدينة السلام : - وهي بغداد عزم المنصور على تأسيسها . . . فخرج يرتاد مسكنها لنفسه وجنده ويبتني بها مدينة . حتى صار الى موضع بغداد في جانب الكرخ وقال : « هذا موضع معسكر صالح ، هذه دجلة ، ليس بيننا وبين الصين شيء ، يأتينا فيه كل ما في البحر ، وتأتينا الميرة من الجزيرة وارمينية وما حول ذلك . وهذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقه وما حول ذلك » فنزل وضرب عسكره على الصراة ، وهو نهر بين دجلة والفرات ، ثم امر بخطط المدينة على مثال وضعه ، وهي مدورة الشكل تقريباً وجعل لها سورين وفيها أبرجة ، وللمدينة أربعة أبواب ، وجرا إليها الماء من دجلة والفرات ، وكان بناؤها سنة ١٤٥ هـ ولا أرى حاجة للتبسط في وصف عظمتها وعمرائها ، وهي حاضرة بني العباس الكبرى ، وأم الدنيا وسيدة البلاد ومهد الحضارة العباسية آنذاك وعاصمة المملكة العراقية ومطمح انظار العرب في هذه الايام .

وانتي لاستنبط ان المنصور قد أجرى استطلاعاً تعبويًا وسوقيًا في غاية الدقة ، قبل ان يبني عسكره في موضع بغداد .

وكانت المقاصد العسكرية التي توخاها هي : (٢)

أولاً - اذا حاربه أحد كانت دجلة والفرات والصراة خنادق لعسكره .

١٠ العسكر لغة واصطلاحاً مجتمع الجيش . ٢٠ ذكر ذلك مجملًا كل من ابن الاثير في كامله ج ٥ ص ٢٠٧ ، وابن الطقطقي في آدابه السلطانية ص ١١٨ وغيرهما كثيرون .



مئذنة معروف الكرخي

مئذنة جامع الخلفاء - سوق الغزل -

ثانياً — ان الميرة تأتيه في دجلة من ديار بكر والموصل وغيرها من شمال العراق ، وتأتيه من البحر والهند والصين والبصرة وواسط من الجنوب (١)

ثالثاً — تأتيه الميرة أيضاً من خراسان وبلاد المعجم في شط تامرا (أي مهر ديالي) .

رابعاً — تأتيه الميرة من أرمينية وما اتصل بها بالزاب .

خامساً — تأتيه الميرة في الفرات من الرقة والشام .

سادساً — انه بين أنهار لا يصل اليه الا على جسر أو قنطرة فاذا قطع الجسر او ضرب القنطرة لم يصل اليه عدوه .

سابعاً — انه متوسط للبصرة والسكوفة وواسط والموصل والسواد .

ثامناً — انه قريب من البر والبحر والجبل .

كل هذه العوامل السوقية ، استعرضها المنصور بفكره ، فقدر الموقف حق قدره ، وأمر بالبناء .

٢ — عسكر المهدي : سمي بذلك لان المهدي عسكر به عند شخوصه من الري ويقع في جانب الرصافة بناها المنصور سنة ١٥١ للهدي وجوده وعمل لها سوراً وخندقاً وميداناً وبستاناً وأجرى لها الماء (٢) فكانت معسكراً دائماً ، توفرت فيه كل شروط الإقامة للجند ، بصورة دائمية او مرورهم منها بصورة مؤقتة ، وكذلك بلدة : —

« ١ » وذلك بطريق بحر العرب بخليج العرب فدجلة الموراء الذي هو الآن شط العرب فمهر دجلة . « ٢ » معجم البلدان لياقوت

٣- الرافقة : أسسها المهدي في سنة ١٥٥ هـ على طراز مدينة بغداد ، فكانت تستوعب من الجنود والخيول عشرات الالوف ، ومنها طعامهم وعلف خيلهم ، وكذلك مدينة سامراء او :

٤- عسكر سامراء : وتقع على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخاً ، نزلها المعتصم ، وبدأ بالبناء سنة ٢٢١ هـ فبنى داراً وأمر عسكره بمثل ذلك فعمر الناس حول قصره وبنى مسجداً جامعاً في طرف الاسواق وانزل أشناسم بمن ضم اليه من القواد كرخ سامراء ، وما زال البنيان يتسع حتى صارت مدينة من اعظم الحواضر الاسلامية وكادت تضارع بغداد .

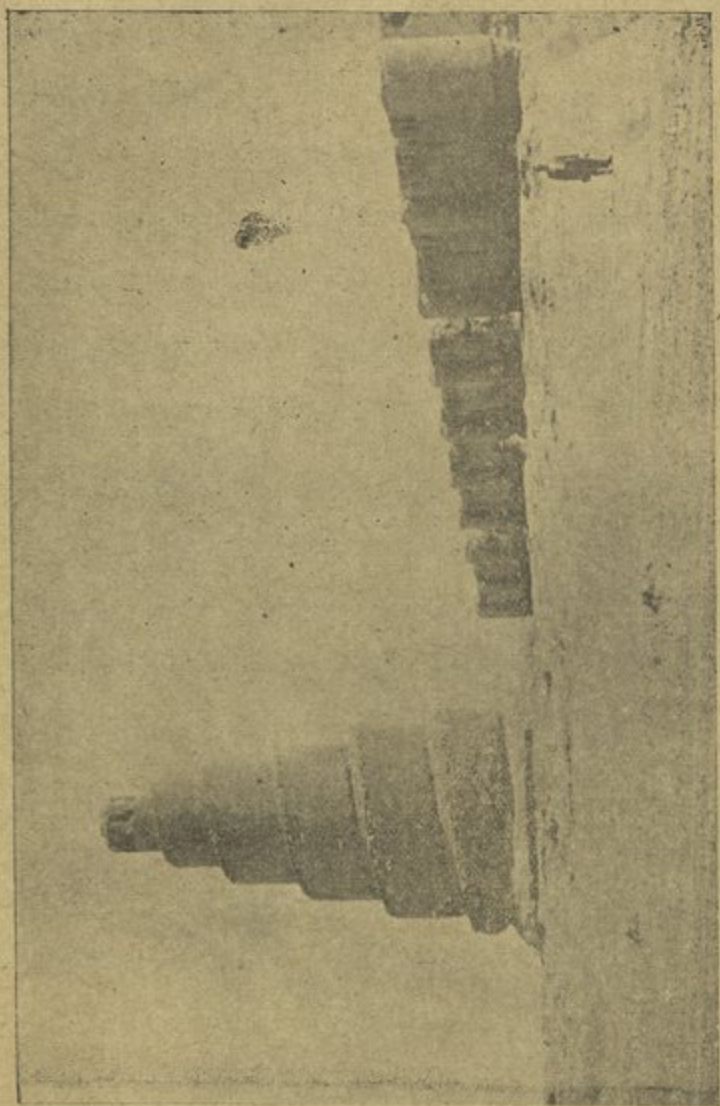
وان اعظم اتساع وحضارة لها كان في عهد المتوكل على الله بن المعتصم ، قال البستاني « ولا أشك ان طول البناء كان اكثر من ثمانية فراسخ » (١) قلت اي نحو ٢٨ ميلاً (٢) وليس بهذا الحجم اكبر العواصم الاوربية في ايامنا هذه .

وأما سبب خروجه

« فهو ان الساكن والطرق ضاقت على الناس ببغداد لكثرة العساكر التي تجمعت مع المعتصم ، وذلك ان جميع عساكر المأمون وعسكر ابنه العباس ، انضافت الى المعتصم ، وكثر غلمانهم الاتراك ، وكان لا يزال يوجد الواحد بعد

« ١ » دائرة المعارف مادة سامراء . « ٢ » وذلك باعتبار الفرسخ ٣٠٤١

ميلاً حسب تحقيقنا .



ملوكة ساسراء وجامعها

الواحد قتيلا في الارباض والدروب، وذلك انهم كانوا يركبون الدواب ويتراكضون في طرق بغداد، وشوارعها، فيصدمون الرجل والمرأة، ويدسون الصبيان فيأخذهم الشبان فينكبونهم عن دوابهم، ويخرجون بعضهم ويقتلونهم سرا، فتأذى الاتراك بالعوام، والعوام بالاتراك حتى شكت الاتراك الى المعتصم . فخرج فبنى سر من رأي « ولقد بلغ من كثرة تأذي الناس بجند الاتراك » أن المعتصم ركب يوم عيد الى المصلى فقام اليه شيخ فقال : لا جزاك الله عن الجوار خيرا ، جاورتنا وأنت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا ، فأيتمت صبياننا ، وأرملت بهم نساءنا وقتلت بهم رجالنا « ولا شك ان هذا التصريح لم يكر رأي الشيخ وحده ، ولا شعوره الخاص ، ولا كنه شعور العرب والاسلام العام

والذي أعتقده ان الاسباب القسرية التي دعت المعتصم للانتقال من مدينة السلام الى عسكر سامراء هي :

اولا - انه صار يتخوف ثورة العراق بوجهه ، منذ أن ثاروا بوجه اخيه المأمون من قبله ، عندما ترك زمام الحكم بيد الفرس ، وفسح لهم المجال الواسع في ادارة دفة المملكة ، تلك السياسة الغربية التي ادت الى ضمف الجامعة العربية ، كما ان المعتصم نفسه قد اقتضى اثر اخيه في الاكثار من الاتراك وتبجيل قادتهم ، وتسليمهم شؤون الدولة ، وانفاق امواله عليهم دون سواهم .

ثانيا - انه صار يتخوف من الجنود العربية ، لما كان من توجيه عنايته بغيرهم كما أسلفنا ، فانه لم يزل الى ذلك الوقت فرق « الحرية »

مثبتة في الدبوان ، ولم يزل قوياً جانبها ، حتى ان المعتصم نفسه
كان يصرح فيقول : « إني أخوف هؤلاء الحربية ان يصيحوا صيحة
فيقتلون غلماي ، فاريده ان اكون فوقهم ، فان رابني منهم شيء
اتيتهم في البر والماء ، حتى آني عليهم » .

ثالثاً - إنه ابتعد عن بغداد ليتخلص من دسائس الفرس التي ماجت بهم
بغداد آنذاك ، فانهم ما فتئوا يثيرون الدسائس وبحر ضوئ على
الشعب ، ويبثون الدعاية بين البغاددة وبين جنده ، سيما وان الفرس
قد لمحوا ازوراراً من جانبه اليهم .

وتلك هي نفس العوامل التي دعت المذوكل على الله ان يهجر سامراء
وينتقل منها الى دمشق الشام (راجع التاريخ) .

رابعاً - لتكون له شخصية خاصة تظهر فيها عظمتة بجلاء وعلى كل « فقد
ضافت بغداد عن عسكر المعتصم » (١) .

٥ - العسكر وهو أول معسكر أسسه العباسيون ، وذلك انه عندما انحدر
مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في معركة الزاب فرياً ، فتعقبه
الجيش العباسي الى الفسطاط ، فعسكروا بضواحيه ، وسماوا مقامهم
« العسكر » ثم بنى الناس هناك ، وصار المكان مدينة مثل الفسطاط ،
اسمها « العسكر » وذلك سنة ١٣٣ هـ ويسمى بعسكر مصر ايضاً .

٦ - الرجة ، وكانت مدينة عظيمة من بلاد الجزيرة ، وتعرف برجة

مالك بن طوق وهو قائد من فواد هرون الرشيد ، لانه اول من عمرها فنسبت اليه .

٧ - اسكندرونة ، اخبر القرماني (١) أنها بليدة كانت على ساحل البحر والآن (أي سنة ١٠٠٨ هـ) خراب ... وهي على ثلاث مراحل من حلب بناها احمد بن أبي دؤاد .. الى غير ذلك مما لو أفضنا فيه لخرجنا عن الصدد .

واذ انتهيت من اعطائكم فكرة حول المدن العسكرية التي بناها ينو العباس وكيف انهم كانوا يراعون في بنائها العوامل التعبوية والسوقية ، وانهم بنوا عدة مدن من هذا النوع ، فلننظر الآن أ كان العباسيون يهتمون بخطوط المواصلات التي تربط جيوشهم بهذه القواعد ؛ وهل كان لهم منها ما يؤمن زحف جيشهم او تموينه بجميع الذخائر والمهمات ، او امداده بالقوات ، أو تأمين اعمال البريد ، فلندلي ببضعة امثلة يتبين لنا منها درجة ما توصلوا اليه في اصلاح :

خطوط المواصلات وطرق البريد

فلقد كان من اهم اعمال السفاح ببناء الابراج على طريق الحج من الكوفة الى مكة (٢) فانه ضرب المنائر والاميال من الكوفة الى مكة ؛ وكانوا يحسبون

« ١ » ص ٢٨٤ من تاريخه .

« ٢ » راجع حماة الاسلام ج ١ ص ١٤٢ — ١٤٣ لبيان اول من عمل

المنائر وعلامات الاميال هو الوليد بن عبد الملك .

راجع ايضاً دائرة المعارف للبستاني مادة « تلغراف »

« كتاب القاسمي في التلغون

« مجلة المشرق بحث وسائط المواصلات

« سيرة ابي بكر للطنطاوي ص ٢٥٠

الارض بالذراع الهاشمية وعند تمام الميل يكتبون عليه كلمة واحد ثم اثنى وهكذا وقد جعلوا في الطريق مناراً به يأمن السارون الضلال في تلك النياقي وهو عمل عظيم .

والمناظر هي كالابرار العائلة على المرتفعات ، فتقل الاشارات عليها لاشغال النار او نحوها ، ينتقل الخبر بها من منظر الى منظر (١) حتى تبلغ المكان المطلوب واول من اتخذ ذلك في الاسلام الحجاج بن يوسف الثقفي على انها طريقة كانت معروفة لدى اليونان .

واهتم المهدي بطريق الحج الى مكة ، اهتماماً كبيراً ، فأمر ببناء القصور أوسع من القصور التي كان السفاح بناها من القادسية الى زباله . وأمر بالرياسة في المصانع ، وهي احواض تبنى وتملأ من مياه الآبار حتى يكون الاستقاء سهلاً على رجال القوافل الذين لا ينقطع مرورهم من تلك الجهات ، وأمر بتجديد الاميال والبرك وحفر الركاب مع المصانع وجعل لذلك عاملاً خاصاً يقوم به ، وهكذا أصبح الطريق من القادسية الى بغداد ، ومنها الى مكة ، من طرق المواصلات المهمة

« ١ » المنظر : وهو الموضع الذي ينظر منه ، وقد يغلب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق وغيره ياقوت ج ٨ ص ١٦٥ وتسمى في هذا العهد المناظر . وهي قباب مبنية على رؤوس الجبال العالية بين كل بلد وآخر ، بحيث يتقارب بعضها من بعض ، ويشرف بعضها على بعض ، وكان يقام فيها حراس يوقدون النار عندما يرون اقبال العدو من جهتهم ، فيوقد حراس المنظر الذي يليهم كذلك وهكذا حتى يصل الخبر الى المدينة او الثغر او المسلحة في زمن قليل فيسرعون لامداد الجهة التي اقبل منها العدو .

وصالحاً لاجراء الحركات العسكرية اذ يتسنى لجميع الصنوف العسكرية آنذاك ان تسلكه لما في مراحلها من المعسكرات التي توفرت فيها المياه بتلك الهمم القعساء .

ومن هنا نرى ان العباسيين كانوا اشد اهتماماً في امر الخبابة ، وتأسيس المواصلات بين وحدات المحاربين والجيوش المجاورين ومقر الخلافة في كل آن وكل مكان ، فانهم كانوا على صلة قوية مستمرة رغم الابعاد الشاسعة والصعوبات المتولدة من مناعة حالة البلاد الجغرافية ، فان البادية الشاسعة بين سورية والعراق ، والصحاري القاحلة بين مقر القيادة العام والجيوش المحارب لم تكن مانعة للمواصلات يوماً من الايام ، كما لم تمتنع على العرب في عهد الراشدين او الامويين .

ثم انه في سنة ١٦٦ هـ امر فاقم له البريد من المدينة ، ومن اليمن ، ومكة الى الحضرة ، بغالا وابلا ، قال الذهبي : « وهو اول من عمل البريد من الحجاز الى العراق » .

اذ لم يبق هنالك بريد قبل ذلك ، ولقد اساء الظن ببعض المؤرخين بهذا العمل الجليل فقال انه اقام ذلك لما يروم من تناول الاخبار ومناولة الرسائل على وجه السرعة اذ كان على تيقظ من العرب في مناصرتهم لاهل البيت بالمواطن المشرفة كما كان على حذر من اهل الشام في استظهارهم على عماله ، بمن يجاورهم من العرب الذين ما كانوا يحكم العباسيين راضين سوى نفر قليل كانوا يحملون الضيم لخلافة السواد الاعظم من قبائلهم ، ولذلك كان يرى المهدي امداد عماله بالرجال ، والعرب بالمال حيناً بعد حين « (١) ولكن لم يدر ان البريد كان عاماً ، ومجاناً على حساب الدولة .

وعدا ذلك فقد كانوا يعلقون في اعناق الدواب جلاجل لاعلام الناس
بوصول البريد او سروره .

وغير ذلك فالمهدي ، ممن اعتنى بالحمام الرسائي من خلفاء بني العباس ،
(والواثق بالله) والناصر ايضاً (١) ، حتي تنافس فيه رؤساء الناس في العراق ،
لاسيما بالبصرة ... وبالغوا في ائمانه ، فبلغ ثمن طائر منها جاء من خليج القسطنطينية
الف دينار .

وكانت المخبرة بالحمام الرسائي متواصلة في عهدهم بين بلدة اسكندرونه
وبغداد وكان عندهم آلات خاصة لنقل حمام الزاجل الى الامكنة القاصية ، ولا
يخفى ما لعبه هذا الحمام في حروب الحصار ، وفي الحرب العامة الماضية عندما كانت
تتعطل محطات اللاسلكي بتناوب المدافع ... ثم انهم كان لديهم طريقة اخرى
لايصال الاخبار في النهر عدا استخدام سفن البريد وهي ان يضعوا الرسائل في
قصة تربط برزمة من حشيش وترمي في النهر ، وذلك اذا كان المرسل اليه على
طريق المجرى هذا وان هذه الطريقة القديمة جداً (راجع كتاب الطائر الغريد) .
بينما الفرنج لم يعرفوا فضل حمام الزاجل قبل دخولهم البلاد الشرقية في القرن
الحادي عشر وكانت حمامة بطاقيّة وقعت في خيامهم صدفة فرأوا معها كتباً الى
العدو ، ولم يشع بينهم استعمالها إلا في القرن السابق . فان في سنة ١٨٤٠ انشأت
شركة هافاس بين لندن وبروكسل وباريس ابراجاً لحمام الرسائل (٢)
ثم كان لبني العباس العداؤون لا يصال الاخبار .

(١) « صبح الاعشى ج ١٤ ص ٣٩٠ — ٣٩١ . » « ٢ » مجلة المشرق السنة

السادسة - ١٩٠٣ - ص ٨٢٥ وما بعدها .

غير ان المقتطف اورد في عدده ٦ من المجلد ٤٣ ص ٦٠٤ - سنة ١٩١٣ -
عن العدائين بحثا مسها فراجعه .

ولناخذ مثلا آخر خليفة آخر ، فان المعتصم قبل ان يحرك الجيوش العباسية
لقتال بابك الخرمي سنة ٢٢٠ هـ .. أمر ان تبني الحصون التي خربها بابك فيما
بين زنجان وأردبيل ويجعل فيها الرجال مسلح لحفظ الطريق لمن يجلب الميرة الى
أردبيل .. ثم نظم البريد بينه وبين الجيش فجعل من سامراء الى عقبة حلوان
(وهي نهاية الاراضي السهلة) خيلا مضمرة على رأس كل فرسخ (١) فرس معه
محرج مرتب فكان يركض بالخيال ركضاً حتى يؤديه من واحد الى واحد بدأ
بيد ، ومن حلوان الى أذربيجان (وهي منطقة جبلية وعرة) رتب فيه دواج
المرج ، فكان أصحاب بها يوماً أو يومين ثم تبدل وبصير غيرها ، ويحمل عليها
غلمان من أصحاب المرج كل دابة على رأس فرسخ ، وجعل له دياذبة (٢) على
رؤوس الجبال بالليل والنهار ، وأمروا ان ينعموا اذا جاءهم الخير ، فاذا سمع
الذي يليه النعير تهاياً فلا يبلغ اليه صاحبه الذي تعبر حتى يقف له على الطريق ،
فيأخذ الخريطة (٣) منه ، فكانت الخريطة تصل من عسكر الافشين الى سامراء
في اربعة ايام وأقل (٤) .

انما هناك قضية اخرى ، فان الخليفة المهدي العباسي ليس اول من نظم البريد

١٠. الفرسخ = ٣،٤١ ميلا حسب تتبعاتنا . ٢٠. الدياذبة هم الحراس .
٣٠. الخريطة جراب او كيس من جلد توضع الكتب فيه وتختتم بختم المرسل ،
وتحمل الى المرسل اليه ، فيفرض ختمها بيده او بيد من يتولى ذلك عنه .
٤٠. المحاضرات للخضري ص ٢٢٢ .

بل ان نظام البريد قد ادخل في الاسلام منذ ايام معاوية بن ابي سفيان ،
وان امره لم يحكم الا في عهد عبد الملك بن مروان راجع لتفصيل ذلك : (١)
ويخبرنا البلاذري : « ان الزط غلبوا على البطيحة ... وكان الناس في بعض
ايام المأمون قد تحاموا الاجتياز بهم وانقطع عن بغداد جميع ما كان يحمل اليها
من البصرة في السفن ، فلما استخلف المعتصم بالله تجرد لهم ، فرتب بين البطائح
ومدينة السلام خيلا مضمرة ملهوبة الاذئاب .

ولقد قيل إن لفظ البريد عربي ، وذهب آخرون الى انه فارسي معرب ،
واصله بالفارسية « بريد دم » ومعناه مقصوص الذنب وذلك لان الفرس كانوا
يقصون ذنب بقل البريد ليمتاز بذلك عن غيره من الدواب الاخرى (٢)

و كانت اخبار الزط تأتيه بمدينة السلام في ساعات من النهار او اول الليل (٣)
ويذكر ياقوت الحموي : « انه كان بكسكر (٤) قبل خراب البطيحة نهر يقال له
الجنب وكان عليه طريق البريد الى ميسان ودستميسان والاهواز في جنبه القبلي
فلما تبطحت البطائح معي ما استأجم من طريق البريد آجام البريد (٥) ولقد تبين
لنا من هذه الامثلة القصيره ، ان خلفاء ، بني العباس ، كانوا يعتنون كثيرًا بخطط

١٠ ، صبح الاعشى ج ١٤ ص ٣٦٦ - ٣٦٨ والفخري ص ١٠١ - ١٠٢
وهامش حقائق الاخبار والتعريف بالمصطلح الشريف . ٢٥ ، تاريخ الاسلام
السياسي ج ١ ص ٥٨٥ ، ٣٥ ، فتوح البلدان ص ٣٦٩ وابن الاثير ج ٦ ص
١٥٠ . ٤٥ ، كسكر : كورة واسعة قصبتها واسط - الحبي - وتقوم على آثار
واسط القديمة ، قال بعضهم انها - قلعة سكر - نفسها وفي ذلك نظر .
٥٥ ، معجم البلدان لياقوت : مادة : آجام للبريد .

المواصلات البرية منها وللهمة ، وفضلا عن استخدام هذه الخطوط لمقاصد النقل ومسير الجيوش ، فلقد اتخذوها طرقا للبريد ، وبنوا ما بينها مئات المحطات البريدية ، التي كانت تسمى عندهم بالسكك ، ولقد بلغ من اهتمامهم بوصول الاخبار بسرعة « ان بلغ عدد سكك البريد في ابان الدولة العباسية (٩٣٠) سكة ، بينما بلغت نفقات الدواب واثمانها وارضاق رجالها (١٥٩١٠٠) ديناراً في السنة » (١) « وكان للبريد في عهدهم ثمانية خطوط كبرى اي عمومية ، وذلك ما بين بغداد وكل من البلاد الآتية . حلب ، والشام ومصر ، والحجاز ، واليمن ، والعراق ، وارمينية ، وحدود فارس ، ومع هذا الاتساع كانت الاشغال سائرة بكل دقة في مواعيد السفر والوصول والامنية ، فقد كانت اسكل خط (فرنوق) (٢) للملاحظة سير السعاة والخيالة وحالة المحطات .

وقد كان هذا بمثابة مفتش وكان جميع هؤلاء (الفرنوقات) مضطربين ان يقدموا تقاريرهم عن كل ما يحدث في الخطوط الى عموم الادارة في بغداد التي كانت النقطة المركزية . والرئيس العام يمرض ملخصه ما يهم من ذلك على الخليفة نفسه الذي كان يهتم بالبحث عن احوال البريد وعماله ويصدر او امره بتعيين الرؤساء ورواتبهم ، وكان للبريد لائحة عمومية تحتوي على قوانين البريد وسيره وجغرافية الطرق وبيان الاسفار (٣) فانظروا الى اي درجة وصلوا ، واي

« ١ » تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ٢٢٢ « ٢ » فرنوق كلمة معربة عن برونك الفارسية ، معناها منذر او دليل « ٣ » راجع الطائر الغريد في وصف البريد لنعمان انطون ص ٢١ — ٢٣ فهناك فصل في هامش الكتاب يقتصر فيه المؤلف على تاريخ البريد وتطوره عند العرب ، على ان الفصول المهمة عن ذلك تجدها في صبيح الاعشى

فضل عظيم للعرب في نظام البريد ، ولا شك ان ميل العرب الطبيعي للتنقل بالاسفار كان اعظم مساعد على اطراد سير البريد الطويل ما بين البلاد الشاسعة بكل ضبط ، هذا ولا يمكنني استقصاء هذا البحث عن الدولة العباسية ، فلقد شرح المؤرخون عن احواله عندهم اكثر من باقى البريد .

ولقد مضى العصر الذهبي للعباسيين ، واقبل دور انحطاطهم ، ولكنهم لم يغفلوا عن شؤون البريد ، حتى كان للعرب ساعة ماهرين ، فمنهم من اشتهروا بايصال الاخبار بسرعة تحار فيها العقول « كفضل » و « مرعوش » فانها فاقت كل الساعة في عهد معز الدولة « وكان كل واحد منهما يسير في اليوم نحو (٤٠) فرسخاً اي نحو (١٦٠) كيلومتراً . ولم يزل هنالك ساعة تسمى (نجابة) تنقل الاخبار بين مكة والطائف في (٢٤) ساعة ذهاباً واياباً .

الطرق والجسور

« .. وكان يعنى باقامة الجسور وتعبيد الطرق واصلاح ما اندثر من الطرقات القديمة ، وكان يستفيد من الصنائع في البلاد المفتوحة ، كما جرى في مصر فان عمرو بن العاص خرج بالمسلمين وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد اصلحوا لهم الطرق واقاموا الجسور والاسواق (١) وقد ذكر المقرئ ان القبط كانوا يقومون بمثل هذه المشاريع من تلقاء انفسهم نظراً لما رأوه من عدل المسلمين وشق العباسيون الطرق في الاراضي الجبلية ، وجعلوها طرقاً صالحة لسيير الصنوف المختلفة آنذاك ، ومن جنتها الدبابات ، والمناجيق التي تحمل على العجل

« ١ » راجع اشهر مشاهير الاسلام - عهد خالد الى اهل الحيرة وعهد

نهاوند -

والمحمل التي توضع على البغال لنقل الجرحى والمرضى ومن يتخلف من الجيش عن اللحاق .. حتى ان المعتصم بالله عبّد درب (بغراس) وهو المضيق الخطير الذي يمتدّ جبال طوروس ، والتي تقع مدينة طرسوس (١) على مدخله الجنوبي فلقد كان الدرب جبلياً وعراً ، لا يصلح الا للمشاة بالرتل المنفرد ، وكان طريقاً مستدناً يشرف على اودية عميقة مهلكة ، حتى ان مسلمة بن عبد الملك لما غزا عمورية حمل معه نساءه .. فلما صار في عقبة بغراس هذه ، سقط محمل فيه امرأة الى الحضيض ، فأمر مسلمة ان تمشى سائر النساء ، فمشين فسميت تلك العقبة « عقبة النساء » ولكن المعتصم بالله بنى على حد تلك الطريق حائطاً قصيراً من حجارة (٢) فسهلت من بعد ذلك حركة الصنوف المختلفة ، وكان مسيره الى عمورية سنة ٢٢٣ هـ بغاية الانتظام والسهولة . كل هذا عدا الطرق العسكرية التي شقوها ما بين مدن الثغور وبين العواصم ، والجور التي شيدها على ما يعترض تلك الطرق من الانهار والجداول . واخبرنا الغزي في تاريخ حلب وهو من المؤرخين المعاصرين : ان الطريق الذي كان يأخذ من الاسكندرون الى حلب من جهة بيلان (٣) قد ترك منذ أمد طويل .. ولم تزل آثاره باقية بين الغابات ، وحجارة ارضه التي كان مفروشا بها لم تبرح موضعها حتى الآن وهي حجارة تستحق ان تعد من الآثار القديمة « ثم ان طريق الحج البري المعروف بطريق زبيدة ، مشهور معروف .

ويكفي ما ذكرناه للتدليل على ان العباسيين ، قد ضربوا بسهم وافر بشق

١٠، سيأتي ذكرها في الثغور الشامية ٢٠، فتوح البلدان للبلاذري

٣٠، بيلان : سيأتي الكلام عنها .

الطرق او تعديلها سواء في الاراضي السهلة او الجبلية ، حتى اصبحت لهم قابلية حركة عظيمة ، في كل انحاء المملكة ، واستطاعوا ان يخدموا كل ثورة تشب ، بمدة قصيرة ، ووصلتهم قوافل الاموال والعروض من الاطراف البعيدة ، وتمكنوا ايضاً ان يحفظوا الطرق ويصونوها من القطاع والسراق وطرق الاعداء وانسلال الجواسيس في البر والبحر .

فلنبحث الآن كيف كان خلفاء بني العباس يحافظون حدود مملكتهم المتراصة الاطراف ، وما هي الثغور التي بنوها او رموها ما بينهم وبين عدوهم ، وما هي أشهر تلك المدن ، ونظام المناغرة عندهم .

فاما الثغور

ومفردها الثغر ، فقد عرفها ياقوت : بأنها كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً كأنه مأخوذ من الثغرة وهي الفرجة في الحائط . وكتب ابن خلدون في كتابه في تاريخه الى قائده سعد بن أبي وقاص : « ان ابث الى فرج الهند .. » وكان يقصد الابلّة (١) وهي ثغر العراق يومئذ ، كما ان قرية « الفاو » مثلاً من ثغور العراق في هذه الايام ، والذي تفهمته ان الثغور مدن حصينة او مواقع منيعة او قلاع اتخذها العرب الراشدون اولاً فالامويون فالعباسيون اخيراً على حدود المملكة الاسلامية برآ وبحراً ، وشحنوها بالجند والسلاح اما لدفع العدو ، وصد غاراته

١، مدينة قديمة كانت على الشط في زاوية الخليج الذي يدخل الى البصرة وكانت عامرة وفيها مسالخ للفرس ، وعلى ما اورده القرغولي انها تقع في موضع البصرة الحالية ، راجع « المتن » ص ٤٤ - ٤٥

على المملكة الاسلامية ، وعلى الاخص منهم الروم الذين لم ينفكوا عن مناوأة العرب ، او للقيام منها بغزو العدو وفتح بلاده ، وكان الجنود الذين يرا بطون في الثغور من المرتزقة وهم المفروض لهم عطاء في الديوان (١) ومن المتطوعة وهم الذين ينتدبون للجهاد في سبيل الله لا يطلبون على ذلك اجرا الا من الله ، اما القائد الذي يتود هذه الجيوش ويتولى امر الثغور فان الخليفة نفسه يعينه ويصدر امراً بذلك . وكانت الثغور تأتيها طالعة من جند الجزيرة والشام في الصيف فيقومون بها الى ان ينزل الشتاء وتسقط الثلوج ؛ فاذا كان ذلك قفلوا .

ولم تكن الثغور في عهد بني العباس تحاذي بلاد الروم فحسب ، بل كانت لهم ثغور تحاذي بلاد الفرس بربة وبحرية ، كما كان لهم ثغور اخرى في جهات اخرى من اقاصي المملكة العباسية ، واتي في اطروحتي هذه سوف اوجه عنايتي الخاصة الى ثغور بلاد الروم ، لما لبني العباس من الاهتمام العظيم بها ، ولما وقع عندها من المعارك الدموية بين آونة واخرى ؛ واوضح بايجاز اسرار انتصار العباسيين في بدء حياتهم ، وعوامل فشلهم في اواسط الدولة واواخرها . واستنتج من كل ذلك كيف ان الموقف الحربي يقضي بتحكيم بعض المدائن وتحصينها سواء وقعت على ساحل المملكة او على حدودها او على المضائق الخطيرة .

والثغور الرومية

ثلاثة : أولاً . من جهة البر .

ثانياً : من جهة البحر وهي ثغور الشام ومصر الواقعة على بحر الروم

(أي البحر الابيض المتوسط)

(١) سيأتي التفصيل عنه في ديوان الجند .

ثالثاً : المتصلة بالبحر والبحر معاً .

وقد أطلق العرب اسم (بلاد الروم) على الامبراطورية البزنطية ، وهي آسيا الصغرى ، او شبه جزيرة الاناضول . وكان الحد الفاصل بين الامبراطورية البزنطية والامبراطورية العربية في عهد العباسيين جبال طوروس وجبال آنتي طوروس التي يسميها العرب (جبل الاسكام) وكان خط قسلاخ الحدود أي خط الثغور ممتداً من ملطية في اعالي الفرات الى طرسوس قرب البحر المتوسط .

أما جبال آنتي طوروس او جبل الاسكام « فيقال لها في زماننا هذا جبال بيلان » (١) وللمعيد طه الهاشمي بحث (٢) ضاف الذيل عن : القلاع والحصون والخطوط المحكمة ، والمناطق الحصينة ، وعلاقة كل ذلك بالخطط الحربية . الخ وتنقسم الثغور الرومية الى قسمين :

الثغور الشامية الواقعة في الشمال الغربي .

والثغور الجزرية الواقعة في الشمال الشرقي ، وهي الثغور التي تلي ثغور الشام من الشمال ، وقد سموها الجزرية نسبة الى جزيرة العراق .

الثغور الشامية

ونبدأ بحدّها من الشمال :

١ طرسوس

٢ — أذنة

«١» نهر الذهب في تاريخ حلب للغزي ج ١ ص ٤٥٧ «٢» الجغرافية

المسكزية ج ١ ص ٩٩ — ١١٠



جامع النعمان

٣ - المصيصة

٤ - عين زربة

٥ - السكة: يسه السودان

٦ - الهارونية

٧ - يساس

٨ - نقابلس

ولابد لاتمام الفائدة ان اذكر شيئاً وجيزاً عن كل من هذه الثغور وأن اسوق نبذة قصيرة عن تاريخ بنائها .

١ - طورسوس

تقع على نهر (قره صو) وكانت قديماً فرضة بلاد كيليكيا ، وهي الآن من اعمال ولاية أطيه التركية (أذنة) وهي أفوى مدن الحدود العباسية الرومية ، وأحصنها ، ويذنها وبين حد الروم جبال شاهقة ، وكان يربط فيها جيش كبير من المشاة والفرسان ، وقدر العرب اهميتها السوقية ، « لانها تقع على المدخل الجنوبي للمضيق الذي يخترق جبال طورسوس ويسمى الدرب » (١) قال البلاذري وهو (درب بفراس) (٢) ذكره امرؤ القيس فقال :

بكي صاحبي لما رأى (الدرب) دونه وأيقن أنا لاحقات بقصرأ
فقلت له لا تبك عينا فأنما نحاول ملكا أو نموت فتمندرا

« ١ » تاريخ الامة العربية للمقدادي ص ٣٠٣ « ٢ » فتوح البلدان

ويسمى هذا المضيق عند الافرنج (باب كليكيا) وهي : (باب الجهاد) عند العرب (١) إذ جعلوها مسورة ولها خمسة ابواب باب الجهاد هذا ، وباب الصنصاف وباب الشام وباب البحر والبواب المسدود (٢) وكثيراً ما كان البغداديون يذكرون طرسوس ، ويذكرون دربها ، لان كثيرين منهم ذهبوا اليها وماتوا عندها ، ولان اليها كانت تندفع آلاف الجنود من الفرسان والمشاة ، من حاضرة الخلافة العباسية ، ومن جيش خراسان ، وجيش الموصل ، وجيش الشام ، ومن أمداد اليمن ، ومتطوعة العراق والحجاز وغيرهم .

ولقد أوصى الخليفة المهدي العباسي ببناء طرسوس استناداً الى التقرير الذي رفعه اليه قائده العربي الحسن بن قحطبة الطائي سنة ١٦٢ هـ ، فاخبره بما في بناء طرسوس وتحصينها وشحنها بالمقاتلة من عظيم الغناء عن الاسلام والكتب (٣) للعدو والوقم (٤) له فيما يحاول وبكيد ، واخبره في (الحديث) أيضاً ووصف له امرها ، ورغبه في بناء مدينتها (٥) وقد استتم بناء طرسوس في زمن الرشيد سنة ١٧٢ هـ واسكنها خمسة آلاف مقاتل ، على زيادة عشرة دنانير لكل مقاتل ، في اصل عطائه ، وعندها توفي المأمون سنة ٢١٨ هـ ودفن بجامعها ، وكان الطريق الذي ينفذ منها الى بلاد الروم مضيقاً صعباً ، لا يصلح الا للمشاة مستدقاً يشرف على اودية عميقة فبنى المعتصم بالله على حشد تلك الطريق حائطا قصيراً من حجارة ، لتسهيل حركة الصنوف المختلفة في جيشه ، فكانت تلك

«١» المقادي ص ٣٠٣ «٢» صبح الاعشى ج ٤ ص ١٣٢ «٣» كتبت العدو أي صرفه واخزاه واذله «٤» اوقم ووقم الرجل قهره وردة عن حاجته اقبح الرد «٥» البلاذري ص ١٧٣

الطريق من الطرق السوقية الخطيرة ، ولا تزال لها تلك الاهمية الكبيرة .

٢ - أذنة

او (اطنة) تقع على نهر سيحان (١) الذي يصب في بحر الروم ، وبينها وبين طرسوس ١٨ ميلا (٢) بنى الرشيد القصر الذي عند اذنة قريبا من جسرهما على سيحان في حياة ابيه المهدي سنة ١٦٥ (٣) ثم بناها بأمر محمد الامين بن الرشيد في سنة ١٩٣ هـ ابو سليم فرج الخادم (صاحب الدار بانطاكية) وهو اول قائد تركي دخل في خدمة العباسيين (٤) واحكم بناءها وحصنها وندب اليها رجالا من اهل خراسان وغيرهم على زيادة العطاء فكانت مدينة حصينة عامرة ولها ثمانية ابواب وسور وخندق (٥) .

٣ - المصيصة

وتقع على نهر جيحان (٦) ايضا من ارض كيليكيا ، ذكر البلاذري (٧) ان في سنة ٨٤ هـ غزا على الصائفة عبدالله بن عبد الملك بن مروان فدخل من درب انطاكية

«١» وكان يسمى قديما ساروس «٢» قال ذلك الاصطخري في كتابه :

المسالك والممالك ، واكد ذلك ياقوت وغيره فقال : بينهما يوم ج ٣ ص ١٦

وفي مكان آخر ج ٦ ص ٣٩ : بينهما ٦ فراسخ «٣» معجم البلدان ج ١ ص

١٦٦ «٤» تاريخ الامة العربية للمقدادي «٥» معجم البلدان ج ١ ص ١٦٦

«٦» هكذا قال ياقوت وللغزي وغيرها وهو الواقع ، ولعل صاحب معجم

الطريقه زل به التلم فقال انها تقع على سيحان ، راجع ص ٩٩ منه .

«٧» فتوح البلدان ص ١٦٩ .

وإلى المصيصة فبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكاناً من الجند فيهم (٣٠٠) رجل انتخبهم من ذوي البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبني فيها مسجداً فوق تل الحصن .. وكانت في الحصن كنيسة جمعت هرباً (١) وكانت الطوالع من انطاكية تطلع عليها في كل عام فقتلوا بها ، ثم تنصرف ، وعدة من كان يطلع اليها (٦٥٠٠ - ٦٠٠٠) .

واتخذ عمر بن عبد العزيز فيها صهرجياً (٢) وحضرها حولها الخنادق ، ثم لما استخلف العباسيون ، فرض السفاح بالمصيصة لاربعمائة رجل زيادة في شحتها ، وفي سنة ١٣٩ هـ أمر المنصور العباسي بعمران مدينة المصيصة وسماها (المعمورة) (٣) وبني فيها مسجداً جامعاً كبيراً ، وفرض فيها لالف رجل ، ولما استخلف المهدي فرض بها لالف رجل ، وبني المعتصم حولها سوراً ، وكان قد رمى الرشيد وزاد في شحتها وقوى أهلها .

ما آلت اليه هذه الثغور

قال ياقوت (٤) : - « .. ولم يزل هذا الثغر وهو طرسوس واذنة والمصيصة وما ينضاف اليها بأيدي المسلمين والخلفاء مهتمين بأمرها لا يولونها الا شجعان القواد ، والراغبين منهم في الجهاد والحروب بين أهلها والروم مستمرة ، والامور على مثل هذه الحال مستقرة ، حتى ولي العواصم والثغور الامير سيف

١، الهرى بيت كبير تخزن فيه الخنطة اي مدخراً والجمع اهراء

٢، البلاذري ص ١٧٠ ، ٣، راجع معجم البلدان ج ٨ ص ٨٠ ، ص ١٠٠

٤، معجم البلدان ج ٣ ص ١٧ وما بعدها .

الدولة الحمداني ، . فصمد للغزو ، وامعن في بلادهم ، واتفق ان قابله من الروم ملوك اجلاد ، ورجال اولو بأس وجلاد ، وبصيرة بالحرب والدين شداد ، فكانت الحرب بينهم سجالا الى ان كان من وقعة (مغارة السكحل) في سنة ٣٤٩ هـ ومن ظفر الروم بعسكر سيف الدولة ورجوعه الى حلب في خمسة فرسان ، ثم تلا ذلك هجوم الروم على حلب في سنة ٣٥١ هـ . ثم انهم في سنة ٣٥٤ حاصروا المصيصة ففتحوها ثم طرسوس ثم سائر الثغور (١) وقال الغزي : « واستنفذها السلجوقيون سنة ٤٧٧ هـ ، ثم ملكها الصليبيون سنة ٤٩١ هـ ثم استردها الملك الظاهر سنة ٦٦٦ هـ وبقيت بأيدي المسلمين الى يومنا هذا » . ولتستطرد الآن الى وصف بقية الثغور .

٤ - عين زربة

ويقول ياقوت (٢) « عين زربي ويجوز ان يكون من زرب الغنم وهو مأواها » . وهي الآن قرية صغيرة من قرى قضاء (جبل سمعان) وكانت مدينة عظيمة على سفح جبل مشرف عليها ، وفي سنة ١٨٠ هـ أمر الرشيد بابتنائها وبنائها وتحصينها ، لانها كانت قل سكنها ووهن عمرانها ، وندب اليها ندبة من اهل خراسان وغيرهم فاقطعهم بها المنازل (٣) وكان تجديد عمارتها على يد أبي سليمان التركي الخادم في حدود سنة ١٩٠ هـ وكان قد ولي الثغور من قبل الرشيد ، ثم استولى الروم عليها فخرّبوها ، فانفق سيف الدولة بن حمدان ثلاثة آلاف الف درهم

١٠ راجع لمعرفة حالة الجيش البيزنطي في عهد سيف الدولة مجلة الحديث

ص ٣٢٢ من سنة ١٩٣٦ الناشران ٢٠ تاريخ حلب ج ١ ص ٣٩٩ ، معجم

البلدان ج ٦ ص ٢٥٤ .

(أي ثلاثة ملايين درهم وهي تعادل ١٢٠.٠٠٠ ديناراً عراقياً) حتى أعاد عمارتها .

٥ - الكنيسة السوداء

سميت السوداء لأنها بنيت بحجارة سود بناها الروم قديماً ، وبها حصن منيع قديم أخرج فيما أخرجه منها ، ثم أمر الرشيد بينائها وأعادتها إلى ما كانت عليه وتحصينها ، وندب إليها المقاتلة وزادهم في العطاء . وفي قضاء (بيلان) بناء عظيم بعد الآن من الآثار القديمة هناك ، يقال له : الكنيسة ويقع في شمالي بيلان على بعد ساعة منها في موضع يقال له (عتيق) تدل الجهة الشرقية منه على أنه كان كنيسة (١) وأما بيلان هذه فهي قصبة قضاء بيلان وتبعد عن حلب ٢٦ ساعة وتقع في غربيها ، على صفحي جبلين شامخين بينهما واد سحيق . . إذ يجاورها جبل كله غابات طولها ثلاث ساعات وعرضها ساعة . ويتصل بها جبل آخر طولها ثماني ساعات وعرضه ثلاث ساعات ، وكل من الجبلين مكسوان بشجر الارز والبلوط وغيرها من الاشجار الجبلية . . ومحليها كان مضيقاً يعرف بمضيق بغراس وباب الاسكندرونة وقد تكلمنا عنه ، فلا فائدة بالتكرار .

٦ - الهارونية

وتقع في طرف جبل الاسكام بين جرمش وعين زركي وجبل الاسكام ، أمر الرشيد بينائها سنة ١٨٣ هـ فبنيت وشحنت بالمقاتلة ومن نزع إليها من المتطوعة

فُسِّبَتْ إِلَيْهِ . وَكَانَ عَلَيْهَا سُورَانٌ وَأَبْوَابٌ حَدِيدٌ وَقَالَ فِي (الْمُقْرِيزِي) يَنْتَهَا وَبَيْنَ
الْكَنِيسَةِ السُّودَاءِ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا .

٧ - - بِيَّاس

وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ شَرْقِيَّ أَنْطَاكِيَّةٍ وَغَرْبِيَّ الْمَصِيصَةِ ، يَنْتَهَا ، قَرْيَةٌ مِنَ الْبَحْرِ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَسْكَندَرِيَّةِ فَرَسَخَانٌ . قَرْيَةٌ مِنْ جَبَلِ الْكَلَامِ .

٨ - - نَقَابِلِس (١)

وَهَذَا آخَرُ مَا نَحْتَمِلُهُ أَطْرُوحَتَنَا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنَ الثُّغُورِ الشَّامِيَةِ ،
فَلْنَبْحَثْ لَكُمْ قَلِيلًا عَنْ :

الثُّغُورُ الْجَزْرِيَّةُ

وَهِيَ الثُّغُورُ الَّتِي تَلِي الثُّغُورَ الشَّامِيَةَ مِنَ الشَّمَالِ : -

وَأَوَّلُهَا مَرْعَشُ

ثُمَّ الْحَدَثُ

ثُمَّ حَصُونٌ مُتَتَابِعَةٌ إِلَى نَعْرِ سَمِيشَاطَ .

ثُمَّ مَلْعِيَّةُ

أَمَّا مَرْعَشُ

فَكَانَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ قَدْ بَنَاهَا وَاسْكَنَهَا جَنْدًا . ثُمَّ عَمَرَهَا الْعَبَّاسُ
ابْنُ الْوَلِيدِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأُمَوِيِّ ، وَحَصَّنَهَا ، وَقَتَلَ النَّاسَ إِلَيْهَا ، وَبَنَى لَهَا مَسْجِدًا

« ١ » لَمْ نَعثرْ عَلَيْهَا فِيمَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنَ الْكُتُبِ الْآخَرِ .

جامعاً ، ثم خربتها الروم ، فامر ببنائها المنصور العباسي وحصنها وندب اليها .. واستخلف المهدي فزاد في شجنتها وقوى اهلها ، وكان لها سوران وخندق ، في وسطها حصن عليه سور يعرف بـ (المرواني) بناه مهروان بن محمد آخر خلفاء بني امية ، ثم احدث الرشيد بعده سائر المدينة ، دخلت تحت سلطة الدولة العثمانية سنة ٩٢٨ هـ ، وهي واقعة على نهر جيحان ويُنظن انها مبنية على اطلال مدينة (جرمانيسيا) .

وأما الحدث

فهي مما فتح ايام عمر بن الخطاب . وكان معاوية يتعهد حصن الحدث ، بعد ذلك ، وكان بنو امية يسمون درب الحدث (درب السلامة) للطيرة ، لان المسلمين كانوا اصابوا به .. ضربها الروم في عهد مروان بن محمد الاموي فبناها المهدي العباسي سنة ١٦٩ هـ وحصنها الرشيد في خلافته .. وشجنت باربعة آلاف من المقاتلة ثم نقل اليها الفان آخرا . وضربتها الروم في أيام سيف الدولة ثم عمرها سنة ٣٤٣ هـ .

وأما سميدشاط

فمدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ، ولها قلعة في شق منها فتحها العرب في خلافة عثمان وولاية معاوية بالشام والجزيرة .

أما ملطية « ملاطية الحالية »

وهي اكبر الثغور تقع قرب الضفة اليسرى من الفرات الاعلى من ارض

(كيدوكية) في شمال شرقي حلب وعلى سبع مراحل منها ، قال في (الروض
المعطار) : « هي قاعدة بلاد الثغور ... مسورة في بسيط من الارض ، والجبال
محتفة بها من بعد ، ولها نهر صغير يمر بسورها ، ولها قني تدخلها وتجري في
دورها » وكان فيها قلاع وحصون منيعة ، فتحها حبيب بن مسلمة الفهري بولاية
معاوية الشام والجزيرة ، ورتب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها ، ثم شحنتها
معاوية بجماعة من اهل الشام والجزيرة وغيرها ، فكانت طريق الصوائف ...
أمر بتعميرها المنصور سنة ١٣٩ هـ فبوشر بينائها سنة ١٤٠ هـ وتم بناؤها وبناء
مسجدها في ستة اشهر ، وقد عسكر عليها القائد العربي الحسن بن قحطبة الطائي
بسبعين الفا من الجنود ، وجمع لها الفعلة من كل بلد ، وبني للجند الذين اسكنوها
اسكل عرافة يبتان سفليان وعليتان فوقهما ، واصطل ، وبني لها مساحدة على
ثلاثين ميلا منها ومساحدة اخرى على نهر يدعى (قباقب) يدفع في الفرات ،
واسكن المنصور ملطية بعد ان تم بناؤها (٤٠٠٠) من اهل الجزيرة لانها من
ثغورهم ، على زيادة عشرة دنانير في عطاء كل جندي ، ومعمونة (١٠٠) دينار .
سوى الجمل الذي يتجاعله القبائل بينها ووضع فيها شحنتها من السلاح ،
واقطع الجند المزارع .

أما المسافات بين الثغور

فاليكها على ما ذكره ياقوت : -

من	الى	المسافة
بياس	الاسكندرية	مرحلة
«	المصيصة	مرحلتان
المصيصة	عين زربة	مرحلة
«	أذنة	«
أذنة	طروس	يوم
طروس	قوزان	يومان
«	اولامس	«
بياس	الكنيسة السوداء	اقل من يوم
«	الهارونية	«
الهارونية	مرعش	«

وعلى ما رأيتم في تعدادي اشهر الثغور ، ان الذي كان يعتمني بالثغور كثيراً ،
وينفق في سبيل بنائها وتحصينها ورمها وشحنها بالمقاتلة والسلاح والميرة ، اكثر
من بقية الخلفاء هو الخليفة هرون الرشيد ، ومع كل ذلك فقد وجد صعوبات
كثيرة المحافظة على الحدود ، فضلاً من انه حصن القلاع ووضع فيها حامية قوية
للدفاع « فانه في سنة ١٧٠ هـ عزل الثغور كلها من الجزيرة وقسرين وجعلها حيزاً
واحد » أي انه جعل الحدود الشمالية منطقة الجزيرة وعرفت باسمه .

العواصم

لان العرب كانوا يعتصمون بها اذا عادوا من محاربة الروم او اذا هاجوهم
« والذي يراد بالعواصم اعالي الشام وراء حلب الى اسكندرونة » ومن العواصم
التي افردھا الرشيد :

انطاكية ، منبج ، دوك ، رعبان ، قورس ، وتيزين ولا عبرة بما ذكره
ابن خرداذبة حين عد العواصم فكثرتها وحشر فيها ما ليس منها .
واخبرنا المؤرخ شبلي النعماني في تاريخه : « انه في عام ١٧ هـ خرج الفاروق
رضي الله عنه ، الى بر الشام ، فتجول فيها ، ووصل الى التخوم الواقعة بين الدولة
الاسلامية والدولة الرومانية واشرف على انطاكية ، وتيزين ، وكورس ، ومنبج ،
ورعبان وغيرها حيث وضع في هذه الاماكن الحاميات من الجند ، وكذلك زار
المدن الساحلية ووضع فيها الحاميات ، نظراً لوجود الاسطول الروماني في البحر ،
وقد قالوا : ان عمر قسم الارزاق وسمى الشواني والصوائف ، وسد فروج
الشام ومسالحها ، واخذ بدروبها ، وسمى ذلك في كل كورة .. » .

ولقد كانت هذه العواصم من المدن العسكرية المهمة ، او من النواحي الخوفة
كما وصفها به مؤرخونا الاوائل ، وقد شيدها العرب في الاماكن السوقية الخطيرة ؛
وفي بعض الاحيان رمموا المدن الرومية القديمة واتخذوها عواصم لهم . حتى ان
القادة المسلمين عندما فتحوها في عهد عمر بن الخطاب شحنوها بالجند « واشترطوا
على اهلها ان يبحثوا عن اخبار الروم ويكتبوا بها المسلمين » وذلك لانها واقعة
بقرب الحدود ، ومنها يتسرب جواسيس العدو لاستقصاء المعلومات عن المملكة

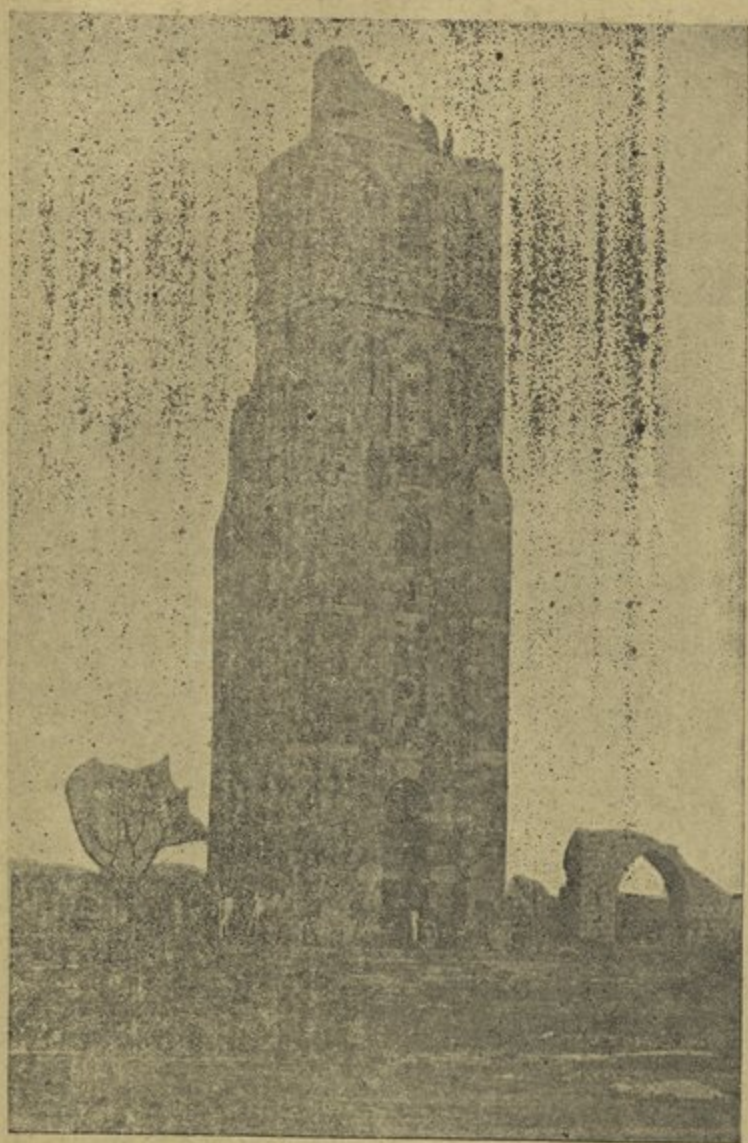
الاسلامية ، كما يتيسر لمن والى العرب ان يطلع على اخبار مهمة كثيرة ، عن اسلحة العدو ، وقواته ، واما كن تحشده ، واستعداده للقتال ، ونقاط الضعف فيه ، والمؤامرات التي يعمدونها ، او الشجاء التي تقع بين صفوفه وقبائله ، ليستفيد العرب من كل ذلك عند شوب الحرب .

ولكي افرّب ما تعنيه العواصم والثغور ، اضرب لكم المثل التالي ، ان الخافر التي شيدتها الحكومة العراقية في كل من قرية : فيشخابور ، وسناط ، وشرانش ، مثلاً هي تنورها على الحدود العراقية التركية من الشمال ، اما قصبة زاخو فهي عاصمة هذه الثغور .

فلنرجع الآن الى العواصم العباسية ، ونوجز في وصف كل منها :

اولا - انطاكية

ذكر البلاذري في سنده عن مشايخ الثغر : « كانت انطاكية عاصمة الذكر والامر عند عمر وعثمان ، فلما فتحت كتب الى ابي عبيدة : « ان رتب بانطاكية جماعة من المسلمين اهل نيات وحسبة واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء » ثم لما ولي معاوية كتب اليه بمثل ذلك ، ثم ان عثمان كتب اليه يأمره ان يلزمها قوماً وان يقطع قطائع ففعل » ونقل معاوية بن ابي سفيان الى انطاكية في سنة ٤٢ هـ جماعة من الفرس واهل بعلبك وحمص ومن المصريين ، . . وكان على انطاكية سور ضخيم للغاية قيل ان دوره للراكب يومان « وسورها العظيم هذا باق حتى الآن ، لسكنه في غابة الوهن ويبلغ محيطه ١٢ ميلاً ، وهو محيط بها من جهة الشرق والجنوب ، والعاصي من شمالها وغربها » وكانت انطاكية قصبة



مئذنة في بلدة الرملة في فلسطين

العواصم والثغور ، الا ان الرشيد عندما افرد العواصم ، جعل فصبته منبج ، واسكنها عبد الملك بن صالح العباسي ، من سنة ١٧٣ حتى ١٨٧ هـ اذ ولي القاسم بن الرشيد .

ثانيا - منبج

وهي مدينة العواصم كما اسلفنا ، تقع في شرق حلب وعنها بمسافة (٢٠) ساعة « كان عليها سور مبني بالحجارة محكم ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ »

ثالثا - دلولك

قال الغزي : « من قرى قضاء عينات ، وهي الآن معروفة بدولك ، وكانت مدينة قديمة عامرة ولها قلعة من بناء الروم عالية مبنية بالحجارة ، وكان لها قناة قد ركت على قناطر يصعد الماء فيها الى القلعة وحولها ابنية عظيمة حسنة »

رابعا - رعبان

قال ياقوت : « مدينة بالثغور بين حلب وميخايط قرب الفرات معدودة في العواصم ، وهي قلعة تحت جبل . » فتحها عياض بن غنم صلحا سنة ١٦ هـ .

خامسا - قورس

ذكر البلاذري : « ان سلمان بن ربيعة (الباهلي) كان في جيش ابي عبيدة . فنزل حصنا بقورس من العواصم فنسب ذلك الحصن اليه وعرف به » وقال ياقوت « مدينة ازلية بها آثار قديمة » قال الغزي وهو من المعاصرين : « انها تدعى

الآن قرية (الشيخ خوررو) في ذيل قلعة الشيخ خورزو في الغرب الشمالي من كلبر على بعد ٣ ساعات منها، ولا تزال في هذه القرية آثار باقية ومسجد معمر السقاء .

سادسا - تيزين

« كانت قرية كبيرة من نواحي حلب ، وكانت تعد من أعمال قنسرين ، ثم صارت في أيام الرشيد من العواصم » « وكن لها سور قد تهدم واليها كانت تنسب الكورة وان كن فيها ما هو أميز منها » وقال أبو العباس القلقشندي هي بليدة صغيرة ، من أعمال حلب في جهة الغرب على مرحلة منها . قلت فهي الآن قرية من قرى قضاء حارم وعدة بيوتها ٦٤ بيتا ، ولكي أفرغ من هذا البحث اذكر نبذة عن :

اعتناء العباسيين بالشغور

كانت العباسيون ولا سيما أوائلهم شديدي الاعتناء بمحافظه الثغور ، يعز عليهم ان يتجاوز العدو حدود بلادهم أو أن يقتصب منها شبراً ، وسرعان ما كانوا يحكون السيف بينهم وبين عدوهم ، دون ان يلتجئوا الى المأطلة السياسية ، والذي أورده المؤرخون الثقة ، ان الخلفاء كانوا يقومون بأنفسهم بجولات تفتيشية بين حين وآخر ، وذلك علاوة على الجولات التفتيشية المستمرة التي كان يجريها امراء الثغور ، فكان الخلفاء ، بعد ان يفرغوا من تفتيشهم يأمرؤن بإنشاء الحصون ، وحفر الخنادق ، وترميم المتشعث من المعقل والحصون القديمة ، ويأمرؤن بنصب الجسور والقناطر على الانهر والجداول التي تكون موانع

طبيعية ، فتعرض خطوط التقدم ، كما كان الامويون يعتقدون بذلك من قبلهم ،
والراشدون من قبل هؤلاء ، فمن ذلك جسر منبج الذي أمر ببنائه عثمان بن عفان
للصوائف « وهذا الجسر كانت تعبر عليه القوافل من الشامية الى الجزيرة ، ومنها
الى الشامية ، وهو يعد عن منبج نحو اربعة فراسخ ، والجسر الآن خراب ،
لم يبق منه الا اطلال خفية ، والناس يعمرون الى احدى الجهتين بالزوارق » ومن
هنا نستطيع ان نقدر اهتمام الاوائل بشؤون البلاد ، وغفلة الرجال المسؤولين الآن
وهنا يجب ان نعترف لهم باتهم اخذوا بأصول الحضارة ، وعرفوا لوازم العمران .
وهناك جسر الوليد الذي بناه الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ وهو على طريق
أذنة (١) ويقع على تسعة اميال من المصيصة ؛ وهناك نهر (مسلمة ، بن عبد الملك
ابن مروان) وفي مدينة (بغراس) كان دار ضيافة لزبيدة زوجة الرشيد ولم تكن
في الشام دار ضيافة غيرها ، وهناك من الحصون المنيعة ما لا نستطيع حصره ،
فمن ذلك حصن زياد ، وحصن سلمان ؛ وحصن سنان ، وحصن العيون ، وحصن
ذي الكلاع ، وحصن كفسا ، وحصن مسلمة ، وحصن منصور ؛ وكثير
غيرها ، البعض منها عباسي بحت ، والبعض الآخر أموي وقد رمه العباسيون .
وكان العباسيون ايضا لشدة اعتنائهم بالثغور يسمون العطاء على المشاغلين ،
وبهبونهم المنح النقدية « فلقد كان دخل الثغور الجزرية (٧٠٠٠٠) دينار يصرف
منها في مصالحها (٤٠٠٠٠) ويقي (٣٠٠٠٠) ويحتاج لفئة الاولياء والصماليك
(١٧٠٠٠٠) دينار تضاف الى تلك البقية » واما الثغور الشامية فلقد كان دخلها

(١) ورأيت في تاريخ القرماني ص ٤٢٤ في كلامه عن مدينة أذنة : ان
الرشيد بناها حين غزاها وبنى الجسر على سيحان .

(١٠٠.٠٠٠) دينار ينفق في مصالحها وسائر وجوه شأنها ، ثم يحمل اليهم بيت المال ، روانب الجنود ، وقس على ذلك بقية الثغور ، في شمالي مصر ، وغربي الهند وعلى بحر الخزر (أي قزوين) والبحر الاسود ، وغيرها ، سوى ما كان ديوان المال ينفقه في نفقات المغازي .

ولا شك ان التاريخ بعد هذه الاعمال من المآثر الخالدة للعباسيين ، وبدل بها على اعتناء خلفائهم بالملك والرعية ، وحبذا لو اهتموا اخرهم كما اهتموا اولهم إذن لما خرب الروم ديار الشام مرات متعددة ، ولما هدموا المساجد والجوامع وقتلوا الاطفال وحرقوا القرى ونهبوا الاموال والاسلحة ، بل لما تعدوا العواصم بل لما اجتازوا شبراً واحداً في جنوب الثغور ، واسكنهم اذ عطلوا هذا الغرض وانشفلوا بمحاربة بعضهم ، وانغمسوا في الملذات والترف ، وجدها العدو فرصة سانحة لضربهم ، ففعل . ونعوذ بالله من الخيبة والخذلان .

ولعل السبب القوي في تقاعد المشاغبين عن الدفاع ، وتسليمهم الحصون الى العدو بالصلح والامان ، هو انهم لم يكونوا ذوي عصبية للدولة ، فلقد كان الامويون يرون بنظرهم الصائب ان من المصلحة العامة ، ان يقطعوها قوماً من العرب وليس من الموالي وذلك لكي تستبسل الرابطة في الدفاع عنها ، ويستمتتون في سبيل القومية التي يعتزون بها ، والا فها بال المشاغبين يسلمون البلاد بغير حرب ، وقد تحصنت قلاعهم ، وخزنت فيها الميرة والعلوفة ، واعد لهم الماء ، اما من الانهر التي شقها الخلفاء ، واما من الصحاريح التي حفرها ، واما من العيون في داخل الحصون وكان العطاء موسعاً عليهم ، والنعم لديهم موفورة ؟ لقد كان يعوزهم الا خلاص

للمملكة ، وليس منشأ ذلك الا خلاص الا العصبية لها . « .. والصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية وهو ان يكون في احد الجانبين عصبية واحدة جامعة لـ كلهم ، وفي الجانب الآخر عصاب متعددة ، لان العصاب اذا كانت متعددة يقع بينهما من التخاذل ما يقع في الوجدان المتفرقين الفاقدين للعصبية ، اذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ، ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لا يقاوم الجانب الذي عصابته واحدة لاجل ذلك » (١) وسوف نقف في بحثنا عن فرق الجيش العباسي ، كيف اضعف شأن الفرق العربية من المضرية والمنية والريمية ، وتولى الخلفاء من شوكة الموالي ابناء خراسان ، والفرغانيين والاشروسنية والسمرقنديين من اتركما وراء النهر ، والـ و دان والذوبة والبربر من افرقيا ، فاختلط حابل الجيش العباسي بنابله ، وتنازعوا السلطة فيما بينهم ، واهملوا شأن الدفاع عن المملكة ، بينما ترى العدو خلاف ذلك ، وهناك (الديوبية) وهم (قوم من الافرنج يحبسوز انفسهم لجهاد المسلمين ، ويمنعون انفسهم من النكاح وغيره ، ولهم اموال وسلاح ويتعاونون القوة ويعالجون السلاح . » (٢) فانظروا اي فرق عظيم بين الفريقين ، فان شدة العصبية عند الروم وضعفها في الحاميات العباسية ، ادى الى انتصار اولئك واتخاذ هؤلاء ، ففي سنة ٣١٣ هـ بلغ الضعف بولاة الثغور الجزرية ، في زمن المقتدر - وهو الزمن الذي اعتمد فيه العباسيون على الخدم - « ان قصد اهل ملطية بغداد مستغيثين فلم يغاثوا ، فمادوا بغير فائدة » « ٣ » « وفي سنة ٣١٦ هـ انحدر اهل ارزن (٤) وغيرها الى بغداد

« ١ » مقدمة ابن خلدون ص ٣٢٧ « ٢ » مادة « حصن » من معجم البلدان

« ٣ » الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ٣٢٠ « ٤ » ارزن في آسيا الصغرى قرب خلاط .

واستغاثوا الى الخليفة فلم يغاثوا . وفي سنة ٣١٧ هـ عزم اهل ملطية وميا فارقين (١) وآمد (٢) وارزن على طاعة ملك الروم والتسليم اليه . لعجز الخليفة المقتدر بالله عن نصرهم . وارسلوا الى بغداد يستأذنون في التسليم وبذكرون عجزهم ؛ ويستمدون العساكر لتمنع عنهم ، فلم يحصلوا على فائدة ، فعادوا فصالحوا الروم وملكهم البلاد (٣) .

اما في سنة ٣٤٤ هـ فقد استولى البويهيون على العراق ، وكانت السلطة لحد السنة ٤٤٧ بيد الجيوش الديلمية ، كان الروم في اثناء هذه المدة يغيرون على الثغور فيقتلون ويخربون ويحرقون ، وليس هناك من المثارين من يمنهم عن ذلك ، حتى استردوا جميع الثغور الاسلامية ، والخليفة في كل ذلك اسم بلا جسم ، لا امر له ولا هيبة ولا جيش ولا سلطان . واخبر ياقوت : بان ملك الروم لما استولى على الثغور سنة ٣٥٤ هـ اشترط تخريب الجوامع والمساجد ، وان من اراد المقام في البلد على الذمة واداء الجزية فعل ، وان تنصّر فله الجلاء والكرامة .. ثم انه احرق المصاحف وخرّب المساجد ، واخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله مما كان جمع من ايام بني امية الى هذه الغاية « اي الى سنة ٣٥٤ هـ

واذ وصلنا الى هذه النهاية فلنسد باب الثغور ونبحث في مفاخر عباسية سجلها لهم التاريخ في عصرهم الزاهي الذهبي ، عصر القوة والعمل الجدي ، الا وهو :

« ١ » ميا فارقين مدينة بديار بكر مشهورة « ٢ » آمد مدينة ديار بكر الآن ، وصحيت بهذا الاسم منذ الفتح العثماني « ٣ » الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ٣٢١

الفداء وأشهر الافديّة في عهد بني العباس

وذلك ان الروم لما رأوا الفتنة وقعت بين العباسيين والامويين ، وصار
العنصر العربي يضمحل من بلاد الشام ، ظنوا ان الفرصة سانحة لاسترداد بلاد
سورية وفلسطين ومصر من يد العرب ، لانهم كانوا دائماً يتشوقون اليها
ويتحسرون عليها ، ويمنون انفسهم باسترجاعها ، ولما كان مروان بن محمد آخر
الخلفاء الامويين ، مشغولاً بحروبه مع رجال الدعوة العباسية وجيوشها الخراسانية
اللحجية . كان الروم يجتازون الثغور ، ويستولون على الحصن بعد الحصن ، حتى
انهم عندما نازلوا ملطية في سنة ١٣٣ هـ ارسل قسطنطين ملكهم الى اهل ملطية :
« اني لم احصركم الا على علم من المسلمين واختلافهم .. » وفي زمن ابي جعفر
المنصور ايضاً « ارسل الروم اسطولهم وجيشهم الى سواحل سورية وفلسطين ،
وخربوا بعضها ، ووسوسوا للنصارى من اهل لبنان بأن يقوموا ضد الدولة ، ولكن
ابا جعفر المنصور ارسل الجيوش المدافعة بقيادة قواد كبار ، مجهزة بالاجهزة الكافية
فاستطاعت ان ترد الروم على اعقابهم خائبين ، ثم امر بتحصين المواقي ، وحصون
السواحل والثغور ، وبني ما احتاج الى البناء منها ، وفعل مثل ذلك بمدن الثغور ،
ثم رتب حفظة السواحل ، وابقى الحاميات القوية هناك ، وفوق كل هذه الاستعدادات
الحازمة ، فلقد عن له امر عظيم الشأن ، لا تزال تلجأ اليه حكومة ايران ،
وذلك بان تقصي من حدودها جميع السكان الذين يختلفون واياها بالقومية ، ولذلك
نرى الاهواز قد تفرغ من العرب بعد ان كانوا اكثرية السكان ، فان السلطة
بعد ان جردتهم من اسلحتهم اضطرتهم ان يهاجروا الى اواسط فارس ، وهي عين
الطريقة التي تسير فيها الجمهورية التركية في تهجيرها الاكراد من نخومها

الجنوبية ، واسكانهم في قلب الاناضول ، لقد عنت هذه الفكرة لابي جعفر المنصور ، فارسل القبائل العربية الى لبنان لتتوطن فيه ، وتقوى بها البلاد وتنقطع عنها اصبع الروم » ولا يزال احفاد هذه القبائل موجودين في جبل لبنان الى اليوم « (١) أما اولئك المسيحيون الذين وسوس لهم الروم فيعرفون بالجراجمة ، وأصلهم من جبل الاسكلم (٢) ، وامرهم مشهور ، ثم لما استخاف المهدي استنم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنتها . ولما انتهت الخلافة الى الرشيد ، قسم الاموال في الثغور والسواحل واشجى الروم ، وقمعهم ، وأمر التوكل على الله بترتيب المراكب في جميع السواحل وان تشحن بالمقاتلة وذلك في سنة ٢٤٧ هـ (٣) وهكذا كانت الحروب مستمرة بين المسلمين والروم ، غير ان انشغال العباسيين في الحروب الداخلية واتحاد الفتن التي شبت عليهم جعلتهم لا يستطيعون ان يتغلبوا على الروم بالمرة ، وانما كانت الحروب سجالات بين الطرفين ، فيوم لا ولئك ويوم هؤلاء . وكثيراً ما يكون في قبضة احدى الدولتين اسرى من الاخرى فكانتا تبادلان فتتفقان على المفاداة ، وتضربان موعداً ووعداً لذلك ؛ وكانت المفاداة تجري على ان يفتدى كل اسير بمثله . اي ان الفداء يكون بالمبادلة نفر بالنفر وينظم بصفة رسمية .

« ١ » دروس التاريخ العربي لدروزة ص ١٨٤ وفي كتاب الدولة الاموية في الشام فصل طويل عنهم « ٢ » عقد البلاذري في فتوح البلدان فصلاً بعنوان ١٠ اصرة الجراجمة : ص ١٦٣ — ١٦٨ يرى القاري فيه خيانات الجراجمة وموالاتهم للروم ، والتجسس لهم ، ومع مسامحة الخلفاء لهم والتوسيع في الرزق عليهم « ٣ » البلاذري ص ١٦٧ .

وأول من اقتدى أسرى المسلمين بالمال الخليفة هرون الرشيد . سنة
١٨٨ هـ . (١)

وبهذه الصورة يكون حكم الاسرى لدى العباسيين على ما ذكره الله في
سورة القتال (فاذا لقيتم الذين كفروا فاصرب الرقاب حتى اذا اخنتموهم فشدوا
الوثاق فلما منّا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها) والمّن أن يعفو
الخليفة عن الاسير فيطلقه من غير فداء ، والفداء يختلف بحال الاسرى غنى
وفقرآ ...

وكان الفداء يقع غالباً في (اللامس) من سواحل بحر الروم أي البحر
الابيض المتوسط ، قريباً من طرسوس ، « وينهما ١٢ فرسغاً » (٢) فيحضر
الفداء جمهور من المسلمين وخلق كثير من أهل الثغور وغيرهم من العلماء والاعيان
وكذلك تحضر الروم ، فيقتضون في الافتداء بضعة عشر يوماً الى بضعة عشرات
ولكي ارسم صورة واضحة عن كيفية الفداء يفتضي ان اتناول بعضها بالوصف

الفداء الاول

كان في عهد الرشيد ، وعلى نهر اللامس ، سنة ١٨١ هـ ففودي بكل أسير
في بلاد الروم ، وكان الذي تولى الفداء هو القاسم بن الرشيد ، وقد شهد هـ هذا

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٩٦ « ٢ » ابن الاثير ج ٦ ص
٥٣ واورد في ج ٦ ص ١٦٣ : « نهر السن وهو على سلوقية قريباً من
البحر بينه وبين طرسوس مسيرة يوم وعليه يكون الفداء » والتحريف
ظاهر .

الفداء نحو (٥٠٠.٠٠٠) نسمة من المسلمين بأحسن ما يكون من العدد والسلاح والقوة حتى ملأوا السهل والجبل وضاق بهم الفضاء ، وجاءت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزبي ومعهما الاسرى وعددهم (٣٧٠٠) اسير . وقد وصف ذلك كثير من الشعراء .

الفداء الثاني

في عهد الرشيد أيضاً وفي سنة ١٨٩ هـ فودي فيه بـ (٢٠٥٠) أسيراً .

الفداء الثالث

وكان ذلك في عهد الواثق سنة ٢٣١ هـ ، فلقد ارسل ملك الروم رسلاً يسألونه ان يفادي بمن في يده ، من اسارى المسلمين ، فاجاب وانتدب للفداء خاقان الخادم التركي بعد ان اعد من اسرى الروم عدداً كبيراً .. فاجتمع المسلمون والروم على نهر اللامس وأحضر كل من المسلمين والروم من معهم من الاسرى ، وكان النهر يفصل بين الطائفتين فكان المسلمون يطلقون الاسير فيطلق الروم الاسير من المسلمين ، فيلتقيان في وسط النهر ، ويأتي كل الى اصحابه فاذا وصل الاسير الى المسلمين كبروا واذا وصل الاسير الى الروم صاحوا ، حتي فرغوا ، وكانت النهر مخاضة تعبره الاسرى ، ويقول الاستاذ الخفزي (١) « أن قد عقد المسلمون جسراً على النهر وعقد الروم جسراً ، فكان المسلمون يرسلون الرومي على جسره ، ويرسل الروم المسلم على جسره . » ولا شك انهم كانوا يتخذون كل هذه الحيلة خوف الفدر ، فكما كان الروم يتحمسون للانتقام

من العرب ، كذلك كان العرب قوما مؤثريين ، وكلاهما يضمرك السكيد لصاحبه ولم يكن احد الفريقين يسمح للآخر ان يأتيه على غرة ، وهنالا اكاد اصدق كيف تساهلت سرايا الجيش العراقي ، في سنة ١٩٣٢ م مع المتمردين الاثوريين وانطلت عليها حيلهم ، فلقد أوكل بالسرايا حراسة النهر ، ومنع المتمردين من العبور ، وفي ذات مساء دبر المتمردون مكيمة نجحوا فيها في باديء الامر ، إذ ارسلوا رسلهم يتفاوضون بأمر التسليم ، وقبل الجيش منهم ذلك ، ألا انهم جاؤا بأسلحتهم وعتادهم ، وقد اقلتهم العبّارات النهرية من فيشخابور ، وعبر آخرون منهم على دوابهم من مخاضات مساعدة ضحلة الماء .. ولكنهم بدلا من ان يلقوا بأسلحتهم ، فانهم فتحوا النار على السرية الامامية التي انتدبت لتجربدهم من السلاح ، فكانت غدره سجلها التاريخ لهؤلاء الخونة ، ودرسا بليغا لمن اشترك في تلك المعارك التي انتهت باجلاء المتمردين الى الحدود السورية مرة ثانية هذا ولقد استدرجنا الموضوع فلنرجع الى ما كنا فيه ، فلقد كان عدد الاسرى المسلمين في الفداء الثالث كما يلي .

العدد	
٤٤٦٠	نسمة من الرجال
٨٠٠	» » النساء
١٠٠	» » الملحقين بالمسلمين من أهل الذمة .

وقد أعطى خاقان الروم من كان فضل في يده (١٠٠) نسمة من أمرى الروم ، ليكون له عليهم الفضل استظهاراً .

الفداء الى اربع

وقد جرى في عهد المتوكل على الله في سنة ٢٤١ هـ على نهر اللامس ايضاً ، وكان القائم به (شيف) خادم المتوكل ... وكانت عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام (٧٨٥) رجلا و (١٢٥) امرأة ، حتى انه كان مع الروم من النصارى المأسورين من ارض الاسلام مائة رجل ونيف ، فعرضوا مكانهم عدة اعلاج .

وكا لم يتسع لنا المجال في ذكر جميع الثغور للمملكة العباسية ، فاقصرنا على ذكر الثغور الشامية والجزرية منها ، وتركنا الكلام عن الثغور المصرية الواقعة على ساحل بحر الروم واهمها : —

رفع — العريش — دمياط — والاسكندرية ، والثغور الهندية التي تحاذي بلاد الهند في الشرق كثفر جنيزة من بلاد الران ، ونقر (اسيفجاب) و (طراز) في حدود تركستان ، ونقر (فراوة) قرب بلاد الديلم ، الى غير ذلك مما يطول شرحه ، كذلك لم يتسع لنا المجال ان نذكر الافدية جميعها ، ويستطيع من اراد ان يتبعها في مظانها ، فلقد كانت الحروب متواصلة و كانت الفداء مستمرا ، اما اشهر الافدية (١٣) فداء وكلها في ايام بني العباس ، جرى آخرها في ايام المطيع لله سنة ٣٣٥ هـ اي بعد ان دخل معز الدولة بن بويه بجوشه الديلمية الفارسية بغداد بسنة واحدة ، اذ لم يكن هؤلاء من تهمهم شؤون المملكة العباسية ، ولقد بلغ عدد الذين اقتداهم الخلفاء في هذه المدة وهي نحو مئتي سنة ، زهاء (٥٠٠،٠٠٠) نسمة ، وهناك افدية اخرى جرت بعد هذا التاريخ ، لم يقم العباسيون بامرها ،

وانما تكلف بها المتغلبون على الديار الشامية ، من الامارات والدويلات الصغيرة ، ولقد جرى معظمها في عهد سيف الدولة علي بن حمدان الذي كان متغلباً على حلب والعواصم وديار بكر ، فكان هو الذي يقوم بحمايتها ويدفع الدوا عنها ، وينفق من امواله لترميم الحصون وتعزيزها بالسلاح والمعدات . انما لم تكن به الكفاية لمقاومة عدو كانت الخلافة الكبرى تعتدله ، وتهيمن اعظم الاهتمام بامرهم . ومع كل ذلك ، « فقد حفظ بغزواته بيضة العرب والاسلام ولولا بعد ضعف العباسيين لتقدم الروم في بلاد الشام وربما استصغروها كلها » (١) اما اشهر الافدية في عهده فهو : —

فداء سنة ٣٥٥ هـ

« فلقد سار سيف الدولة بالبطارقة الذين هم في اسره ففداهم ابا فراس (ابن عمه) وغلامه ، وجاءه من الاكابر الحلبيين ، ولما لم يبق معه من الاسرى احد ، اشترى الباقين كل نفس بـ (٧٢) ديناراً فنقد ما معه من المال ، فاشترى الباقين ورهن عليهم بدنته (٢) الجوهر المدمرمة المظير ، ولما لم يبق احد من اسرى المسلمين كائب الملك الرومي على الصالح » (٣) انما هلك سيف الدولة سنة ٣٥٦ هـ وخرجت الموصل من الحمدانيين وعم عرب من شيخان الى البويهيين وعم عجم من جيلان ، سنة ٣٨٠ هـ واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤ هـ وانقطع الفداء (٤)

«١» خطط الشام لمحمد كرد علي ج ١ ص ٢١٩ «٢» البدنة ، والبدن هي الدرع «٣» وقائع سنة ٣٥٥ هـ من تاريخ حلب «٤» اذا اردت الوقوف على طرف من اخبار نظام الفداء فارجع الى خطط المقرئ ج ٢ ص ١٩١ و ١٩٢ .

وتفرق سكان الثغور الى المدن الاسلامية . خوفاً على انفسهم واموالهم من فتكة الروم .

ولقد تسمعون عن الصوائف ، اذ يرد ذكرها في تاريخ الحروب العباسية ، والاموية قبلها ، فاحرى بي ان افصل الحديث عنها :

الصوائف

لما كانت الروم تناوى العرب دائماً ، وكانت مدينة القسطنطينية وهي دار الروم ، قاعدة لتلك الجيوش التي تجهز لمناوشة المسلمين دائماً ، وتعدم بالمال والميرة والسلاح ؛ والقسطنطينية مقر المملكة البيزنطية ، ولما كان العرب قد وصلوا في ظل الدولة الاموية ، الى ذروة مجدهم الحربي ، ودانت لهم امصار كثيرة ، وجدوا انه لم يبق واقعاً امامهم وممتنعاً عليهم الا عاصمة دولة الروم وهي القسطنطينية ، فاذا تم الاستيلاء عليها ، فعدا انهم يقضون على النصرانية في المشرق ولسكنهم يؤمنون حفظ البلاد التي احتلوها من قبل ، وبسيطرون على البلدان الاناضولية التي توغلوا فيها ، ولهذا السبب كان فتح القسطنطينية مشروع الخلافة الاول ، الا انه اصبح في الاخير غاية طبيعية لا مناص للدولة الاسلامية من الوصول اليها . وسوف لا نتعرض للمحاولات الجبارة التي قام بها الامويون في سبيل هذا المشروع ، ولا الجيوش الجاراة التي جهزوها ، او الاساطيل التي ساقوها في البحر ، فان ذلك كثير ومشهور ، حتى دالت الدولة الاموية واستخلف بنو العباس ، فكانوا اكثر الخلفاء رغبة في تحقيق هذا الغرض .

ولذلك كانت غزواتهم للروم متتابعة ، فانهم اذا غزوا عدوهم في عقر داره ،

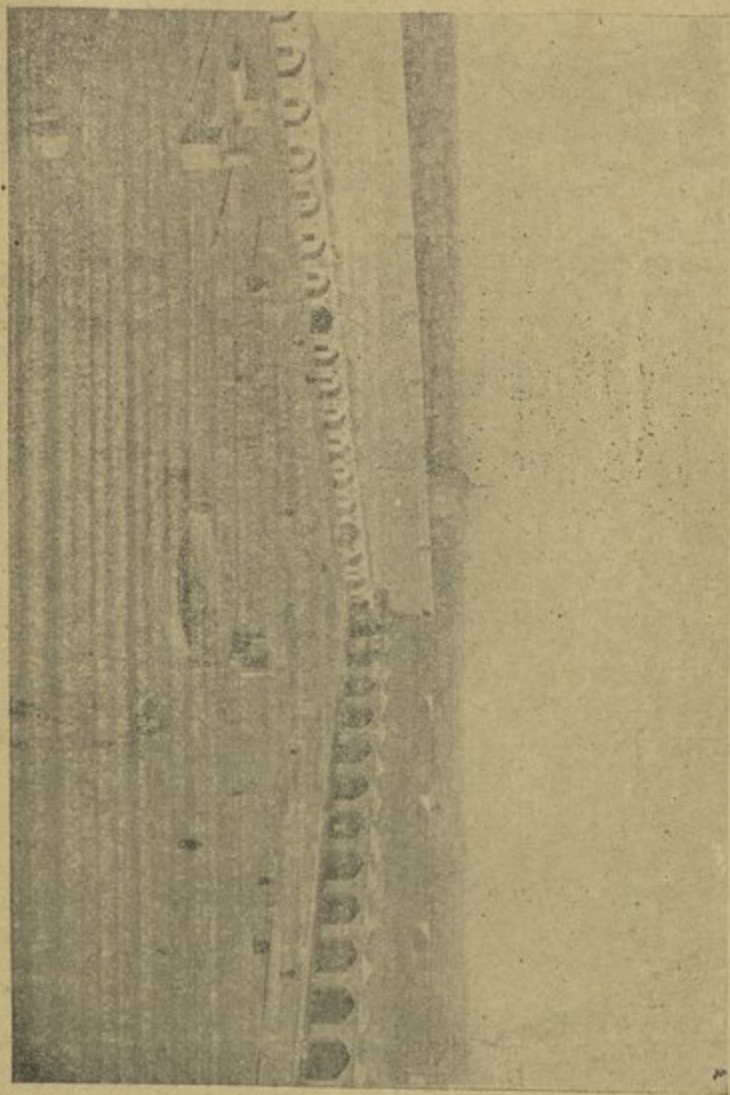
يكبدونه الخسائر والتدميرات التي نجرها الحرب ، فيكون العيث والخراب في بلاده ، عدا انهم يحصلون على السبق في العمل ، ويلقون الرعب في قلوب العدو ، ويزعجونهم ازعاجا لا يمكنهم من الاستعداد للحرب وجمع المعدات له .. فرتبوا الصوائف والشواني ، والصوائف جمع صائفة وهي الجيش الذي يغزو في الصيف والشواني جمع شاتية ، وهي الجيش الذي يغزو في الشتاء .

ورأيتم ان هذه الغزوات قد عينت باعتبار الفصول ، فمنها غزوة صيفية ومنها غزوة شتوية ، وحسناً ما فعل العباسيون فانهم بذلك شغلوا الروم وحفظوا الثغور ، وكانت هذه المسيرات الطويلة من اكبر امور التدريب للجيوش الاسلامية ، بما كانوا يلاقونه من عناء ومشقة ، وما يتجشمونه من اخطار ومهالك ، في تلك الاراضي الجبلية الوعرة ، التي ندرت فيها الطرق ، وكثر فيها الثلج والمطر ، وقلت فيها موارد العيش .

وكان الخلفاء العباسيون : يقودون الجيوش من صوائف وشواني بانفسهم ، كما سترى ذلك في بحثنا عن قيادة الجيوش . فكان مسير الخلفاء في طليعة الفرق ، ومشاطرتها التعب والظماً والجوع ، من اكبر العوامل التي شجعت الجند ، وقوت معنوياتهم ؛ ولم يكن العباسيون يقتصرون على الغزو مرة واحدة في الصيف ، فتد كانوا يغزون صائفتين بسمونها الصائفة النخبي والصائفة اليسرى .

انما كانت غزواتهم في الشتاء قليلة ، ويستعيضون عنها بالمشاغرة ، ولا يمدون في شواتيمهم اكثر من عشرين ليلة .

وعلى هذا الترتيب ، ابدوا الفتح الاسلامي في تلك البلاد ؛ وحافظوا الثغور من ان ينتابها عدو ، واعادوا الى الطاعة من شق عصاها ، ورأيتم اتباعوا طريقة



مسجد الكوفة

محسنة ، في الاحسان الى مقاتلة الثغور ، وهي الزيادة في عطايتهم ، كما هي الطريقة المتبعة اليوم ، فان افواج الحدود المراقبة على تخوم المملكة العراقية ، قد امتاز ضباطها بفضل الرواتب ، كما امتاز المثاغرون قديماً .

وبعد ان فرغنا من سعة المملكة العباسية وثغورها وعواصمها ، وخطوط مواصلاتها وطرق بريدها ، وفرغنا من عدد الجند ، ومراكزهم ، فلننظر الان أكان الدول الإسلامية ، دوائر للتجنيد ، وسجلات خاصة تحفظ فيها اسماء افراد الجيش ، وهل كان لها شعب تقوم بالنفقة على هذا الجيش ، وتدفع الرواتب لسائر المتسبين اليه ، من ضباط وجود واتباع .. وهل كان هناك من يقوم بتجهيز معدات الحرب ، مثل الخيل والجمال والسيوف والرماح والاقواس والنبال والدروع والمجانيق والدبابات ، والآلات التي تقذف النفط والنار ، وهل كانت لديهم اهرام تدخر فيها الغلال مما يحتاجه الجنود ، او اكسية يرتدونها ، ومن يقوم بأورد هذه المهام ، ومن اخترع ذلك وكيف تطور حتى بلغ الغاية في زمن العباسيين .. لنبدأ اولاً بـ :

ديوان الجند «وزارة الدفاع»

أ - في عهد الرسول :

كان المسلمون هم الجند وكانوا يحاربون ابتغاء مرضاة الله ، لا يريدون على ذلك مالا ولا جزاء اذ افرد المسلمون عند مآظير الاسلام عن سائر العرب واتحدوا بجامعة الدين بدأ واحدة في محاربة اعدائهم (١)

«١» راجع تعليق الطنطاوي في كتاب ابى بكر ص ١٠٦ - ١٠٧ .

قتلهم كان لاجل الدين لا لاجل الدنيا ، وكان لا يزال فيهم دائماً من يسئل
 شطراً صالحاً من له في وجوه البر والقرب .. وكانوا لا يريدون على اسلامهم ونصرهم
 لبيهم حزاء إلا من عند الله تعالى (١) ذلك امر لا شك فيه ، حتى ان النبي ﷺ
 عندما امر في غزوة تبوك سنة ٩ هـ بالنفقة في سبيل الله ، بادر اهل الغنى فانفقوا
 اموالاً طائلة ، وذلك لتجهيز الجيش بها ، وقد سمي ذلك الجيش بجيش العسرة
 « فانفق ابر بكر جميع ما بقي عنده من ماله (٢) وانفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق
 احد اعظم منها ، قيل كانت ثمانية بعير والاف دينار » (٣) والذي نعرفه عن
 أبي بكر انه كان غنياً جداً ، ولكنه انفق كل ما يملكه في تجهيز الجيوش ،
 ومقتضيات الحروب ، في سبيل نصرة الله ونصرة النبي ، حتى انه لم يبق لنفسه
 ما يلبسه ولا لبيته ما يأكله إلا القليل وهذا كذا قل عن بقية الصحابة ارباب
 الثروة الكبيرة .

فقد انفق لتأليف جيش العسرة ايضاً عمر بن الخطاب نصف ماله ، وكذلك
 تبرع العباس ، وطاحه ، وعاصم بن عدي بالكثير من اموالهم ، وكانوا يتسابقون
 على الجهاد المالي نساء ورجالاً حتى ان التسرة بعثت بكل ما يقدرن عليه
 من حليهن .

« تاريخ الفخري ص ٥٧ » « تاريخ الاثير ج ٢ ص ١٠٦ » وورد
 في كتاب تاريخنا للمقدادي انه كان اربعة آلاف درهم فقال له الرسول صلى
 الله عليه وسلم هل ابقيت لاهلك شيئاً ؟ فقال ابو بكر : ابقيت لهم الله
 ورسوله « ٣ » قال القرماني ص ٩٣ : « وكان له يوم أسلم اربعمون الف
 دينار انفقها في سبيل الله حتى تخلل بالعبادة » .

وكانوا يقاتلون جميعهم كبيرهم وصغيرهم مدفوعين بإيمان عجيب .. ولذلك لم يفرض الرسول لهم عطاء مقررًا ولما لم يكونوا يتخلفون عن الحرب بل كانوا بجامة الدين بدأ واحدة على أعدائهم من قريش وغيرهم ، لم ير الرسول في حاجة لتشكيل ديوان الجند ، وغاية ما في الامر « انهم اذا غزوا وغنموا اخذوا نصيباً من الغنائم قررته الشريعة لهم ؛ واذا ورد الى المدينة مال من بعض البلاد احضر الى مسجد الرسول وفرق فيهم حسب ما يراه صلى الله عليه وسلم » (١)

أما الجند في عهد ابي بكر

« فلقد كانوا متطوعين ايضاً لا يكلفون الخليفة ولا بيت المال شيئاً وانما ينفقون من اموالهم ابتداء ، ثم مما يصيبون من الغنائم فان المقاتلة لهم اربعة اخماس الغنيمة ، سوى ما يناله القاتل من سلب القتل ، لان سلب القتل آنذاك من حق القاتل لا ينازع فيه ، وكان الامير ينفل (٢) اهل البلاء الممتازين بالفناء في الحرب والضرارة على العدو . ولقد كانت الغنائم في العراق والروم مما يغري المحلفين باللاحاق باخوانهم لانها كانت شيئاً كثيراً لا عهد لهم به .

وحسبنا من ذلك خطبة خالد التي اغرام فيها على العراق ، وافتتاحه وحيازته دون فارس ، وان الامر لو لم يكن ديناً ولم يكن الا المعاش لسكان في الحق ان يجالدهم على ما في ايديهم (٢) . ومع هذا فقد ثبت ان ابا بكر اول من اتخذ :

« ١ » الفخري ص ٥٨ « ٢ » نقله اعطاه زيادة « ٣ » الخلفاء الراشدين للاستاذ النجار ص ١٠٨ وسيرة ابي بكر للطنطاوي ص ١٨٣ .

بيت المال

« اخرج ابن سعد ان ابا بكر كان له بيت مال بالسنح ، ليس يحرسه احد ، فقل له الاتجعل عليه من يحرسه ، قال : عليه قتل ، فكان يعطي ما فيه حتى يفرغ فلما انتقل الى المدينة حوله فجعله في داره فقدم عليه مال ، فكان يقسمه على فقراء الناس فيسوي بين الناس في القسم ، وكان يشتري الابل والخيول والسلاح فيجمله في سبيل الله .

فالابل لوسائط النقل ، والخيول للفرسان المحاربين ، والسلاح للطعان وامل عمله هذا كان القاعدة الاولى للذين جاؤا بعده ، فخصصوا من واردات الدولة ميزانية ديوان الجند اي وزارة الدفاع . حتى انه كان يشتري القطائف (١) يأتي بها من البادية فيفرقها في ارامل المدينة « سواء كن من النسوة اللاتي قتل ازواجهن في الحرب ، او ماتوا حتم انوفهم ...

وبهذا الاثر كما اخبر السيوطي : - برد قول العسكري : « ان اول من اتخذ بيت المال عمر ، وانه لم يكن للنبي ﷺ بيت مال ولا لابي بكر ارض » ولكنه (ابن العسكري) تنبه له في موضع آخر من كتابه (اي الاوائل) فقال : - « ان اول من ولي بيت المال ابو عبيدة بن الجراح لابي بكر » .

وكان الخليفة في اول الامر يختار قائد الجيش وهذا يختار بدوره الموظفين الذين يعملون تحت امرته (٢) وكان القائد ينوب عن الخليفة في اقامة الصلاة و

« ١ » القطائف جمع القطيفة وهي دثار نخل يلقى على الرجل على نفسه عند

النوم ، تاريخ الاسلام العباسي ج ١ ص ٥٨٥ .

واذا ما اجتمع اكثر من قائد في مكان واحد عين الخليفة احدثهم للصلاة بالناس فيصبح هذا القائد بمثابة قائد القواد (١) .

في عهد عمر بن الخطاب

ولما دخلت سنة ١٥ هـ « رأى ان الفتوح توات ، وان كنوز الالكاسرة قد ملكت ، وان الحول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والسياب الفاخرة قد تتابعتم فرأى التوسيع على المسلمين وتفرق تلك الاموال فيهم » (٢) وبينما كانت واردات الدولة محصورة في الزكاة وهي الحصة التي يتقاضاها بيت مال المسلمين من مواشي المسلمين وزرعهم بنسبة منصوص عليها ، وفي خمس الغنائم ، التي يغنمها المجاهدون في الحرب ، فلقد اخذت الواردات بكثرة الفتوح وانتشار الاسلام واتساع سلطانهم تزداد بازدياد الفتي من الخراج والجزية والاعشار زيادة لا طاقة للخليفة وامرائه بضبطها ولا قبل لهم باحصاء مستحقها وتوزيع الاعطيات على اربابها ، بالعدل الا بضبطها وترتيبها على اصول ثابتة وقيدتها في قيود خاصة ، ففكر عمر بالامر « وشاور فيما يعتمده رعاياه ، لما هو الاحوط . فقال خالد بن الوليد (٣) : « اني رأيت ملوك الشام قد دونوا ديواناً ، وجندوا جنوداً » فبادر عمر واستدعى . . . نساب قريش وقال اكتبوا الناس على منازلهم . وبدأوا ببني هاشم وبني المطلب ، ثم بمن يليهم من قبائل قريش بطناً بعد بطن حتى استوفى قريشاً ثم انتهى الى الانصار ، فلما استقر ترتيب الناس في الديوان على منازلهم فضل

(١) سيد امير علي ص ٦٤ ، ٢٠ ، الفخري ص ٥٨ ، ٣٠ وفي مصادر اخرى : هشام بن الوليد بن المغيرة .

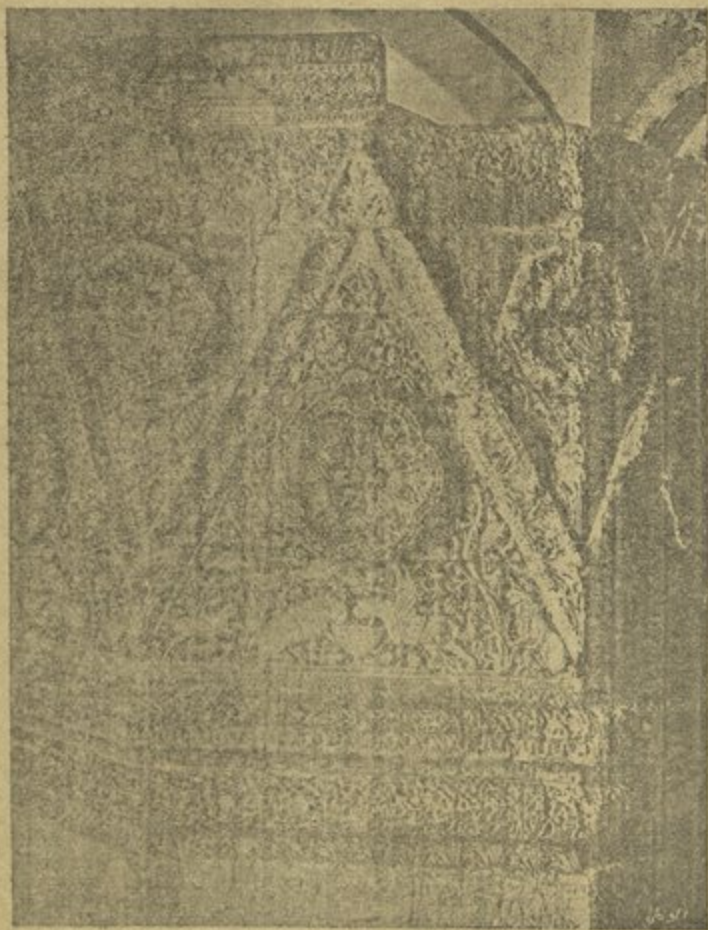
بينهم في العطاء ، فجعل أرزاقهم متفاوتة بقدر سابقتهم في الاسلام .. « (١) .
 اما بعض المؤرخين من رجال العصر ممن يذهبون مذاهب المستشرقين فانهم
 يميلون الى ان احد مزاربة الفرس اشار على عمر بن الخطاب بادخال نظام الدواوين
 الذي سار عليه الفرس بضبط دخل الدولة وخرجها فعمل عمر بمشورته ودوت
 الدواوين وفرض العطاء (٢) وجاء مثل هذا في الفخري ص ٦٠ والواقع الذي
 ذكرناه آنفاً ، ولقد كان عمر لا يطمئن الى نصائح الفرس ، ولا يثق بمشورتهم .
 وهكذا ترى ان عمر بن الخطاب اول من اسس ديوان الجند ، وانه اسسه
 في المدينة سنة ١٥ هـ ، ثم انه لهذه الغاية « استخدم الكتاب في الدواوين » (٣)
 وقد اسسه ليجل المسلمين كلهم جنداً يدافعون عن بيضة الدين ، ويعملون
 على نشره في مختلف الاسقاع والبقاع . انما لم يكن هذا الديوان يومئذ يعرف
 بديوان الجند ، لكنه كان يسمى (الديوان) فقط ، والديوان كما في القاموس هو
 الدفتر او مجتمع الصحف والكتاب يكتب فيه اهل الجيش واهل العطية . وكان
 يشمل اسماء المهاجرين والانصار ومن تابعهم ، ومقدار اعطياتهم .. وكان لكل
 مسلم راتب يتناوله لنفسه ، ورواتب لاهله وولده ، فكانه ديوان المسلمين كافة
 باعتبار ان المسلمين كانوا كلهم جنداً ، في ذلك الحين الا الذين لا يطبقون حمل
 السلاح ، ومعنى هذا ان التجنيد كان إلزامياً .

١٠ ، كتاب . العقد الفريد للملك السعيد ص ١٥٥ ، ٢٠ . الفخري ص ٧٩
 — ٨٠ . والذين يميلون الى هذه الرواية ويعتقدونها اقرب الى الحقيقة يقولون
 ان لفظة ديوان فارسية وهي مشتقة من لفظة دب ، ومعناها في اللغة
 الفهلوية : المحافظة ، ٣٠ . راجع الفخري .

قال ابن جرير الطبري (١): « وفي هذه السنة (اي سنة ٨١٥ هـ) فرض
 عمر للمسلمين الفروض ، ودون الدواوين ، واعطى العطايا على السابقة » والذي
 يراد بأعطيات الجند درواتهم اتي يقبضونها في اوقات معينة من العام ،
 فكم ياترى كانت اعطيات اولئك الجند ! لقد كانت اعطياتهم على الوجه
 التالي (٢):

درهم	
٥٠٠٠	اهل بدر
٤٠٠٠	من بعد بدر الى الحديبية
٣٠٠٠	من بعد الحديبية الى ان اقلع ابو بكر عن اهل الردة (٣)
٢٠٠٠	اهل القادسية واهل الشام
٢٥٠٠	اهل البلاء البارع منهم (اي من جيشي القادسية والشام)
١٠٠٠	من بعد القادسية واليرموك
٥٠٠	الروادف (٤) المثنى
٣٠٠	الروادف الثلث
٢٥٠	الروادف الرابع

« ١ » راجع للتوسع فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٣٥ - ٤٤٧ . العطاء
 في خلافة عمر بن الخطاب ، « ٢ » عن الطبري « ٣ » ، وفي ذلك من شهد الفتح
 وقاتل عن ابي بكر « ٤ » الرديف لغة التبع ، والروادف هم الذين لم يشهدوا
 تلك المشاهد الكبيرة وكان يلحق كل قوم منهم باهل طبقة من تلك الطبقات
 الذين هم الاصل في ترتيب العطاء .



المشتي بشرفي الاردن

درهم

٢٠٠ من بدم (وهو : اهل حجر والعباد)

١٠٠ الصبيان (١)

وكان قد فرض للعباس بن عبدالمطلب وبدأ به (١٢٠٠٠) وألحق بأهل بدر أربعة من غير اهلها وهم : الحسن والحسين وأبذر الغفاري وسلمسان الفارسي ، « اما امراء الجيوش والقرى فقد فرض لهم في العطاء ما بين (٩٠٠٠ و ٨٠٠٠ و ٧٠٠٠) على قدر ما يصلحهم من الطعام » وما يقومون به من الامور .

ومما هو جدير بالذكر انه فرض للاسراء الذين اشتركوا في الحروب اعطيات تعادل اعطيات اسياهم ، وقد كان الجند في عهده ينقسم الى طائفتين :
١ - الجند النظامي : وهؤلاء الذين اتخذوا الجندية مهنة لهم .

٢ - المتطوعة : وهؤلاء الذين يشتركون في الجيش وقت الحرب فقط ، ويسرحون في السلم .

إما انه رضي الله عنه قد حرم على المسلمين ان يزاولوا الزرع وغيره وبهملوا امر الجندية فقد كان ذلك مقصوداً على الجند النظامي ، هذا بينما كان المتطوعة احراراً في المهن التي يزاولونها ... ولا يخفى ما لوجود الجيش المنظم تحت السلاح والمرابط في مراكزه بقصد الاسراع في رد العدو ونجدة الجند في الاماكن الاخرى من الفائدة .

١٥ ، ولا عبرة بما ذكره مؤلف تاريخ التمدن الاسلامي في ج ١ ص ١٥٦ منه ، ففيه من الخلط والتحريف ما شوه وجه التاريخ ، بالرغم من انه نقله عن المقرئ في ج ١ ص ٩٢ والماوردي ١٨٩ ، وليس هناك شيء من ذلك .

وهكذا حصر بديوان الجند اسماء الغزاة جميعهم ، ولسكنه لم يفعل عن نسائهم واولادهم كما اشرنا الى ذلك ، فكان الجدي وهو يحارب في ساحة القتال ، بعيداً عن اهله وصغارهم وعياله ، لا يفكر بأمر اعاشتهم البتة ، لانه مطمئن من جهتهم اذ ان الرواتب والافوات تدر عليهم كل شهر بصورة منتظمة .

وفي القائمة التالية (١) الرواتب التي خصصها الخليفة للنساء :

درهم (٢)	
١٢٠٠٠	عائشة (وقد فضاها على بقية نساء النبي بالغين)
١٠٠٠٠	بقية نساء النبي
٥٠٠	نساء اهل بدر
٤٠٠	نساء من بعدهم الى الحديدية
٣٠٠	نساء من بعد ذلك
٢٠٠	نساء اهل القادسية
١٠٠	سائر نساء المسلمين

ثم انه فرض لكل انسان منهم ولعياله ، جريدين في الشهر (والجريب ٣٦٠٠ ذراع مربع ويراد به ما ينبت في تلك المساحة) فلم يبق بعد حجة لمختلف عن

« ١ » عن الطبري « ٢ » قال احمد زكي باشا رحمه الله في كتابه الحضارة الاسلامية « ان ٢٠٠٠ درهم تساوي ٨٠ جنيهها ، قلت اما الدينار فكان في ايام عمر يساوي ١٠ دراهم ، واصبح في ايام المأمون يساوي ١٥ درهما .

الحرب ، ممن توفرت فيه شروط الكفاءة . تلك هي الرواتب التي أقرها عمر لرجال جيشه ونسائهم واولادهم .

وتلك هي الترتيبات التي أسسها والتي ظلت مرعية الى العام الحادي والعشرين حيث اوجد ادارة خاصة للجيش حينذاك لم يسبق ان وجد ما يشاكلها ، فأسس فروعاً لهذه الادارة كانت خير وسيلة لترقية الجيش ، وتنظيمه ، وترتيبه ، وقد تم ذلك في أيام بني أمية .

وقد جرى عليها الخلفاء الراشدون من بعده .

وذكر الفخري ص ٧٩ - ٨٠ وجرى الحال على ذلك مدة خلافته وخلافة عثمان الذي ادخل في أيامه تعديلاً يستحق الذكر ، والذي تفصيله من بطون التاريخ الاسلامي ان سيدنا علي بن ابي طالب قد سوى بين الجنود في العطاء . وقد ظلت مرعية في صدر الاسلام حتى اوائل الدولة الاموية ، وظل العطاء باعتبار النسب حتى انقراض اهل السوابق ، وصار الجند فئة من المسلمين قائمة بنفسها ، وترتب الجند باعتبار الشجاعة والبلاء في الحرب والكفاءة بالقيادة ، والجند بالطبع يختلفون في ذلك .

وربّ معترض يعترض فيقول ، كيف نجراً عمر ، فجعل الجند يتفاوتون في العطاء وقد تساوا في الاسلام ! والذي اراه في القاعدة التي سار عليها عمر في تمييزه الناس في العطاء ، انه عمل ما هو معدود من العدل والانصاف ، فجعل ارباقهم متفاوتة بقدر سابقهم في الاسلام ، اذ لا وئلك حقوق يجب مراعاتها . اوليس الفرق كبيراً بين من هاجر الهجرتين وبين من اسلم عام الفتح خوف السيف ، ثم اوليس البون شامساً بين من قاتل رسول الله وبين من قاتل معه ،

لا شك انه من الاجحاف ان يسوي بينهم ، واحكموا بأنفسكم ألا تفضلون اولئك الذين اشتركوا في معركة اليرموك سنة ١٣ هـ ونازلوا جيشا بلغت عدته (٢٤٠٠٠٠) مقاتل بكامل عدته ، واولئك الذين اشتركوا في القادسية سنة ١٤ هـ فزقوا شمل جيش قدره (١٥٠٠٠٠) محارب ، بعد ان نجشموا من حروب الفيلة ما اراهم الموت عيانا ، على اولئك الذين صاروا يحاربون بعد اليرموك والقادسية ، في معارك ليست شديدة ولا ذات بال ، بينما كانت المعركتان السابقتان من المعارك الفاصلة في التاريخ . فقد قضت الاولى على الروم كما قضت الثانية على الفرس والذي اراه على هذا القياس ان يتفضل العريق بالقومية العراقية ، والذي توطن العراق منذ أمد بعيد ، فاحتمل سراء الوطن وضراؤه وذاق حلوه كما ذاق مره ، ونازل المتمردين في كل الوقائع ، على اولئك الذين تدفعهم اغراضهم او مصالحهم الشخصية للاقامة فيه والتعرق (اي التجنس بالجنسية العراقية) . ثم أليس من النصفة ان يمتاز هؤلاء الذين حاربوا في الجيش العراقي منذ اول تشكيله حتى ما بعد سنة (١٩٢٥) عن اولئك الذين صاروا ينهافتون عليه ما بعد هذه السنة .

ولا مرأ ان الذين جاهدوا في سبيل القضية العربية في الحجاز والشام ثم هبطوا العراق ليواصلوا جهادهم ينبغي ان تكون حقوقهم محنوخة ويتميزون بالمعروف كما أقر على ذلك عمر بن الخطاب الا انه لم يطل امده فقد سوى بين الجنود في العطاء علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

وقد جعل الخلفاء أمور الجنديين متعلقين بديوانين .

٢ - ديوان الاموال

وسوف نختصر في بحثنا على ما يخص الديوان الاول ، واهم ما ينظر فيه هو اثبات المستخدمين من الجند ، وعطائهم ، وقرارهم ، من الاقطاع والنقد .

وكان عندهم لاختيار الجند من بين الناس شروط منها ان من اراد الانضمام في الجندية يقدم طلباً الى صاحب ديوان الجند ، ويعرض نفسه عليه وهو ينظر في أهليته لها ؛ كما يفعل ذلك ضباط التجنيد واطباء المناطق اليوم ، ورأيت في تاريخ القطن الاسلامي (١) : « وانه لا يكون اهلاً لذلك الا اذا كان حراً بالغاً مسلماً سليماً مقدماً » غير ان هذا شذب محرف عن الاصل ويحتاج الى زيادة ايضاح فان :

شروط القبول للتجنيد

هي اولا : البلوغ وفي الاحكام السلطانية (٢) . لان الصبي من جملة الذراري والاتباع ، فلم يجوز ان يثبت في ديوان الجيش فكان جارياً في عطاء الذراري (٣) ومن هنا يظهر لنا ان التجنيد لم يقتصر على الرجال البالغين وانما يشمل النساء البالغات اذ ان شروط الخدمة العسكرية لم يرد فيها ما يشير الى التحديد ولذلك كان الجيش اذا سار الى المعركة كان معه جيش جرار آخر من النساء ... وفي الواقع ان الشارع ﷺ عندما كان يصحب النساء مع الجيش قد احسن صنعاً في ذلك وقوى معنويات الجيش فضلاً عن زيادة عدده ، فلقد ثبت بالاحصاءات الدقيقة

(١) ج ١ ص ١٥٤ «٢» ص ١٧٩ «٣» العقد الفريد للملك السعيد ص ١٥٩ .

في اقطار مختلفة ان النساء يبلغ عددهن ٦٠٪ من مجموع سكان القطر اي : انهن ١٠٪ ازيد من نصف السكان اما الكثرة هذه فقد تأتت من الراحة التي يتعمن في ظلها تم ان الاعمال التي يزاولنها غير شاقة ذلك في الزمن الماضي ، ولو اضفنا اليه ما تجدد من الاسباب وهو عدم اشتراكهن في الحرب وعدم تعرضهن للخسائر في النفوس ل زاد عددهن على الرجال اضعافاً . ولا شك ان الرسول ﷺ اذ قال « تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم » انما كان ينظر اقله الرجال.. ولقد ظل النساء يزاولن الاعمال العسكرية مدة من الزمن وطوال الخلافة الاموية ، وفي الاخير انتشر في الدولة العباسية فقهاء جامدون لا يتقرون المصلحة العامة ولا ينظرون الى ما جاءت به السنة النبوية وانما يعملون بارادة السلاطين فحدودا شروط الخدمة العسكرية و اضافوا اليها مادة (الذكور) فحرموا الجيش من عنصر مهم فعال وحرموا نصف قوة الدفاع وكانوا سبباً لا انتشار النقص الاخلاقي في الجنسين ، ونسوا ان الرسول ﷺ كان يخرج معه ام سليم ورفادة وغيرها من نساء الانصار وان بعض النساء قد قاتلن معه في غزوة احد (١) ولذلك رجع الفقهاء فقالوا لو احوج الامر الى الاستعانة بالنساء وجب ذلك ومع هذا وعلى فرض صحة شرط الذكور فلا يمنع الانتفاع بالنساء والصبيان في مداواة الجرحى ونقل الماء والارزاق للمقاتلين ومن هنا نرى امكان استخدام النساء كممرضات وفي خطوط المواصلات والمعامل .

واستناداً على النظرية السابقة فان تركيا نظرت الى هذه القضية فعممت الخدمة العسكرية على النساء فكانت ارجعت الى ما كان عليه العرب في سابق مجدهم حين دوخوا

«١» بل كان يصحب معه ازواجه بالاقتراع - الناشران - .

الافطار وافتتحوا الامصار .

ان نفوس تركيا حسب الاحصاء الذي جرى عام ١٩٣٤ هو ١٧ مليون نسمة من بينهم ٩ ملايين نساء والباقي من الذكور فانها لو اكتفت بتجنيد الذكور فقط لثلت من قوتها ما يربو على نصفها .

فعسى ان يلاحظ المسؤولون عن هذه الامة هذه النقطة الحيوية فليلتفتوا الى العنصر النسائي ويجندوا منهم اذ لا يوجد الآن سوى ممرضتين اثنتين تقومان بشؤون التمريض والخدمات الصحية في المستشفى العسكري في بغداد .

وهناك نقطة جوهرية ثانية حرية المناقشة وهي : ان الرسول ﷺ قد اعتبر الذين بلغوا (١٦) من اعمارهم قادرين على حمل السلاح .

اذن فما بال الخدمة لدينا لا تشمل هذه السن وهذه جارتنا الجمهورية التركية تبدأ العسكرية فيها بابناء (١٦) سنة اما مدة الخدمة لدينا فهي ١٠ سنوات فقط اي ان المتجند ابن العشرين يعفى من العسكرية عندما يبلغ الثلاثين (١) بينما في تركيا تنتهي في الستين . وكان في الجيوش العربية كثير من الشيوخ ممن بلغوا الثمانين وكانوا يستشارون في عويصات الامور .

ثانيا الاسلام

ليدفع عن الملة باعقاده وبريق بنصحه واجتهاده (٢) وكانوا يكتفون من

١٠ لقد كتب المرحوم هذا قبل ان يلحق بالنظام بعض التعديل

٢٠ الاحكام السلطانية ص ١٧٩ .

غير المسلمين بدفع الجزية اما الجزية فهي ما يوضع على رؤوس اهل الذمة من الرجال دون النساء والاطفال وكانت تؤخذ منهم جزاء عن حمايتهم ، ودفع العدو عنهم ، ولم يكونوا يأخذونها من المساكين الذين يتصدق عليهم ، ولا ممن ليس لهم قدرة على العمل حتى ان عمر بن الخطاب خصص لعاجز من اهل الذمة راتباً يتناوله من بيت المال ورفع عنه الجزية وعن امثاله من فقراء النصارى واليهود . وكانوا يقدمون الجزية وفقاً لحالة المرء على انها لم تكن تزيد على (٤٨) درهماً ولا تنقص عن (١٢) درهماً (١) وقد اوصى الفاروق الخليفة من بعده بأهل الذمة خيراً وامره ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم وان لا يكلفهم فوق طاقتهم (فكانت الجزية هذه تصرف في سبيل الله وفي شراء الاسلحة الحربية على اختلاف انواعها ، وفي اعداد الخيل والابل للفرسان ، ولتنقل عليها ، وفي شراء الميرة للمحاربين وفي صورة عامة انها تنفق في تهيئة واكمال كل معدات الجهاد .

ثالثاً السلامة

من اسباب العجز الزمن (٢) والعمى وكما يمتنع القتال معه ، فاما العرج فان كان ممن يستخدم ليقاتل راجلاً فيمنع الاستخدام فلا يثبت له وان كان ممن يقاتل راكباً فانه لا يمنع من الاستخدام فيثبت له (٣) . وقال قاضي القضاة الماوردي : « ويجوز ان يكون اخرس او احم » (٤)

١٠ واذا نظرنا الى ما يدفعه المسلم من زكاة امواله تبين الفرق العظيم بينه وبين اهل الذمة الناشران ، ٣٠ الزمن هو المصائب بالزمانه - وهي العاهة وتعطيل القوى - والذي طال مرضه زماناً ٣٠ العقد الفريد للملك السعيد من ١٥٦
 « ٤ » الماوردي ١٧٩ .

قلت وهنا يدخل شرط (العقل) الذي يذكره الفقهاء المتأخرون .

رابعاً الاقدام

وهو ان يكون قوي البنية ، عارفاً بالقتال ، خبيراً بجيـسان ، عارفاً بـكيفية استخدام سلاحه ، متعملاً مشاق السفر ، وقال لناوردي : « قلت صغفت منه (اي قوته) عن الاقدام ، او قلت معرفته بالقتال ، لم يجز اثباته لانه مرصداً لما هو عاجز عنه .

ومن هنا تنبين ضرورة التدريب العسكري ، واجراء تمارين القتال والتدريب الاجمالي للضباط وضباط الصف ، كي لا يبقى في الجيش جندي ليس له علم بأساليب التعبئة الصغرى وكيفية الاستفادة من الارض ، وكيفية الاستفادة من سلاحه وكيفية اتقاء سلاح عدوه ، ولهذا شرعت المسابقة بالخيـل^١ والابل ، والمناضلة بالسهم ، واخذ الجمل ، لما فيه من الترغيب في اعداد القوة ورباط الخيل للجهاد . وقال صلى الله عليه وسلم « علموا بذيكم الرمي فانه نكابة بالعدو » ولذلك كان اهتمام الاسلام بتدريب الامة الاسلامية جمعاء ، وعلى الاخص منها المقاتلين ، على الاخذ بتمارين القتال .

وما كانت قضية خروجه ﷺ في غزوة تبوك ، الا تدريباً للجيش على المسيرات الشاقة الطويلة في منتصف الصيف استحضاراً لغزو سورية .

والشروط الاربعة الآتية الذكر ، متفق عليها ، اما الشرط الخامس فمختلف فيه وهو :

خامسا الحرية

وقد اختلف فيها لان المملوك تابع لسيد فـسكان داخلا في عطائه (١) وقد اعتبرها الشافعي واسقطها ابوحنيفة ، ومنها يرد من قال ان تنظيم الجيش آنذاك كان من المتطوعين ، وهم من العرب والمرتزة وهم من الموالي والعبيد .

ومن رأي ان لا يستخدم المملوكون اي غير الاحرار في الخدمة كما لا يستخدم غير المسلمين فيها لان هؤلاء لا يحاربون بالهمة والعقيدة المطلوبتين ، وامرهما ليس بايديهما . ولان العبد لا يقاتل بمل ارادته في سبيل غاية لانهمه شيئا وكذلك غير المسلم .

فاذا كانت هذه الصفات حاصلة في واحد وطلب ان يكون في الخدمة ليثبت في ديوان الجيش ، ويجرد عن الاعمال الشاغلة ، والموانع القاطعة فيجيبه ولي الامر ان كان الاحتياج يدعو اليه (اي اذا اعلنت الحكومة النفير الخاص او العام ، او دعت ابناءها للتجنيد) .

وكان عندهم دفتر مخصوصة يدونون فيها اسماء الجنود اذا استوفوا شروط الجندية فيدرجون فيها اسمه واسم ابيه مع نسبه وسنه (٢) وقدمه ، ولونه ، وملامحه (اي حلي وجهه) وسائر ما يتميز به عن غيره لئلا تتفق الاسماء (٣) ، ثم يضيفه الى مقدم يصحبه او تقيب بحيث يرعاه ويعرفه (٤)

«١» الماوردي ص ١٧٩ «٢» الماوردي ص ١٨٠ «٣» التمدن الاسلامي

ص ١٥٥ «٤» العقد الفريد للملك السعيد ١٥٦ .

فانظروا رعاكم الله الى هذه الدقة في العمل ؟ واذا شئتم التوسع في هذا الصدد فارجموا الى كتاب « الاحكام السلطانية » تأليف قاضي القضاة ابي الحسن البصري البندادي الماوردي المتوفى سنة (٤٥٠ هـ) تطلخوا على بيان مسهب ، في تقليد الامارة على الجهاد (ص ٢٩ - ٤٤) وابواب اخرى مفيدة في الولاية على حروب المصالح ، وقسم الفبي ، والغنيمة ، ووضع الديوان ، واحكامه ، وغير ذلك من الابحاث التي انصح للكتاب العسكريين ان يدرسوها دراسة امعان ويقارنوها بما ورد في قانون الدفاع الوطني . ولنتصرف الآن الى :

اعطيات الجندي في الدولة الاموية

فلقد تولى الخلافة معاوية بن ابي سفيان فزاد شيئاً في اعطيات الجندي وكان لديه في مركز خلافته بالشام (٦٠٠٠٠) جندي ينفق عليهم ستين مليون درهم في العام ، فيلحق كل جندي الف درهم وليس هذا القدر عظيماً بدرجة ان يجبي المغرضون فيشتعنون على الدولة الاموية ، ويدسون على خلفائهم باتهم احتساجوا الى استعجاء العرب ، فاستخدموا المال في سبيل ذلك ، وزادوا في اعطيات الجندي (١) ألم تكن اعطيات الجنود الذين نخرطوا في سلك الجندي من بعد حرب اليرموك والقادسية الف درهم ايضاً ، بينما كان مجموعهم في الجبهتين السورية والعراقية اكثر من جند معاوية في الشام فما بال اولئك الذين يتخرصون القول ، ويغمزون فيه ، ولا يرجعون الى الحقيقة الواقعة . ومع كل هذا فان المؤرخين المعاصرين ومن جملتهم العلامة شبلي النعماني يذكرون ان اول ضعف تسرب الى الجيش

الاموى في عهد معاوية، لانه قطع العطاء عن ورثة المجاهدين .. الخ
ثم لما كثر الناس عن الحاجة ، واضطرتهم المسدنية الى ان يشتغل كثير من
الامة بغير الجهاد من الصنائع ، اقتصر الديوان على ما تقوم به حاجة الامة من
الجيش (١) على ان يشتغل بقية ابناء الامة باعداد للثروة الحربية .. « وتقص
بالثروة الحربية كل ما يحتاج اليه الجيش في الحرب من سلاح وعتاد وتجهيزات
وارزاق ، وملابس ، ووسائل ... وما تحتاج هذه من مواد اولية ومصانع
ومعامل .. » (٢)

- ولذلك كان للعرب عدا دواوين المراسلة ، والعطاء والنفقات :
- ١- ديوان الخزانة : وهي بيوت متخذة لحفظ اصناف الاموال والقماش ،
سجلات مفرداتها ، ومقاديرها بالدفاتر ، ووكت الى
حراس امناء ، ومأمورين من اقوى الناس ديانة ، وما
اخلل دائرة العينة تختلف عنها في شيء .
 - ٢- ديوان الاهراء : وتحرز فيه الفلال ، ويكون مباشره من اكبر العدول
الدينين الاعفاء ، وهي لا تختلف عن دائرة الميرة .
 - ٣ ديوان خزائن السلاح : وتحفظ فيه الاسلحة والذخائر ، ويجب ان
يكون مباشر هذه الجهة محتسب البلد ، لانه
يعرف امور الاستمالات ، واجر الصنائع ، واسعار

« ١ » تاريخ الخضرى ص ١٧٢ « ٢ » وان شئت التبسط في معرفة الثروة
الحربية فارجع الى ما كتبه العميد السيد طه الهاشمي في كتابه الجغرافية
العسكرية ج ١ ص ١١٢ - ١٢٠ .

الآلات وغيرها (١)

ذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه « العجائب والظرف » : انه كان في خزانة السلاح ايام السفاح خمسون الف درع ، وخمسون الف سيف ، وثلاثون الف جوشن ، ومائة الف رمح .. ومنه .

قال الفضل بن الربيع : لما ولي محمد الامين الخلافة في سنة ١٩٣ هـ امرني ان احصي ما في الخزائن من السكوسة ، والفرش ، والآنية ، والآلة .. واما الآلة فمئيرة آلاف سيف محلاة بالذهب ، وخمسون الفاً للشاكرية والفلماني ، ومائة وخمسون الف رمح ، ومائة الف قوس ، والف درع عامة ، وعشرون الف بيضة ، وعشرون الف جوشن ، ومائة وخمسون الف ترس ، واربعة آلاف سرج محلاة خاصة وثلاثون الف سرج عامة (٢) .

ولقد جر الكلام بعضه بعضاً فلنرجع الى ما كنا بصددده ، من مقادير العطاء في الدولة الاموية .

فلقد ظل شأن العطاء ايام يزيد الاول ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ، كما كان شأنه في ايام معاوية بن ابي سفيان الا ما كان من امر يزيد بن معاوية في تحشيد الجيش لاختاد ثورة المدينة ، اذ اقتصر فقيره الخاص على اهل الشام فقط ، فحشى منسديه في اسواق دمشق فنأدى في الناس : (ان سيروا الى الحجاز على اخذ اعطينكم كاملة ، ومائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته) . ولكنا نرى ان عبد الملك بن مروان صار يوسع في الاعطيات ويبالغ في روائب

« ١ » منقول عن آثار الاول في ترتيب الدول ص ٧٤ « ٢ » ج ٢ ص ١٦٢ مطالع البدور في منازل المروور لعلاء الدين الغزوي .

الجند ، وانه لمذور في ذلك ، فلقد تذرع بهذه الوسيلة تأييداً لاحتزابه في مقاومة دعاة الخلافة وقد كثروا في زمنه ، هذا من جهة واما من الجهة الثانية فانه اراد ان يسحق الخوارج الذين كثروا معهم حتى اضعفوا جيوش الدولة ، واملوها ، وبالاخير فانه بعد ان شنت شمل الخوارج ، شاء ان يوسع رقعة المملكة العربية ، فما كان منه الا ان يبسط يده ، ويبالغ في الاتفاق وذلك شأن الدهاة الحازمين ، ينفقون حتى يستقيم لهم الامر ، وفي عهد هذا الخليفة الحازم وبامر منه سير امير العرافين الحجاج بن يوسف الثقفي ، الجند الى (رتبيل) ملك الروم وكان عددهم (٤٠,٠٠٠) وقد اتفق عليهم مليوني درهم ، سوى اعطياتهم ، وسوى ما وهبه لسكرانهم . ولا اعلم ماذا يعني شبلي النعماني بقوله « ان عبد الملك بن مروان خفض ميزانية الجيش » مع هذا الاتفاق الذي نسمعه والذي اثبتته الرواة ولعله كان يقصد يزيد بن عبد الملك الذي عرفه التاريخ (بالناقص) لانه انقص عطاء الناس . ولما تولى الوليد بن يزيد ، وقد كثرت موارد الدولة زاد العطاء عشرة دراهم .

ولكن نرى الرواتب في اواخر بني امية قد قلت حتى صارت في آخرها خمسمائة درهم ، ولم يكن ذلك باقليل ايضاً فانه يعادل ما خصصه الخليفة الثاني للروادف

اما الاعطيات في عهد العباسيين

فانه عندما آلت الخلافة الى بني العباس سنة ١٣٢ هـ فقد جعل السفاح - اول خلفائهم - راتب الجندي ثمانين درهماً في الشهر اي (٩٦٠) درهماً في رأس كل سنة فكانه ارجعه الى ما كان عليه في صدر الاسلام واوائل بني امية . وكان للفارس ضعف هذا الراتب لينفق نصفه على قوسه ، ولان الفرس

يحتاج الى مؤنة نفسه وسائبه ، ومنفعة الفارس به اكثر من منفعة راجلين (١) وقال ابن تيمية (٢) في قسمة الغنائم : « العدل في القسمة ان يقسم للراجل سهم واحد ولل فارس ذي الفرس العربي ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه .. ومن الفقهاء من يقول للفارس سهمان » .

والذي يظهر ان الرواتب لم ترتق بارتفاع الدولة العباسية بل هي اخذت بالتناقص ، فصارت في ايام المأمون عشرين درهما في الشهر للجندي من المشاة ، وأربعين درهما للخيال ، وبعد ذكر ابن الاثير ان جيش عيسى بن محمد بن ابي خالد كانت سنة ٢٠١ هـ (١٢٥) الف جندي بين فارس وراجل ، فأعطى الفارس (٤٠) درهما والراجل (٢٠) درهما (٣) ، ولعل السبب في ذلك هو ان الاعاجم الذين كانوا يشكون قوام الجيش العباسي كما سترى ذلك في فرق الجيش العباسي ، كانوا يرضون بالراتب القليل ، لانهم تطوعوا لقلب الدولة الاموية ، وسحق العرب من الوجود ، وكانت لهم ولقاداتهم مآرب يريدون ان ينفذوها بانضوائهم الى راية الجيش العباسي ، وبالخدمة في صفوفهم ، وقد تم لهم ذلك حتى ان توفي المأمون ، واستخلف المعتصم ، فضعفت شوكة الفرق الخراسانية وقويت شوكة الاثراك .

ومع ذلك ، فان ذلك الجندي الفارسي الذي كان قانعا براتب شهري قدره عشرون درهما ، زاد راتبه هذا فبلغ ثمانين درهما ، وذلك عندما قامت الفتنة بين الامين والمأمون ، فكان كل منهما يرغب جنده بالاعطيات ، فلما فاز جند طاهر بن

١٠، السياسة الشرعية ص ١٦ ٢٠، السياسة الشرعية ايضاً ص ١٦

٣، ابن الاثير ج ٦ ص ١١٠ .

الحسين على جيش الامين سنة ١٩٥ هـ زاد المأمون أعطيات جند طاهر حتى جعل راتب الواحد ثمانين درهما أي (٩٦٠) درهما في السنة كما اخبر بذلك الطبري وغيره من المؤرخين .

اما الرواتب في عهد المعتصم ، فلم تكن لتختلف عن ذي قبل ، انما الذي غلب على المعتصم ، هو الاسراف على من اصطنعهم من الاتراك والفراغة والمفاونة ، والمفاونة بامرائهم ، حفاوة لا تليق بمثله لامثالهم .

فمثلا . عندما ثار الحرمة بقيادة بابك ، وسير المعتصم الافشين لقتاله ، كان يوجه اليه في كل يوم من حين سار من برزند ، الى ان وافى سامراء خلعة وفسا « (١)

ومثلا : انه لما وصل توجه واليسه وشاحين بالجواهر ووصله بمشرين الف الف درهم ، وعقد له على السند ، وادخل عليه الشعراء بمدحونه ، وامر لهم بصلات « (٢)

ومثلا : انه كان يلبس هذه الجنود انواع الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة عن سائر جنوده .

ومثلا : انه كان يدفع للافشين في اثناء اقامته بازاء بابك (سوى الارزاق والانتزال والمعادن) عن كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم ، وعن كل يوم لا يركب فيه خمسة آلاف درهم . (٣) ولكن لماذا نتحمل مؤنة التنقيب لايراد الامثلة ، عن سوء تصرف المعتصم في

١٠، ابن الاثير ج ٦ ص ١٦٣ ، خلافة المعتصم طبع ليدن ص ٢٥

٣، ابن الاثير ج ٦ ص ١٦٢ .

ميزانية الدولة ، وتعقيبه الخطة الهوجاء ، ألا وهي تمويله على
 الاموال والهدايا وزيادة العطاء في سوق الجند الى الحرب ، ثم
 اختصاصه بهذه الاموال والهدايا للجيش الدخيلة فقط ، دون ان
 ينظر الى بقية الجند ، او الامراء من بني قومه ، فلذلك خبثت
 انفس الجند ، واعتز امرؤهم فلم يعودوا يحاربون الا لجرد كسب
 الاوال ، وباليتم كانوا من اهل البلاد فينفقون الذي افتنوه
 فيها ، وإنما كانوا دخلاء يحملون المال الى بلادهم في اقصى الشرق .
 وما زال امر هؤلاء الجند يتفاقم ، ويزدادون ثروة وتفرداً وسطاناً ،
 والخلفاء من الناحية الثانية تقل ثروتهم ويضعف نفوذهم ويتملص سلطانهم ،
 « حتى استولوا منذ قتل المتوكل كما سترى في ادوار الخلافة العباسية ، على
 المملكة » واستضعفوا الخلفاء ، فكان الخليفة في يدهم كالاسير ان شاؤا ابقوه ،
 وان شاؤا خلوه ، وان شاؤا قتلوه « (١) ومن اجل هذا حكم جماعة من المؤرخين
 بان الخلافة العباسية انتهت بالمعتصم « (٢) » والمعتصم وحده يتحمل اكثر تبعه
 ما حل بالعباسيين من بعده من اضطراب امرهم وضعف سلطانهم وما حل بالامة
 العربية من غلبة هذا العنصر الغريب ، على امرها ، لم يكن الرجل بعيد النظر
 في العواقب وإنما كان شجاعاً جسوراً يحب الشجعان ويعتز بهم ، مهما كان شأنهم ،
 سواء اكانت لهم احساب يحترمونها ، ام ليست لهم احساب وسواء كان يهمهم شأن
 الدولة وبقاؤها ام لا ، وهذا خطأ عظيم ، يحيط بقدر الدول وينزلها من عظمتها « (٣) » .

١٠ الفخري ص ١٧٧ ، ٢٠ كتاب حماة الاسلام ج ٢ ص ٤٩ ، ٣٠ تاريخ
 الامم الاسلامية ص ٢٦٩ .

وما زال الجند يطعمون بالرواتب الكثيرة حتى بلغ العطاء في زمن المقتدر بالله سنة ٣١٧ هـ ، للجند المشاة ستة دنانير شهرياً ، وللجندي الخيال ٤٣٠ ديناراً ، ومع ذلك فانهم لم يدفعوا العدو عن المملكة ، ولم يحفظوا الثغور كما يجب ، بل لم يطيعوا الخليفة حتى طاعته ، فكانوا ابداء في تمرد وفوضى واضطراب . بينما كان جنود الدولة البيزنطية ، على ما ذكر ابن خرداذبة يتراوح الواحد منهم بين ١٢ - ١٨ ديناراً ، في السنة ، وانهم لا يستولون على راتبهم الا كل ثلاث سنوات او اربع ، ومع ذلك فهم مصابرون ، ولم يفتأوا ينازلون الدولة العباسية حتى دالت .

وانذي امتاز به العباسيون في عصرهم الذهبي ، هو ان رواتب الجنود كانت تدفع تقدماً ، وفي اوقاتها بدون تأخير ، اللهم الا في اواخر ايام بني العباس ، فلقد اصبح ديوان العطاء ، يتأخر في دفع رواتب الجند فكانت رواتبهم تتراكم ، فنجم من وراء ذلك اختلافات كثيرة ، حتى اصبح الذي يفوز بالخلافة هو ذلك الذي تمكن من ارضاء الجند ، شأن الدول في ادوار انحطاطها ، ثم انهم اضطروا الى اقطاع القواد والجنود القرى ، فنكون رواتبهم من الغلات التي تدرها عليهم تلك القرى والمزارع والبساتين ، فكان ذلك عاملاً آخر للفوضى كما سنفصله في البحث عن الدور السلجوقي .

وقد ادخل العباسيون في انظمتهم :-

نظام المنح النقدية

فلقد كانوا يمنحون جنودهم المنح النقدية ، كلما خذلوا عدواً خارجياً ، او اخذوا ثورة داخلية ، كما منحت الحكومة العراقية جيشها الذي اشترك في بعض الوقائع

الخطيرة ، فوهبت لكل فرد منه راتباً اضافياً زيادة على راتبه المعتاد ، وعدت ذلك تقديراً للتضحيات التي ابداءها الجند ، ولادائهم واجباتهم بصورة ممتازة ، « وأمر السفاح لـكل جندي شهد وقعة الزاب بخمسة دنانير ورفع ارزاقهم الى ثمانين » (١) وزاد المأمون في سنة ١٩٥ هـ أعطيات الجند الذي قادهم طاهر لمحاربة الامين فحمل راتب الواحد ثمانين درهما في الشهر ، فلما انتهت الفتنة عاد الى عشرين درهما في الشهر ولما تم النصر للافشين على الخزيمة وصله المعتصم بمشرين مليون درهم ، يفرق عشرة ملايين درهم منها في عسكره ، غير انني استهجن هذه الطريقة ولا اعدّها من مرغبات الجند على القتال ، والاستماتة في الحرب ، ولقد جرت على بني العباس في اواخر ايامهم اضراراً كبيرة ، حتى اضطر الخليفة اسكي ينشط من مطامع الجند ، فيثبتون في الحرب ، او يجردون بالقتال ان يصيح بهم : « من جاء بأسير فله عشرة دنانير ، ومن جاء برأس فله خمسة دنانير » كما فعل ذلك المقتدر سنة ٣٢٠ هـ وبهذه الصورة نفى الروح العسكرية ، وينعدم الضبط ، فما يحارب الجند من بعدها امثالاً للأوامر الصادرة ، والتي ينبغي ان ينقادوا اليها اتقاداً اعمى ، انما يحاربون طمعاً بالمنح والهدايا وغيرها .

وفيما ذكرناه كفاية عن مقادير اعطيات الجند العباسي ، فلنرجع الى ما بلغه ديوان الجند من التطور .

فلقد عرفنا ان الجند في عهد الرسول والخلفاء الراشدين والامويين كانوا عرباً ، لذلك كانوا يسجلون باعتبار القبائل والانساب والسكن عندما استخلف العباسيون ، وكثرت عناصر الموالي والانراك في قوام جيشهم .

ولا انساب بين هؤلاء لم يعد العطاء او ترتيب الجنود حسب انسابهم ، بل صاروا يجمعونهم على الجنس ؛ كالترك والعجم والسودان ، او على البلد كالخراسانيين والمغاربة والفراغنة ، ثم اذا كان هؤلاء الاعاجم سابقة ترتيبوا عليها في الديوان ، فان لم يكن لهم تقدم بأن استووا في الاسلام ، او لم يعلم خاله فيعتبر قريتهم من ولي الامر ، فان استووا فيه ، ترتيبوا بالسبق الى طاعته ونصرته . ثم امتدت الحضارة على الدولة العباسية ، واخذ الناس بأسباب المدنية ، وتهاقت المصاحون في تقويم شؤون الدولة العسكرية ، ووضع النظمات الثابتة لها ، ورفع الكاتب الشهير ابن المقفع تقريره الى الخليفة ابي جعفر المنصور ، وموضوعه (الصحابة) (١) ويشتمل على نقد نظام الحكم اذ ذاك ، ووجوه اصلاحه ، واول ما بدأ به شرح حائل الجند ، وهم الجند الخراسانية بالطبع .

وشكا في ذلك من امور : (٢)

اولا -- انه لا بد ان تنظم افكار الجند ، ولا بد لذلك من ان يكون لهم دستور او قانون ، وابن المقفع هنا ينصح الى وضع الاوامر الثابتة للجيش العباسي ، ليحيط الجند بكل شيء . يجب ان يعرفوه ، يبين لهم ما يفعلونه وما يتجنبونه ، يحفظه رؤسائهم ويقودون به عامتهم ، فلما ترك الامر بلا قانون لا يعرفون به ما يجب وما يحرم ، فذاع الى الفوضى ، ثم ان ابن المقفع تناول في تقريره ما يطاع من الاوامر ومالا

«١» تجدد الرسالة برمتها في كتاب رسائل البلغاء ، ص ١٢٠ - ١٣١

وقد عني بجمع هذه الرسائل محمد كرد علي الاديب المعروف «٢» عن
ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٠٥ بتصرف .

يطاع ، وذكر المبدأ المشهور : (لا طاعة لمخلوق في ممة الخالق)
فحدد بذلك الاوامر القانونية والاوامر غير القانونية .

ثانياً — انه طلب ان يحول الخليفة بين الجنود وبين ادارة الشؤون المالية
والذي دعاه الى ذلك الرأي هو ان الخليفة كان يولي بعض
قواده خراج بعض الافطار وبذلك تصبح مالية القطر في يده
يحاسب للناس عليها ويحاسبه الولي كذلك ، وقد علل ابن المقفع
رأيه هذا ، « بان ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة » وهو نظر صائب
فان كثيرين من هؤلاء القواد وهم لا يمتنون الى المماكة بصلة
القومية ، اورحم التسب ، اغتروا بسطانهم وانتصاراتهم وكثرة جنودهم
او احزابهم التي تلتف من حولهم ، فظلموا الناس وعاثوا فساداً في
الرعية فلما اؤخذوا على ظلمهم ، وعشهم ، اغتروا بما في ايديهم من
مال اكنزوه ، حين ولايتهم ، وبما تحت طاعتهم من جند ، انيطت
قيادته بهم ، وبما حصلوا عليه من جاه وسمعة عظيمتين ، وما دار حولهم
من حزب قوي ، فاذا اقبلوا من قيادتهم ثارت نفوسهم ، فخرجوا
على الدولة ، وكانوا سبباً لمصائب لا تحصى ، ولنا في البرهان ادلة
كثيرة محموسة . والذي ذكره المؤرخ الكبير شلي النعماني في كتابه
عن عمر بن الخطاب في بحثه عن اوضاع الحكومة ما يلي : —

الجند في الدول

لم تكن الجندية في الامبراطوريات التي قامت قبل ظهور الاسلام منتظمة
بل كانت قائمة على القوضى التي لا رابطة بينها ، والتي كانت منافية

لمصالح تلك الدول ، ولا يستثنى من ذلك امبراطورية الرومان التي تحكم رقعة كبيرة من الارض .

وقد كانت المؤسسات العسكرية آتية عن طريق الحكم الاقطاعي وهي ان كل نبيل يعد قائداً ، فيمهد اليه ان يتولى قيادة كتيبة من رجاله في زمن الحرب . وكان هؤلاء يمنحون عادة الاراضي والعمارات الشاسعة للقيام بهذه المهمة ، فكانت هذه الكتائب مرتبطة بقوادها مباشرة ، وقد افضى هذا النظام الى حروب داخلية ، لان الجندي كان يتبع قائده في حركاته وسكناته ، فاذا حاول واحد من هؤلاء النبلاء الانتقال على الحكومة المركزية ، جراه جنده في الانتقال وكانوا اعواناً له ، ثم توسعت هذه التشكيلات ، فحدث كل نبيل كتائب صغيرة على هذا النمط ، تابعة له ، ومرتبطة به .

اما الامر من فقد كانت تشكيلاتها العسكرية مماثلة للتشكيلات القائمة في الرومان فكان المرازبة والدهاقين ، يتولون قيادة الجيوش ويتحكمون في الاراضي الشاسعة والعمارات الكبيرة ومما لا شك فيه ان هذا النظام العسكري قد افضى الى سقوط الرومان ، لانه نظام فاسد .

ثالثاً — والذي نصحه به ابن المقفع ايضاً هو مراعاة السكافية في القيادة ، فقد لفت نظر الخليفة — في لطف — الى ان يعيد النظر في الرؤساء ومرؤسهم ، فكثير من المرؤوسين اكفاً من رؤسائهم ، فلو ولي القيادة خيارهم ، ووضع الجند في منازلهم حسب كفايتهم لسكان من ذلك خير عظيم .

رابعاً — انه نصح في تثقيف الجند ثقافة علمية وخلقية فيعنى بتعليمهم الكتابة والتفقه في الدين، كما يعنى بتعليمهم، الامانة، والدفعة، والتواضع، واجتناب الترف في الزي، والعطر، واللباس، وما الى ذلك.

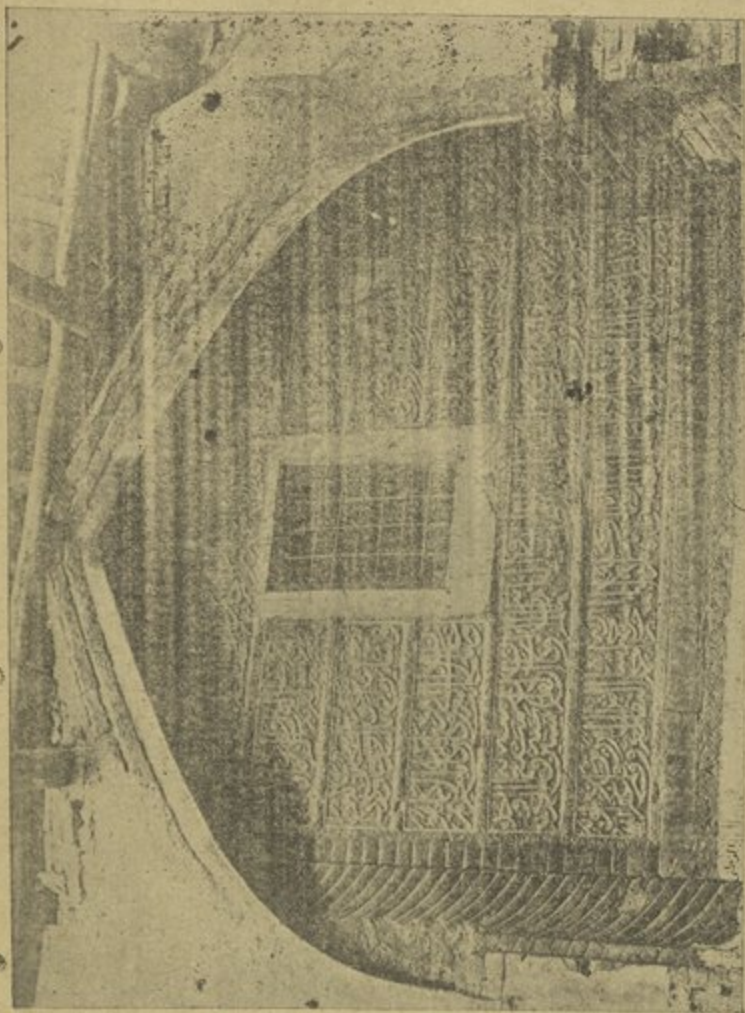
خامساً — وفي تعيين وقت محدد للجنود يقضون فيه ارزاقهم فان ذلك ادعى لطماً بينهم، وامنع للشكوى والاستبطاء.

سادساً — ان يتقصى احوال الجند، ويعرف اخبارهم وحالاتهم وباطن امرهم حيث كانوا، وان يعين لذلك الثقة الذين يخلصون له، ولا يكتمون شيئاً عنه، اما اذا استعان برجال لا يضمير لهم، ولا تعينهم قضايا الدولة، يبلغونه الامور على خلافها، او يوالون العاصير على عصيانهم فلا يستقيم امر للدولة ويكون الهدوء فيها قصير العمر.

ولذلك قالوا: « ينبغي للوالي ان يحسن الى من اطعمه على امر ونهيه على سر، وبغائب من طوى عنه شيئاً من القتل والفساد او آوى اهل الطغيان والعناد، وينادى مناديه ان لا يعتمد احد مثل هذا الاعتماد، ويعاقب من يخالف امره في ذلك، لئلا تنطوي الاخبار المفسدين عنه، ثم يكون شديد العقوبة لاهل الشر والشناعة، مستيقظاً، مسرعاً في وعيده، حتى تنفهر اهل الغاغة (١) ويرك عليهم الحججة. حتى يرتدعوا، ويتعظ بهم من يحدو حدوهم، ثم يجب ان يكون عنده ذكاء وفطنة وفراصة وجودة فريجة في استنباط القضايا واستخراج الحقوق » (٢).

« ١ » اهل الغاغة اي الكثير المختلط من الناس « ٢ » آثار الاول في ترتيب

کتابخانه علی باب جامع مرجان فی بغداد



وهكذا أصبح لرسالة « الصحابة » اثرها البين عند الخلفاء العباسيين واطلع عليها الناس في ذلك العهد ، فوضعوا المؤلفات القيمة لاصلاح احوال الرعية والجند ، وما يلزمهم وما يلزم لهم حتى جاء العلامة شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي الزبيد فأنف للمعتصم العباسي كتابه المشهور المعروف بـ « سلوك الممالك في تدبير الممالك » (١) فذكر لنا اشياء كثيرة مهمة في الفصل الذي عقده في اقسام السياسات واحكامها ص ٧٦ ١١٨ .

ومما يتعلق بموضوع اطروحتنا ما أورده عن واجبات : -

كاتب الجيش

قال (٢) : يجب ان يكون عالما بالحلى وشيات الدواب وان يكون خبيراً بالسلاح عارفا بلغات جنده وينبغي ان يلزمهم احضارهم بركبهم وخيلهم وعرضهم عليه في كل شهر .
وينبغي ان ينهى للوزير ما يحتاج اليه من النفقات والجرايات .
وان لا يؤخر عنهم افواتهم وعاداتهم لئلا يشتغلوا بالسكسب وينبغي أن يكون ذا علم بترتيب العساكر ليقدم من يجب تقديمه وان يكون ذا علم بجيد الدواب والسلاح ورديتها .
وقال في موطن آخر (ص ١٠٤)

١٠ ، طبع بمصر سنة ١٣٢٩ ، ويقول البعض من المحققين انه ألف للمستعصم ، وليس للمعتصم ، وقد وقع التحريف في الاصل ٢٠ ، ص ١٠٠ .

وأما الجند

فهم حملة السلاح وبهم تدفع الاعداء وتؤخذ المدن .. ويجب ان يكون له صاحب من الثقة والكفاة والهداة العارفين بمكاييد الحروب .

ويجب ان يكون ايضاً مطيعاً ، قابلاً لما يسئل اليه ، باذلاً جهده في نصيح الملك .

وينبغي ان لا يتخذ من الجند من كان معانداً للرفقة والراحة والتنعم ويمنعون من اتخاذ الصنائع ، ويؤخذون دائماً بالرياضة والفروسية . ويتفقد احوالهم في كل وقت ، ويوفون ارزاقهم ليستغلوا بما يؤمرون به .

ويجب ان يكونوا متيقظين سريعى النضب قليلى النوم ، كثيرى الحركة .

وان يكونوا ذوي بأس ونجدة مؤتلفي القلوب على طاعة مملكتهم . وليؤمر رؤسهم وقوادهم بعرضهم في كل شهر مرة ، وليعتبر عددهم ولتكن قوادهم ارفعهم قدراً واعرفهم بالوقائع والحروب وان يجعل على كل عشرة قائداً وعلى كل عشرة من القواد رئيساً حتى ينتهي الى رب الجيش .. الخ

ولقد اطلنا الكلام حول ديوان الجند ، فلنتقل الى صفحة اخرى من

صفحات عسكرية الجيش العباسي الا وهي :-

تنظيم الجيش العباسي

قد ينكر البعض على العرب، من أن لهم جنداً في جاهليتهم، ولهذا لم تكن له عندهم رتب، أما الحقيقة في خلاف ذلك، فلقد كان لهم جند مقاتلة ولهم رتب تميزهم عن بعضهم البعض، وكان لهم قادة تتسلسل درجاتهم، وكانت لقبائلهم التي يتقدم الجيش منها وحدات يختلف عددها باختلاف قائدهم، ومنزلتهم في القبيلة وكفاءتهم بالقيادة وشجاعتهم في الحرب فمثلاً:

الامير: وهو امير الجيش

المنكب: وهو الذي يلي الامير في الحرب ويكون بقيادته خمسة عرفاء

العريف: وهو الذي يلي المنكب، ويكون بقيادته بضعة النفر او النفر.

النفر او النفر: النفر ما دون العشرة من الرجال

والنفر جماعة من الرجال من ثلاثة الى عشرة والجمع انفار،

واراها الحاضرة التي عندنا التي يختلف عددها بين ٣ ٩

جنود وهي اصغر الجماعات التي يتمكن من السيطرة وادارتها

وكان لهم من اقسام الجيش والوحدات المختلفة ما يلي: (١)

١ الجريدة: وهي اقل العساكر، وربما سميت جريدة لانها تنجرد من سائر

الجيش لاي غرض كان.

وكذلك الفصيلة لانها تفصل من الجيش والفظتان على وزن

(١) راجع فقه اللغة للثعالبي. والافصح في فقه اللغة ص ٢-٣

ونهاية الارب للنويري ج ٢ ص ١٨٩ والالفاظ السكتانية.

(فعليل) بمعنى مفعول .

٢ - الرهط : وهو ما بين الخمسة الى العشرة من الجند كما جاء في (الالفاظ
الكتابية) .

٣ - الحضيرة : العشرة فمن دونهم .

٤ - المقنب : ويقال لها المنسر ايضاً ، وتتفاوت عدتها بين الثلاثين والاربعين
وجاء في كتب اللغة اقتنبت الخيل وتقنبت صارت مقنباً
ويقال : قنّبوا نحو العدو وتقنّبوا اذا تجمعوا . وصاروا مقنباً
وقد يطلق على جماعة من الخيل تجتمع للغارة .
والمنسر في كتب اللغة قطعة من الجيش قدام الجيش الكبير
وقيل الجيش الذي لا يمر بجيش الا اقتلعه وفي الحديث
« كلما اطل عليكم منسر من مناسر اهل الشام اغلق كل
رجل منكم بابه »

٥ - السرية . وهي من الاربعين الى الخمسين

٦ - الكتيبة : وهي من مائة الى الف

٧ - الجيش : وهو من الف الى اربعة آلاف ، وكذلك الفيالق (١) قال
الشاعر :

(في حومة الفيالق الجأواء اذ نزلت)

وكذلك الفرقة ومعناها الجماعة من الناس (ج فرق) على

« ١ » يرى اللغويون ان الفيالق هو تعريب « الفلانكس » ، عربيه العرب

منذ سابق العهد وفي ذلك نظر .

ان (فريق) تدل على جماعة اكثر عدداً من الفرقة ، وان كانوا في ايامنا يطلقون كلمة (فريق) على قائد هذه الجماعة لا على الجماعة نفسها .

اما لواء (جمع الوبه) فهي على ما هو معروف الراية والعلم وقد يمكن ابقاؤها بمعناها المؤلف في اللغة العسكرية من باب تسمية الشيء باسم جزء منه اذا كان المقصود من هذا القسم من الجيش الجماعة ذات اللواء او الراية .

اما « طابور فواردة في القواميس بالتاء لا بالطاء (تابور - جمع توابير) ومعناها جماعة العسكر وبهذا المعنى ايضاً كتيبة .

٨ - الجحفل : وعدته من ثلث الى اربعة آلاف ايضاً ، انما يكون فيه الخيل ، فهو بمثابة اللواء المختلط عندنا او (الالاي التركي)

٩ - الخفيس : وهو من اربعة آلاف الى اثني عشر الفا وقد سمي الخفيس خفيساً لانه مؤلف من خمس فرق وهي المقدمة ، والساقة والميمنة ، والميسرة ، والقلب ، كما تقدم القول .

١٠ - العسكر : ويجمعها كلها .

١١ - الارعن : الجيش الكبير الذي له مثل رعن الجبل .

ولهم غير ما ذكرنا « الهيصلة » و « الرمّازة » و « الحجر » وغيرها (١)

١٢ ، وهناك ايضاً الفاظ كثيرة من هذا القبيل معروفة عند العرب كالشرذمة والثلة والزمرة والعصبة الخ .. ويقال كذلك كبكبة من الرجال كما يقال كوكبة من الفرسان والكبكبة في اللغة الجماعة من الناس المتضامة . « الاشمران »

مما لم تقف على مقدار من يضمهم من الجنود .
وهذه الاسماء التي اوردها لاقسام الجيش المختلفة وغيرها ، مما لم نورده ،
البعض منها ما يدل على عدد معين من الجند .

وقد اثبتنا عدد الجند الذي ينطوي تحت كل قسم منها كثرة وقلة حسب
الزمان والمكان ، ثم انها اختلفت اعدادها باختلاف الدول الاسلامية والعربية
التي خلفت العرب بالتعاقب ، كالدولة الراشدية ، ودولة بني امية في الشام
والاندلس ، ثم الدولة العباسية في بغداد ، ومصر وفي الدول الاخرى التي اشتقت
من جسم الدولة العباسية فكانت لكل اسماء عربية لاقسام الجيش ، تختلف
محتوياتها كثرة وقلة حسب اعتبار تلك الدولة ، وحسب التنظيم الذي سارت
عليه . ثم ان الالفاظ المستعملة عند العرب منها نفسها لم تكن جميعها تدل في اصل
وضعها على عدد معين من الجند بل كانت ذلك من المصطلح عليه ايضاً حسب
اختلاف الامكنة ، والازمنة ، اذن فما ضر الالفاظ العربية التي تشكلت فيها
الجوش من ان ترجع اليها او الاتفاق على جعل مدلولاتها كذا او كذا من
الجند ، هذا ونرى انفسنا مضطرين ان نسجل بمداد الفخر الثناء على القطر
العراقي الذي احيا هذه المصطلحات وعدل بعضها .

ولا شك ان العوامل التي دعمت الى هذا التنظيم ، وهو التجزء الى وحدات
صغيرة ، كانت عوامل طبيعية ، فلا يستطيع امير القبيلة ، ان يسيطر في ساحة
القتال على قبيلته برمتها ، وقد تبلغ عدتها بضعة آلاف من المحاربين ، وفيهم
الفرسان ، وفيهم الذين يتسلحون بالسيوف او بالرمح او بالنبال ، مع كثرة
الوقائع التي كانت تشب بين القبيلة والاخرى ، وكثرة غاراتهم على بعضهم ، حتى

اشتهر امر تلك الوقائع ، وصار العرب يؤرخون بها ، والرواة يتناقلونها والشعراء يذكرونها في قصائدهم ، الى ان افرد لها المصنفون تأليف خاصة ودعوهـا بـ (الايام) (١) ولا شأن لنا بذكرها ، ويكفيـنا ان نعرف منها ان العرب في جاهليتهم كانوا « قائمين بالمداومة عن انفسهم ، لا يكلونها الى سواهم ، ولا يتقون فيها بغيرهم ، فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ، ويتجافون عن المجموع الا غرأ في المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب .. ويتفردون في القفر والبيداء مدينين بياهم واثقين بانفسهم قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون اليها حتى دعاهم داع ، واستفزهم صارخ » (٢) . وخلاصة القول انهم امة عسكرية ، وكل عربي جندي بالقطرة والشجاعة فيهم مشهورة في الجاهلية كما لازمتهم في الاسلام . وعندما اقتض دور العصبية للقبيلة ولم يهودوا يتخاصمون فيما بينهم ، صاروا يجتمعون تحت راية واحدة ، فتألف منهم آنذاك جيوش عظيمة ، فاضطروا الى التنظيم . ولا يخفى ان سعة شمول الحاجة يؤدي الى تضخم جماعات المقاتلين ، وهكذا نرى العرب في (ذي قار) (٣) وهي المعركة العظيمة التي دارت رحاها بين العرب من جهة وهم قبائل بكر ، وشيبان ، وعجل ، واباد ، والفرس من جهة اخرى سنة ٣ للبعثة وكيف آت نتيجة هذه الحرب ان تهزم جنود الدولة الفارسية ، بقضها وقضيضها ،

١» لتعرف ايام العرب راجع : العقيد الفريد لابن عبدربه وبلوغ الارب للآلوسي وصبح الاعشى « ٤ » مقدمة ابن خلدون ص ١٤٨
 « ٣ » لتعرف وقعة ذي قار بالتفصيل راجع كتاب المشي بن حارثة لعبدالستار القرغولي .

وفيلتها وعدتها الثقيلة . ويتصف العرب فيها من العجم ، ثم ان اختلاط الفسانيين بالروم ، واختلاط المناذرة بالفرس ، وتشكيل الجيوش من عرب الشام وعرب العراق ، ونشوب الحرب بصورة مستمرة بين الدولتين الرومية والفارسية ، واشترك العرب بهذه الحروب المتواصلة ، جعل العرب يقتبسون كثيراً من فنون الحروب المعروفة آنذاك ، وينظمون جيشهم على الاسس في ذلك الزمن ولا ينكر المؤرخون البكتائب التي نظمها النعمان ومنها الشهباء ودوسر وغيرها . إن هذه المقدمة ، لتزيل الالتباس عند بعض المؤرخين ، فما اخالهم يتجراؤون ان يقولوا بأن لا جيش للعرب ، ولذلك لارتب عندهم .

ثم اننا لو رجعنا الى النظر في : -

التنظيم في عهد الخلفاء الراشدين

لرأينا ان التنظيم الذي سار عليه الخلفاء ، لا يختلف كثيراً ، عما اخذت به جيوش الامم المتمدنة في هذا العصر .

غير ان المؤرخين لم يطرقوا هذه البحوث ، ولم يضعوا فيها كتاباً شاملاً فهي نبد ، وشذرات متفرقة في مظان مختلفة ، يعتمد علي أن انقب عنها الآن ، لادونها في اطروحتي هذه ، ولكنني عمدت الى درس اشهر الوقائع الحربية عندهم ، كانت معارك فاصلة بين العرب في عهد عمر بن الخطاب ، وبين اعدائهم من الفرس والروم .. وكانت الوقعات هي :

وقعة اليرموك سنة ١٣ هـ

وقعة القادسية سنة ١٤ هـ

وقعة نهاوند سنة ٢١ هـ

ومنها استنتجت ان الاساليب التي سار عليها كل من القادة خالد بن الوليد
الحزومي ، وسميد بن ابي وقاص ، والنعمان بن مقرن الزبي في تنظيم جيوشهم ،
كانت تضمن لهم السيطرة التامة ، والتصرف بزمم تلك الجيوش الجرارة تصرفاً
حسناً ، وتسهل عليهم الاستفادة من مناعة الاراضي التي وقعت الحركات فيها ،
مثلما تسهل الاستفادة من اسلحتهم وصفوف جيشهم في ذلك العهد .

ولقد كان الامراء والقواد يتفاوتون في المراتب ، وتجري بينهم سلسلة
القيادة على الوجه التالي : —

امير الجيش

خليفة الامير : (او خلفاؤه ، وهم بمنزلة ضباط الركن) (١) .

امراء التعبئة : (كامير الميمنة والميسرة والقلب وغيره) (٢) .

خلفاء امراء التعبئة

امراء الكراديس

المرقاء

امراء الاعشار

النقباء (٣)

« ١ » راجع تاريخ الاسلام السياسي لامين سعيد الجزء الاول « ٢ » « وللمهم
امراء المائة » جاء ذلك في اشهر مشاهير الاسلام في الحرب السياسية
ج ٢ ص ٣٥٢ ، وكان في الجيش التركي رتب تقابل هذه الرتب تماماً فامير
الميمنة فيه « صاغ قول اغاسي — رئيس الجناح الايمن ، وامير الميسرة فيه
« صول قول اغاسي — رئيس الجناح الايسر » .

وفضلاً عن هذا فقد كان رؤساء ديوان الجند يرفقون مع الجيش المراتب

التالية : -

الرائد : - وهو الذي يرتاد المواضع الموافقة لنزول الجيش (١) .
صاحب الاقباض : - وهو الذي تنتهي اليه حفظ الغنائم ، وقسمة النى .
الداعية : - وهو الذي يدعو الى دينهم ، ويبلغ العدو مطالبهم ، والقاضي ،
والترجمان ، والكتائب ، والقاص .

والغريب ان الروم لما رأوا ما يفعله الدعاة والفصاح العرب في إثارة الحماسة
في الجند الاسلامي ، واضرام الروح الدينية في نفوسهم ، وكيف انهم كانوا
يندفعون اندفاعاً لحوض الحرب ، اتبعوا نفس الطريقة التي اتبعها المسلمون ، فغشوا
في جيشهم عدداً كبيراً من القسس والرهبان ، بصلبانهم وشاراتهم ، يحضون
الناس على النبات ويبينون لهم ما يولده التخاذل من عواقب سيئة على الامبراطورية
الرومية والدين المسيحي ، وبشروهم بمجزيل الثواب اذا قاتلوا وثبتوا . ولانزال
هذه الطريقة مرعية الى زمننا هذا فقد لا تخلو الجيوش الاسلامية من أمة
روحانيين .

ثم الوازع (٢) والسعاة على المهجن ، ثم الاطباء لمداواة الجرحى ، وتد ذكهم
الطبري بلاطبة بجمع ائلة عددهم آنذاك ، ثم الصيادلة لترتيب الادوية
واعدادها ، والبيطرة لمداواة الخيل التي يركبها الفرسان والبغال التي تحمل المستشفيات

« ١ » وذكر شبلي النماني . الزائد بدل الرائد وقال : انه كتيبة الميرة
وهي مكلفة بتأمين حاجيات الجيش من الميرة والاعتاد « ٢ » الوازع : الذي
يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر وجمعه وزعة « الناشران »

السيارة ، والتي تقل محامل العيال والنساء والجرحى والتي يستخدمونها لسحب الدبابات اثني تجري على العجل .

وغير ذلك ممن فائنا ذكركم وقد ادمجهم الخلفاء في ضمن جيوشهم المحاربة اذ مست الحاجة اليهم .

اما التنظيم الروماني عندما ظهر الاسلام اي في ابان الفتح الاسلامي لبلادهم فقد كان على الوجه التالي : -

١ - البطريق : - وهو القائد يقود عشرة آلاف جندي يقسمون الى قسمين ، يقود كلا منها طومارخان بأمره البطريق .
٢ - طومارخان : - يتولى قيادته (٥٠٠٠) جندي وتحتة خمسة طربخارية .

٣ - طربخاري : - يقود (١٠٠٠) جندي وتحتة خمسة قوامس (واحدهم قومس) .

٤ - القومس : - يتولى قيادة (٢٠٠) جندي .

٥ - القمطرخ : - وهو تحت القومس .

٦ - الدامرخ : - وهو تحت القمطرخ ويكون تحت امرته عشرة جنود .

ثم انقضى حكم الخلفاء الراشدين فكان : -

التنظيم في العهد الاموي

قد ادخلت فيه تحسينات جمة الا انهم اتبعوا ما كان عليه العرب في صدر

الاسلام ، حتى استخلف العباسيون فكان تنظيمهم كما يلي : -

العريف (١) : وتحت امرته عشرة جنود

الخليفة : وتحت امرته خمسون جنديا

القائد : وتحت امرته مائة جندي

وبالطبع ان يكون في القطعة التي يقودها الخليفة ، خمسة

عرفاء ، وفي القطعة التي يقودها القائد عشرة عرفاء وخليفته

وذكر ابن خلدون اثناء كلامه عن الوظائف السلطانية

« صاحب الحرب وصاحب الشرطة » ويقابلها في عهدنا

هذا وزير الدفاع ومدير الشرطة العام

ثم تنوع الترتيب فاصبحت رتب الجند كما يلي :—

(يؤكد ذلك ماورد في ص ١٠٤ من « سلوك الممالك » في بحث الجند)

العريف على ١٠ جنود

النقيب » ١٠٠ جندي فيهم ١٠ عرفاء

القائد » ١٠٠٠ » فيهم ١٠ نقيب و ١٠٠ عريف

الامير » ١٠٠٠٠ » فيهم ١٠ قواد و ١٠٠ نقيب

واننى لأرى أن هذا التنظيم مأخوذ من

كتاب عمر السعد « فعشر الناس وعرف

عليهم ، وأمر على اجنادهم »

وكان الخليفة هو القائد العام في ذلك الوقت ، لان الجهاد من شروط الخلافة .

« ١٢ » جاء في القساموس العريف رئيس القوم او النقيب وهو دون

الرئيس .

وفي الجيش العباسي عشرات من الاسراء ، ولسكنهم ليسوا من النصر الذي كان مسؤولاً عن الدلة ، ولا القوم الذين نشأ الاسلام فيهم ، وربى بين ظهرانيهم وانما كانوا غرباء ، لا تربطهم بالدولة العباسية ، غير رغبة التمكن في بادي الامر بين امية ، وغير الشهرة وحب الرياسة فيما بعد ، وغير الطمع باكتناز الاموال الطائلة في الاخير ، ومن المعلوم ان لا تستقيم دولة هذه نيات امرائها وقواد جيوشها ، فلقد كان الراشدون لا يولون للقيادة الا اهل السابقة في الاسلام ، وهذا ان يكون متحلياً بصفات النجدة والشجاعة والاخلاص للخلافة ، ومن تصفح الاسراء الاحد عشر الذين عقد لهم ابو بكر (رض) على احد عشر لواء في حروب الردة ، لا ينكر ما لابي بكر في هذه الحالة ، من حسن الاختيار بين ولائم حروب الردة من القواد المظام الذين امنوا بجيوش المسلمين القليلة في احشاء بلاد العرب وجاؤا نجاهها القاصية حتى بلغوا مشارق الشام والجزيرة شمالاً ، وشطوط البحر الهندي جنوباً ، والعراق العربي وخليج فارس شرقاً ، وشطوط البحر الاحمر ومضيق باب المندب غرباً ، ولم تكن غيبتهم الا كما يغيب المرتاد العناجع ثم انقلبوا ظافرين وقد عمموا في جزيرة العرب دعوة القرآن ، وجموا سكلها على كلمة الايمان (١) . وكان الخلفاء لا يولون القيادة لاهل الردة ، وان بلغوا من النجدة والشجاعة ما بلغوا فقد كتب عمر بن الخطاب الى النعمان بن مقرن المزني سنة ٢١ هـ وهو اذ ذاك بالعازر (٢) : « ان ملك حد العرب ورجلهم في الجاهلية فادخلهم دون من هو

« ١ » اشهر مشاهير الاسلام ج ١ ص ٥٠ ، مدينة ارتحل منها النعمان الى نهاوند فواقع القرمص ، بينها وبين سائلة خراسان مرحلة ، وعن يمينها ماسبذان ، وفيها ايوان عال مشهور قديم .

دونهم ، في العلم بالحرب ، واستمعن بهم واشرب برأيهم ، وساطليحة وعمراً وعمراً
ولا تولم شيئاً » (١) . يعني الخليفة بالعمرين ، عمرو بن معد يكرب الزبيدي الفارس
المشهور ، وعمرو بن أبي سلمى العنزي ، اما طليحة فهو صاحب بزاة من معسارك
الردة المشهورة ، وكان الثلاثة من أبطال العرب ، ومن ذوي الرأي والخبرة ، الا انهم
من زعماء اهل الردة لم تكن نفوسهم تزكو بالاسلام الزكاء المطلوب ، ولم يتمكن
الدين من قلوبهم ، لذلك اصدر الخليفة امره ، باسراهم في الحرب ، وباستشارتهم
الا انه نهاه عن تأميرهم ، ولقد كان امره هذا في عدم تأمير احد من زعماء الردة ،
مع انه اذن لهم بالجهاد واستغفرهم للفتح ، هو عين الصواب ونظر بعيد الى المستقبل ،
وحرص عظيم على كيان الامة .

ثم جاء الامويون ، فما ولّوا قيادة جيوشهم غير الذين اشتهروا بالاخلاص الى
جانب الدولة ، ممن نشأوا في ظل الاسلام والعربية ، ثم ممن امتازوا بالثبات
ومضاء العزيمة والحسكة بفنون القتال .

وبادلك القواد العظام ، امتازت الدولة الاموية ، فكان عصرها كله زمن
فتح ، وفيه اتسعت حدود المملكة الاسلامية من الجهة الشرقية في السند والصغد
وبلاد الترك ، ومن الجهة الشمالية في اذربيجان وارمينية وبلاد الروم ومن الجهة
الغربية في افريقية والاندلس .

ونظرة واحدة ، الى القواد الذين ادرج اسماءهم في اذناه ، يتبين لكم ، اي
رجال مخلصين انيطت بهم جيوش الدولة الاموية ، وانت ترى ان وحدة الدين
تجمعهم ، مثلما تجمعهم الوحدة القومية ، ويتمتعون بشرف النسب :

- ١ - المهلب بن أبي صفرة الأزدي .
- ٢ - قنينة بن مسلم الباهلي .
- ٣ - يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي .
- ٤ - أسد بن عبد الله القسري .
- ٥ - محمد بن القاسم الثقفي .
- ٦ - محمد بن مروان بن الحسيم الأموي .
- ٧ - مروان بن محمد الجمدي الأموي .
- ٨ - الجراح بن عبد الله الحسكي .
- ٩ - مسلمة بن عبد الملك .
- ١٠ - أبو محمد عبد الله البطال .
- ١١ - العباس بن الوليد بن عبد الملك .
- ١٢ - عقبة بن نافع الفهري .
- ١٣ - موسى بن نصير .
- ١٤ - حبيب ... الفهري .

وغير هؤلاء من العرب قواد كثيرين ، الذين اشد بهم أذى الدولة ، لانهم منها واليهما يعملون ، خلافا للخطة التي انتهجها العباسيون ، فان الاولين كانوا يحتفظون بنفوذ الدولة ، والسيطرة على الجيش ، بمن يستخذونهم من اقربائهم وابناء عمهم قادة وامراء ، اما في عهد المأمون فكادت العصبية العربية ان تمنح لسكرتيرة من تولو قيادة الجيوش من امراء الفرس ، اما المعتصم فكان كل قواده من غير العنصر العربي ، الا قليلا منهم كانوا يرأسون القبائل وجيوش المتطوعة ، كابي دلف



نقوش محراب في المغرب

ايضاً ، فلما وصل الى (ماسبذان) ادركته هناك منيته ودفن في قرية الرذ (١) والخليفة المهدي اول من زاول الصيد ، وأكثر من التمرين فيه من خلفاء بني العباس .

الرشيد

سيره المهدي في سنة ١٦٥ هـ لغزو الروم ، وقد عقد له على (٩٥٩٣٠) جندياً وكان الرشيد فتي فركب في عدة وأهبة لم يكن مثلها في الاسلام ، وتحركت في نفسه نخوة الجهاد حتى انسم بسمة المحاربين في الجيش وحمل الرمح بيده (٢) ففرل بجوار القسطنطينية ونصب على اسوارها المنجنيقات (٣) بعد ان مروا بمساح الروم في طريقهم ، فاسترضام صاحبها بمال مقداره (١٩٣٤٥٠) دينار و (٢١٨٤٠٨٠٠) درهم ، وكان معه في هذه الغزوة يزيد بن يزيد الشيباني القائد العربي المشهور .

ثم لما استخلف بعد ان توفي الهادي ، كان يحج سنة ويفزو سنة ؛ كذلك مدة خلافته (من سنة ١٧٠ هـ حتى ١٩٣) الا سنين قليلة « فلقد كان لا يترك الخروج مع جنده بل كان غالباً في مقدمتهم ، حتى لا يعتاد الراحة ، ولا يقعه الترف عن القيام بهذا الواجب ، وكان له فلنسة مكتوب عليها : « غاز ، حاج » (٤)

(١) الرذ قرية بماسبذان قريبة من نهاوند ويقول بعض المحققين انها دهبالا ، (٢) الاغانى لابي الفرج ج ١٧ ص ٤٨ «٣» حضارة الاسلام ص ١٤٥ «٤» الخضرى ج ٣ ص ١٥٣ .

ومن غزوات الرشيد الشهيرة ، التي قاد فيها الجيوش بنفسه ؛ غزوة ارض الروم في سنة ١٨١ هـ ففتح فيها حصن (الصفصاف) .

وله غزوة اخرى اعظم اثرآ من الاولى وذلك في سنة ١٩٠ هـ وفي ارض الروم ايضآ . فلقد غزاهم بجيش عدته : (١٣٥٠٠٠) من المرتزقة سوى من لا ديوان له من الاتباع والمتطوعة ، ففتح هرقة (١) وفتح ملقونية وغيرها . ولقد اقام تسع سنوات في بغداد ، ثم غادرها وجعل اكثر اقامته في الرقة (٢) على الفرات ، وكان الذي يتوخاه من وراء ذلك ، هو ان يكون قريبآ من بلاد الروم ، فيصد غاراتهم بسرعة ، وتصله اخبارهم بسرعة ايضآ ، وكانت لافوته صائفة او شاتية واصل اعظم غزواته في ارض الروم تلك التي غزاها سنة ١٨٣ هـ .

وفي سنة ١٩٢ هـ خرج الرشيد من بغداد لقمع ثورة نشبت في خراسان ، واستخاف ابنه الامين وخرج معه المأمون ، فلما وصل طوس شعر برضه الاخير ، فاوصى ان يكون الجيش الذي كان معه للمأمون ، وتوفي في هذه السنة ، ودفن عند طوس بجوار مدينة (مشهد) في ايران .

هذه كانت حياة الرشيد قضاها في الحرب ، والحج ، وطلب العلم ، اما بعض الروايات التي نسمعها عن ملذاته ، ووضع موضع المستهتر استهتارآ يشذ

«١» هرقة هي : اركلي ، الحالية من الجمهورية التركية . «٢» ولا زال آثار قصر الرشيد فيها باقية الى هذا العصر وهي واقعة على ملتقى بالس والفرات .

العجلي ، ويزيد بن مزيد الشيباني ، ونكتفي بهذا القدر على ابن نعود لتفصيل البحث في :

قيادة الجيش العباسي

قال الاستاذ النجار (١) : « كانت قيادة الجيوش من أعمال الخلافة ، كما كان رسول الله ﷺ يقود الجنود بنفسه ، ولكن الخلفاء لما لم يمكنهم ان يقودوا جميع الجنود المرسله ، الى البلدان المختلفة ، كانوا يختارون قواداً للجيوش من يرون فيهم النجدة والشجاعة ، وتكون طاعتهم واجبة كطاعة الخليفة سواء يسوا ، وبعد انتهاء الفتح واستقرار الامر يكون سلطانهم قاصراً على تدبير امر الجنود ، والنظر في معادتهم .. » وتمسك الامويون بهذه القاعدة ، وساروا على منوالها ، فقادوا الجيوش في البر والبحر فكانوا يقودون الجيوش بأنفسهم ويرتبون الخطط الحربية لهم ، ثم تقاعدوا عنها في الاخير فصاروا يولون اقرباءهم بل وابنائهم ، حتى ولادة عهودهم . ولما استخلف العباسيون أخذوا بهذا المبدأ ، والزموا انفسهم تطبيقه ، فكانت من خلفائهم ابوالعباس السفاح ، وابوجعفر المنصور ، والمهدي ، والرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق كلهم من الخلفاء الغزاة ، وتأيداً لما اقوله ادلي بالامثلة التاريخية عنهم فرداً فرداً :

« ١ » ص ٤٩٠ وقد نقله حرفياً عن محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ١٧٦ ولم يشر الى ذلك ، ونقله هذا عن اشهر مشاهير الاسلام ولم يشر الى ذلك ايضاً ، فتأمل . ووردت ايضاً في اتمام الوفاء للخلفاء ص ١٤٦ لمحمد الحضري بك

المنصور

كان السفاح يوجهه لمحاربة الخوارج ، ولصد الروم ، ولقمع بقية الجيوش الاموية ، ووجهه في سنة ١٣٣ هـ لقتال الحرورية من ربيعة في مارد بن ، فقاتلهم قتالا شديداً وقتل رئيسهم (١) وشخص في سنة ١٤٩ هـ عن بغداد حتى نزل حديثة الموصل . ومنها سير الجيوش بقيادة العباس بن محمد ، فصار الى ملطية ، وحمل منها الميرة ، ثم اناخ على كنج ، ولم يزل يقاتل دونه حتى فتحه .

المهدي

كان المنصور ابوه يهتم به كثيراً وبرشحه اليهام الخطيرة ، حتى انه ولاه سنة ١٤١ هـ وعمره آنذاك (١٥) سنة قيادة الجيوش المتوجهة الى خراسان ، وبعد ان نزل الري وانتهت الفتنة امره المنصور بغزو طبرستان ، ففعل ، ثم انصرف عائداً من خراسان سنة ١٤٤ هـ فلقية المنصور بقرماسين (وهي اليوم كرمنشاه) فانصرفا جميعاً الى الجزيرة لمراقبة نفورها ، وتفقد شؤون الماشاغبين .

وفي سنة ١٦٣ هـ تجهز المهدي لغزو الروم ، وقد استصحب معه هرون الرشيد وعمره نحو (١٧) سنة ، وسار على الموصل والجزيرة ، وعبر الفرات الى حلب ، ثم جاز الدرب وبلغ جيحان ، ومن هناك سار الرشيد بالجيش وتوغل في بلاد الروم حتى نازل حصن (سمالو) فحصره ٣٨ يوماً ونصب عليه المجانيق ففتحه وتمهدت له فتوح كثيرة .

وفي سنة ١٦٩ هـ اراد المهدي الخروج الى جرجان وكان الرشيد بصحبته

وقد بنى حائطاً في ارض الدجيل طوله فراسخ كثيرة يجدون الصيد داخله ،
وذلك بان يطارد رجاله تلك الحيوانات من الجهة المقابلة للحائط ، فتنفرد نحوه
فيضربون حولها ، ويطاردونها بخيولهم . وكلابهم وفهودهم حتى يضايقوها بين
دجلة والحائط .

اما باقي اخوته فقد اشتهر منهم صالح بن الرشيد بصيد الخنازير ، كما اشتهر
الامين بن الرشيد بصيد السباع .

وغير هؤلاء كثيرون ، حتى كان منهم من ينازل السباع فيصرعها ، وبالطبع
ان هذه القوة لم تنأت الا بالتدريب والريضة ، والغرام بالفروسية ، وحب
البطولة ، والابتعاد عن الانفاس في الملاذ والطيبات ، والانهماك بما لا طائل تحته
مما يفضي ويسقم .

فيمكننا اذن ان نقول والحالة هذه بان قصور الخلفاء ، وامراء العرب كانت
مدرسة حربية ، لمن اراد ان يكون فارساً مهيباً وجندياً ماهراً ، ويتحلى بروح
الشجاعة والبراعة ، ويتزينا بزي الجندي والفروسية الحققة ، وانهم وان لم تقف على ان
كان لديهم ميادين التمارين العسكرية ، يجرونها في ابان السلم تحت برامج منظمة ،
فالذي ذكرناه يكفي ان يعرفنا بانهم كانوا يعتنون ببعض التمارين التي لها
علاقة متينة بعمل الحرب ، فيهتمون بها اهتماماً شديداً ، اذ اننا رأيناهم يقضون
اوقات فراغهم في المعسكرات برمي النبال والحجارة ، والامب على الخيل ، والتمارين
بالسيف .

ومع كل هذا ، فما برح الملوك من قديم الزمان يلهون في ساعات الفراغ ،

وكذلك الخلفاء الامويون منهم والعباسيون ، ولكنها لا تخرج عما يروض عقولهم
وابدانهم فكان الرشيد اول من لعب بالصولجان والكرة ، واول من رمي
بالنشاب .

وكان سباق الخيل (عند الامويين) ام تسلية للشعب على اختلاف طبقاته ،
ويقال ان هشام كان اول من اقام حلبات السباق ، لتحسين نتائج الخيل ، وقد اشترك
في السباق في عهده نحو اربعة آلاف من خيله ، وخيول الامراء ، ويقول المسعودي
انه لم يسبق لهذا السباق مثيل .
وكان الوليد مفرماً بمساق الخيل ايضاً .

قال المسعودي (ج ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩) « كان الوليد مفرماً بالخيل وحجها
وجمعها ، واقامة الحلبة وكان السندي فرسه جواد زمانه وكان يسابق به ايام
هشام ، وكان يقصر عن فرس هشام المعروف « بالزائد » وربما ضامه ، وربما
جاء مصلياً .

وهاك مراتب السوابق من الخيل اذا جرت قاولها : السابق ثم المصلي وذلك
ان رأسه عند صلا السابق ، ثم الثالث والرابع وكذلك الى التاسع ، والعاشر السكيت
مسدداً ، وما جاء بعد ذلك لم يعتد به ، والفسكر الذي يجي في الحلبة آخر
الخيل ... وقد اجتمع للوليد في الحلبة الف فارح . وجمع بين الفرس المعروف
بالزائد والفرس المعروف بالسندي ، وكانا قد برزا في الجري على خيول زمانهما
وكان اذا خشي ان تسبق فرس غيره ، ركض فرسه حتى يساويها فيقذف بنفسه
عليه ، ويدخل سابقاً ، والوليد اول من فعل ذلك وستة في الحلبة ثم تلاه في
الفعل كذلك المهدي في ايام المنصور ، والهادي في ايام المهدي .

عن الفطرة ، ويأتون على ذلك بامثلة عديدة لاتزال تروىها بعض السكتب ، فانها مما وضعه الفارسيون واشياهم لتشويه سمعته لنكته البرامكة ، وكذلك ما نسمعه عن ابنه الامين فانها لا تخرج عن تشويه سمعته ، تبريراً لخروج اخيه عليه ، او استحقاقه الملك دونه فرووا عنه من الاستهتار في الذائد ما لا يروى الا عن السفلة في الخلاعة حتى نسي بجانبه ما روي عن جريمة المأمون التي حده ابوه عليها .

المأمون

وسار المأمون في سنة ٢١٥ الى الروم وقد سلك طريق الموصل حتى صار الى منبج ثم الى دابق ، ثم الى المصيصة ، فطرسوس ، ودخل منها في بلاد الروم ، وكان قد استصحب معه ابنه العباس وعقد له على جيش آخر ، فدخل من ملطية ، وتوغل الجيشان في بلاد الروم ، وفتحا عدة حصون ...

وشخص الى الروم ايضاً في سنة ٢١٦ هـ على رأس جيش عظيم ، ففزا هرقة ، ووجه اخاه المعتصم ففتح ثلاثين حصناً ومطمورة ، ثم اعاد الكرة على الروم في سنة ٢١٧ هـ ، حتى انه توفي سنة ٢١٨ هـ وهو غاز في بلاد الروم عند نهر (البدندون) ويقع في شمالي طرسوس ، فحمل من هناك الى طرسوس فدفن بدار خاقان خادم الرشيد .

المعتصم

لقد كانت ايام المعتصم ايام فتوح وحروب ، وهو الذي فتح عمورية (١)

(١) عمورية مدينة عظيمة ببلاد الروم وهي مدينة دروما ، ... وهي احسن بلاد الروم قاطبة ذات بساتين وأشجار وأنهار ، وكانت قاعدة

سنة ٢٢٣ هـ ، وهي احسن واعظم واعز مدن الروم ، بعد ان اقام عليها (٥٥) يوماً ، ثم رجع بالاسرى وسار نحو طرسوس ثم رجع الى دار ملكه .
 وكان الواثق ممن يغزون بانفسهم ايضاً ، اما الخلفاء الذين جاءوا من بعده ، فقد قعدوا عن قيادة الجيوش ، وانتهى دور الخلفاء العسكريين ، الذين آثروا المصاحبة العامة على اللهو ، فحاضوا غرات الموت ولم يستسلموا لداعى الترف المضني . وطار صيتهم في الآفاق ، ووقعوا الرعب في قلوب الاعداء ، ولم يفسحوا المجال لقائد خيثل السريرة ان ينتهر لوحده في معركة عظيمة ، فتكبر نفسه بأخذه الغرور ، الى درجة يشق به عصا الطاعة . . حتى قال فيهم الجاحظ (١) « زعم رجال من مشيختنا انه لم يقم احد من ولد العباس بالملك ، الا وهو جامع لاسباب الفروسية » فثلا ان الهادي العباسي ، اول من مشى الرجال بين يديه بالسيوف المرفهة ، والاعمدة والقسي المونرة (٢) وكان الامين ذا قوة مفرطة وبطش وشجاعة ، سوى الفصاحة والادب والفضيلة (٣) .

اما المعتصم فكان يخرج ساعده ويقول للرجل عض ساعدي باكثر قوتك لانه لا يعمل فيه السنان فضلاً عن الاسنان ، قال نفطويه : كان من اشد الناس بطشاً ، كان يجمل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره ، وكان يحمل الفرطل ويمشي بها خطوات (٤) .. حتى قيل انه لم يكن في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والاقدام .

* ملك بني عثمان وفيها قبورهم . الخ القرماني ٤٦٥ .

١٠ ، البيان والتبيين ج ٣ ص ١٣ ، ٢٠ ، ٣٠ ، القرماني ص ١٥١ و ١٥٢

٤ ، القرماني ص ١٥٥ .

في البرجاس (١) وكان الخلفاء بعده يهتمون بالصيد حتى برعوا وتفننوا فيه . وكتبوا في فنون الصيد واساليه كتباً عديدة . مثل كتاب للبراة وللصيد ، وكتاب المصائد والمطاردة .

وكان لهم رغبة في السباق ، ورمي البندق .

ولقد كان لهذا الرمي شأن عظيم عند العرب لاسيما عند بني العباس ، وهو لعبة ايرانية ، تصنع البندق من الطين ، او الحجارة ، او الرصاص وترمي بالاقواس واقتبس العرب هذه اللعبة في اواخر ايام عثمان بن عفان ، وعدوا ظهورها منكراً ، والفوها ، الى ان الفوا فرقا من الجند ترمي بها ، وكان رماة البندق في عهد العباسيين طائفة كبيرة . يخرجون الى ضواحي المدن فينسابون في رميها على الطير وامثاله . وكان الرشيد فرقة يقال لها (النمل) تسير بين يديه ، وترمي البندق على من يقف في طريق الموكب ... وعندما افضت الخلافة الى الناصر لدين الله ، جعل لرمي البندق شأنًا ، لانه كان ولعاً به ... حتى جعله فناً ، لا يزاوله الا الفتيان ...

وكانوا يعتبرون « ان للفروسية ثلاثة اصول ، احدها احكام الركوب ، الثاني الحذق في اخذ السلاح واستعماله والمقاتلة به ، والثالث الشجاعة وتدريب الاعداء والتقدم والتأخر والثبات ، واصناف ذلك » (٢)

نعم لقد كانوا يلهون بهذه الالعب ، ولا تخفى اهميتها ومشروعيتها ، ولسكنهم كانوا عندما تشب الثورة . ويدخل الجيش في الانذار ، ثم يتقدم

« ١ » المسعودي ج ٢ والبرجاس هو : غرض في الهواء على رأس رمح او نحوه . مولد : القاموس « ٢ » آثار الاول ص ١٤٥ .

فيشترك في الخدمة الفعلية ؛ كانوا ينصرفون عن امور اللهو ويحرمونها على انفسهم « وحقيق لمن تكلف امرأ من الامور الحريصة ان يترك اللذة واللهو ، ويستغل فيما هو بصدده ، حتى ينقضي امره . فلقد كان المنصور في مدة خروج اولاد الحسن عليه قطع اللذة والشراب (١) حتى انه عندما قويت شوكة ابراهيم بن عبدالله بن الحسن سنة ١٤٥ هـ وبلغ جنده مائة الف ، بقي المنصور على مصلاه خمسين يوماً ينام عليه ، ويجلس عليه ، وعليه جبة ملونة قد اتسخ جبهها ، لا غيرها ولا هجر المصلى .. واهدت اليه امرأتان من المدينة .. فلم ينظر اليهما ، ف قيل له : انهما قد ساءت ظنونهما ، فقال : ليست هذه ايام نساء ولا سبيل اليهما حتى انظر رأس ابراهيم لي ، اورأسي له » (٢) وهكذا كان الرشيد والمأمون والمعتصم (٣) .

ومما يؤيد ذلك ما نقله سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٤) : - « ان المعتصم ، كان جالساً في مجلس أنسه ، والكأس في يده ، فبلغه : ان امرأة شريفة ، في الاسر عند عليج من علوج الروم في مدينة عمورية وانه لطمها على وجهها يوماً فصاحت . وامتصماه ، فقال لها العليج ما يجيء اليك المعتصم إلا على اباق ، فلما سمع ذلك اغتم غما شديداً ، وختم الكأس وناوله لساقيه ، وقال : والله لا اشربه الا بعد فك الشريفة من الاسر وقتل العليج ، فلما اصبح وكان يوم برد عظيم وتلج ، فلم يقدر احد على اخراج يده ولا امساك قوسه ؛ فنادى بالرحيل الى غزوة عمورية ، وامر عسكره ان لا يخرج احد منهم الا على

« ١ » آثار الاول من ١٧٤ « ٢ » ابن الاثير ج ٥ ص ٢١٠ « ٣ » آثار

الاول من ١٧٤ « ٤ » القرماني ص ١٥٥ .

فرس ابلق ، فخرجوا في سبعين الف ابلق ، فاناخ عليها وما زال يحاصرها حتى فتحها عنوة ، فلما دخلها كان يقول لبيك لبيك ، وطلب العليج صاحب الاسيرة الشريفة وضرب عنقه ، وفك قيود الشريفة ، وقال للساقى إئتني بالكأس التي اودعتها ، فأتاه بها ونك ختمها وشربها وقال : الآن طاب الشراب ... » وهكذا يفعل جميع الحازمين من الملوك والخلفاء اذا دهمهم امر ، وهكذا كان بنو امية ، فلقد مكث عبد الملك بن مروان ، سبعة اشهر لا يقرب امرأة حتى اتاه قتل ابن الاشعث الذي خرج عليه . وقال الشاعر : —

قوم اذا حاربوا شددوا ما زرعهم دون النساء ولوبات باطهار (١)

وبهذا الحزم ، وهذه الغيرة ، استطاع الخلفاء العباسيون الاولون ان يديعوا نفوذهم على الجيوش الدخيلة الفارسية والتركية ، وحفظوا انفسهم من العصيان والتمردات التي كانوا يقومون بها بين حين وآخر ، اما الذين جاءوا بعد مصرع المتوكل ، فانهم اهملوا شؤون الدولة ، وتركوا الجيوش على كواهل قادتهم ، يصرفون زمامها كيف شاؤوا ثم غطوا في القصور مع الجوارى اللاتي بلغ عددهن المئات والالوف ، فكانت النتيجة ان تقوض عرش الدولة العباسية كما سوف نطلع عليه في اسباب سقوط الدولة وبيان العوامل التي ادت الى ذلك من الوجهة العسكرية .

ولكنهم عندما انتبهوا قليلا من غفلتهم في عهد الناصر لدين الله ، ونفضوا رداء الخمول عنهم ، وتأسس نظام الفتوة واقبل عليه الشبان في كل العراق ، ونشأت بينهم الروابط الوثيقة ، واخذوا بالرجولة ، اعاد العباسيون شيئا من نفوذهم السياسي ،

ولقد بلغ من شدة رغبة الناصر بنظام الفتوة ، ان جعل نفسه رئيس هذه الفرق ، وكتب الى ملوك الاطراف الذين كانوا معترفين بخلافته ان يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها ، وان ينسبوا اليه (١) .

اما الآن فاتي اتناول البحث عن :

صنوف الجيش العباسي

فلقد دلنا التبع على ان الجيش العباسي يتألف من الصنوف التالية : —

١- الفرسان

وعم الخيالة ، ولعلمهم كانوا يؤلفون الصنف الاساسي عند العرب ، ولذلك كان الخلفاء والقواد يستحثون جنودهم على العناية بخيولهم ، حتى بالنوا في اكرامها وقالوا : « ان العز والزينة بها ، وقهر الاعداء على ظهورها ، والغناء في بطونها » (٢) وكان الرجل يبيت طاوياً ويشبع فرسه ، ويؤثره على نفسه واهله وولده ، ولذلك لما جاء العباسيون ، انتقلت اليهم هذه العننة .

وكان عمر بن الخطاب يعتني جد العناية بخيول الجيش ، فكان يراقب عن كشب تمرين هذه الخيل ، وتربيتها ، فيذهب الى الحى

«١» راجع الحوادث الجامعة ، وتاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ «٢» راجع

تجربة عهد الاجياد في الصافيات الجياد للفريق الامير محمد باشا الجزائري ص

١٢ وما فوقها .

القريب من المدينة المنورة ، فيشرف بنفسه على امرها .
 وكان سلمان بن ربيعة الباهلي اختصاصياً بامور الخيل ، فعينه الفاروق
 للتفتيش على خيول الجيش التي في الكوفة وكان سلمان هذا يسمى
 (سلمان الخيل) لشهرته وعنايته بتربيتها وتدريبها .

كان القواد يوصون رجالهم ان يعتنوا بأفراسهم مثل عنايتهم بنسائهم .
 وقد اعترض عمرو بن الليث - على عهد الخليفة المعتمد (سنة ٢٧١ هـ) -
 فارس كانت له دابة في غاية الهزال فقال عمرو : « يا هذا ، تأخذ مالنا
 تنفقه على امرأتك فتسمنها وتمزل دابتك التي عليها تحارب وبها تجد
 الارزاق ، امض فليس لك عندي شيء » . فقال له الجندي :
 « جمات لك الفداء لو اعترضت امرأتى لاستسمنت دابتي » فضحك
 عمرو وامر باعطائه ، وقال : « استبدل بدابتك » (١) . وخطب عمرو
 بن العاص بجنده فقال : « ... ولا اعلن ما اتى رجل قد اسمن نفسه
 واهزل فرسه ، واعلوا اني معترض بالخيول كاعتراض الرجال ، فمن
 اهزل فرسه من غير علة حططت من فريضته قدر ذلك .. » (٢)

وكان للعباسيين ميادين كبيرة في الرقة والشماسية ، يدربون فيها
 خيولهم ، ويرسلونها فيها الى الحلبة ، فكان لهذه المباريات التي تقام في
 السباق اكبر الاثر في تحسين جنس الخيل .

« ١ » التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٦٣ « ٢ » حسن المحاضرة للسيوطي

أ- وكان العرب يستعملون الخيالة في الاجنحة ، على عكس الاروام
والاكاسرة ، فانهم كانوا يستخدمونها في الصفوف الامامية والخلفية ،
ولا يخفى هنا المجال الواسع الذي كان يفسحه العرب والعباسيون
للخيالة ، اذ يستخدمونها في الاجنحة ، والتحديد من حرية الخيالة ،
والتضييق على قابلية حركتها عند استخدامها في الخطوط الخلفية ، ورأيت
في كتاب (آثار الاول) في الفصل الذي عقده في الحروب والمصافات
وتعبية العساكر ، تعبئة للترك ، وهي ان تصطف الرجال وراءها ثلاثة
صفوف من الخيالة ، وبعضهم يجعلها سبعة والآخرين هم ازماء بالنشاب ،
وفي ذلك تقييد لاعمالها ، وضغط لما ينبغي لها من حرية .

واوصلنا الاستقراء والتتبع الى أن العباسيين كانوا يفرضون على
الخيالة ، القيام بالواجبات التالية : -

اولا - الاستطلاع ، والحماية ، ويسمونها « الطلائع » (١) .

ثانياً - الحملة ، ويقصد بها الهجوم الزاكب .

ثالثاً - الاغارة ، وكانوا يعدون الحصن للاغارة وذلك لشدتها وحدتها

وقوتها (٢) وقالوا عن الاغارة : انه اذا نزل قائد الجيش بمكان يركن

اليه ، وجاءته الجواسيس باخبار صحيحة عن عدوه ، قبل الحرب او

بعدها ، ورأى من المصلحة انفاذ سرية الى بعض النواحي ، فليؤمر

(١) جاء في آثار الاول ص ١٧٥ : والطلائع تكون اصحاب الخيول

السبق والرمي والخفة في الطراد والمقابلة (٢) السياسة الشرعية ص ١٧

في اصلاح الراعي والرعية لابن تيمية .

عليهم من يرى نجاحه وصلاحه لذلك ؛ وليكنتم ذلك جهده ، وليؤثر عنه بغيره (١) .

ابن - المطاردة : فلقد كان العباسيون يستعينون بالخيالة على مطاردة العدو عند تهمته ، واليك ما وصي به عبد الحميد الكاتب في رسالته الشهيرة بتعبية الحروب (٢) .

« فان انصرف عنك عدوك ، ونكل عن الاصابة من جندك وكان بخيلك قوة على طلبه ، او كانت لك خيل معدة وكتيبة منتخبة ، قدرت ان تتركب بهم اكتافهم ، وتحملهم على سنتهم ، فاتبعهم جريد خيل عليها الثقة من فرسانك والو النجدة من حماةك ، فانك ترهق عدوك » .

قال الجاحظ « وليس يكون الكمين ، ولا الطليعة ، ولا الساقة ؛ الا الكبار منهم ، ومنهم من يحمل البنود والرايات والطبول والاجراس »

اما العرب قديماً فان الراغب الاصفهاني اخبرنا : بانهم اذا قصدوا غارة ركبوا الابل ، وجنبوا الخيل ، فاذا انتهوا الى المعركة ركبوا الخيل (٣) واخبرنا ايضاً : انهم كانوا يعودون افراسهم في حبسها في المعركة (٤) كما كانوا يعودونها الهجوم على الفيلة وغيرها ، ويعودونها الصبر على العطش لايام طويلة . وعن ابي امامة انه قال : قال رسول الله ﷺ : « عاتبوا الخيل فانها تعتب » اي ادبوا

١ ، آثار الاول ص ١٧٩ ، طالع الرسالة في كتاب عصر المأمون

للدكتور الزفاني ، وتاريخ العرب للشركسي ، ورسائل البلغاء

٣ ، ٤ ، محاضرات الادباء ج ٢ ص ٦٣ .

فانت فيها قوة نذكر بها العتاب ، فتفعل ما تؤمر به ، وتنتهي عما تنهى عنه .
قال زهير :

وخرّجها صوارخ كل يوم فقد جعلت عرائكها تلين
« اي خرّجها كما يخرج المعلم تلميذه » وقال الافوه :
وافراس مذلة وبيض كأن متونها فيها الوهاج
« اي مؤدبة ومتونها ملساء صافية »
وقال يزيد بن مسلمة بن عبد الملك :

عودته فيما ازور حبائي اهاكه وكذاك كل مخاطر
واذا احتبى قربوسه لعنانه علك الشكيم الى انصراف الزائر
« اي ادبته حتى اذا نزلت عنه ، والقيت عنانه في قربوس سرجه ، وقف
مكانه الى ان اعود اليه » (١)

ولو اتني استطردت الى كل ما قاله العرب في تدريب الخيل وتاديبها لضاق
بي المجال ، وفيما اوردته الكفاية وفيه الدلالة الصريحة على أن العرب في الجاهلية
والاسلام ، وفي الدولة الاموية كان الفرسان منهم يدربون خيلهم وبغالونها ،
فتؤثر فيها الرياضة ، لانها اصح الحيوانات مزاجا ، فيستفيدون منها وقت اشتداد
المعارك ، في اجراء الحركات المختلفة التي تطلب منها ، كما فعل بالخيّل الركائب في
ايامنا هذه .

وكانوا يرفقون معها في الحركات بياطرة ومضمدين وان اول من اتخذ اللجم ،
وانعل بالحديد من العرب ارحب الهمداني وفي ذلك يقول مالك بن بلالة بن ارحب

أمرت بإيتاء اللجسام فأبدعت وأعطت خيلي في المسير حديدا
 وأرحب جدي كان أحدث قبلنا ولو نطق كانت هناك شهودا (١)
 وكان الخيالة في الجيش العباسي ، يتسلحون بالسيوف والحراب وبالرمح من
 القناة الصماء الطويلة ، ويضعون المغافر على رؤوسهم ، ويلبسون الزرد والدروع ،
 ويستقرون بالجحف وهناك أيضاً .

الهجاة

وهم الفرسان الذين يركبون الهجن (٢) كما كان الفرسان في عهد الخلفاء
 الراشدين والامويين يتسلحون بالدروع والسيوف والرمح ، وكانوا يستعملونها
 في جاهليتهم .

ب - الرجل او الرجالة

وهم المشاة ، ويتسلحون بالسيوف والحراب والرمح ، والمزاريق ،
 والنقسي والسهم ، ويحملون كنانين النبل ، ويلبسون الدروع كما
 يلبس الخيالة ، ويحمون رؤوسهم بالخوذ ، والبيضاة والمغافر ، ويتقنون

١٠ راجع ابن خلكان ج ٢ ص ١٤٦ فهناك ان المهلب بن ابي صفرة اول
 من ابدل ركابات الخشب بالحديد وعممها بين الجيش الاموي - النساشران -
 ٢٠ راجع البحث الذي عقده السعدي عن الابل في كتابه غاية المراد عن
 الابل والهجن . وحكي ابو هلال العسكري في كتاب الاوائل : ان اول
 من ريعت له الابل على الحمرام جعفر زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر
 المنصور لما حجبت ج ٢ ص ١٨٥ الغزوي ،

السهم وضرب السيف، وطعن الرمح بالدرق والجحف والجنن وكان
امراء وحدات الرجالة يركبون الخيل كما يركب آمر السرية وغيره
في هذه الايام . وقال الجاحظ في كلامه عن جنس الخلافة (١)
« وقائد الرجالة لا يكون الا فارساً »

ج - المنجنقيون

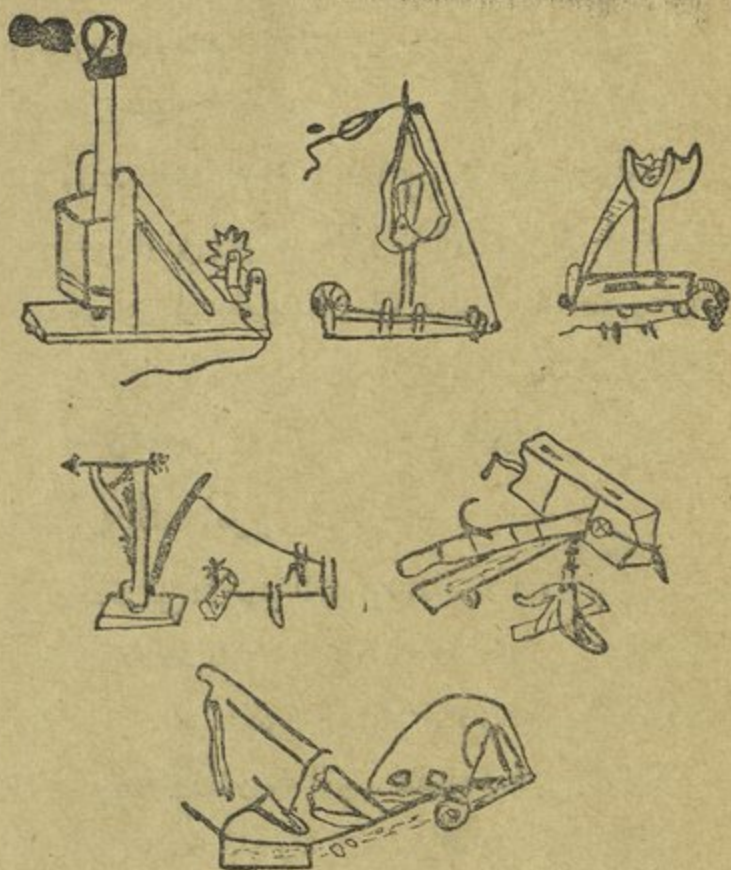
وهم رماة المنجنق ؛ ولا يختلفون في تأثيرهم بالعدو عن المدفعية في
هذه الايام .

وقد استعملها النبي في معارك الطائف . وعني الخليفة عمر بن الخطاب
بهذا السلاح فكان عاملاً من اكبر العوامل في هدم القلاع والحصون
وجعلها قاعاً صفصفاً كما حدث في حرب بلدة (بهر سير) في العام
السادس عشر ، فقد استخدم الجيش في حصار هذه البلدة عشرين
منجنقاً .

ولقد تفنن العباسيون بصنع المجانيق ، واهتموا اهتماماً زائداً بهـ هذا
الصنف لما علقوا عليه من الاعمىة . فاصبح في الالوية العباسية وفرقها
انواع مختلفة من المجانيق ادت لهم خدمات جليلة برّاً وبحراً .

منها :-

- ١ - الرمي السهم والنبال اذ توضع في المنجنق الواحد عدة سهام وترمي
عنها بالاقواس الى مسافات بعيدة وبقوة خارقة .



مناجيق عربية

- ٢ - لرمي الحجارة : لهدم الحصون بالحجارة الضخمة .
 ٣ - لرمي قدور النفط : او الكراة المشتعلة من النار اليونانية وذلك لاحتراق
 اماكن العدو .

ولأت بالتفصيل على قدور النفط التي يرميها المنجنيق ، ونحن اذا اطلقنا
 اسم (القنابل) على هذه القدور فلا نكون مباليين في التسمية ، ولا
 متوسمين الى حد بعيد ، فان طرق تركيب هذه القدور ، وانواعها
 وتأثيرها في الابنية ، والانسان ، والحيوانات ، قد لا تختلف عن
 القنابل العصرية ، فمن تلك القدور او القنابل :

قنابل النحاس

كانت تسكب على مثال حجر المنجنيق بحجوة وتملاً (بدواحد) ومواد اخرى
 فكرها على اقدارها ونسبها (الزرد كش) صاحب الانيق .
 ومن قنابل النحاس ما يكون على شكل صناديق تعرف بصناديق النحاسفة :
 ويكون في جنبها مزراق نحاس وله انابيب تنفذ اليه فيملاً الصندوق فقط ويجعل
 على رأس المزراق وردة لبّاد وتشمل ويرسل الصندوق بالمنجنيق فيشتعل منها
 وينفجر .

قنابل الحجر

وتتخذ من حجر مدور ويجعل فيه خزائن وتملاً هذه الخزائن بلزاق ملون
 من نقت ومضطكي وغيرها .

قنابل النجاج

وهي قوارير تملأ من دهن يتركب من نפט مصعد (وهو الابيض) وكبريت وكندس... وغيره. ثم ترمى هذه القوارير بالمنجنيق فتلطح المسكان الذي تقع فيه، ويؤتى بعد ذلك بحجر عليه مشاقة مرواة من النفط المطبوخ تشعل فيه النار، ويرى حيث وقعت القوارير فيلتهب المسكان ولا ينطفئ حتى يصير رمماً. واتخذوا من تلك القوارير ما يماثل :

قنابل اليد

وتكون من زجاج مدورة ذات عرا تحشى بالنפט، والصبر، وبذر القرطم المقشور وغيره وتجعل لها سلة فيشعلها الضارب، ثم يرمي بها فيكسرها وقد استعملت تلك القنابل اليدوية اواسط ايام الدولة العباسية، استعملها ياقوت المناوىء لعجال الدولة ابن بويه في حربه له، فقدم امام اصحابه رجالة كثيرة يقاتلون بقوارير النفط (١).

٤ - - لرمي العقارب : - أو الحيات العتاق أو قفف الرماد وغيرها من آلات الاذى.

ومن هنا يتضح لكم ان المناجيق العباسية كانت تقوم لهم مهمة المدافع تماماً. فيعوض لهم النوع الاول عن قنابل المنشار والثاني عن قنابل المهادد والثالث عن قنابل الحريق، والرابع عن قنابل الغاز الخاق وغيره.

وكان منها : -

القنابل المضيدة

وهي بندق يركب من كبريت رومي اسود وصمغ ودهن بلسان ونورة ومواد اخرى يقذف ويحترق ، فاذا اريد الرمي بها تمسح بنقط مصعد ، مطبوخ ، ويذر عليها كبريت مسحوق ، فاذا رمي بها عن قوس صلبة شديدة اشتعلت ناراً بوقوعها في الهواء سواء كان ذلك في ليل او نهار .

ثم انهم استعملوا من الدخان ما يعمل في العدو عمل الغازات الخائفة ، وذلك بتدخين الكبريت والجليف على مهب الريح حتى يفسد الهواء على العدو ، واتخذوا فوق ذلك :

٥ قنابل خانقة

استعملوها في البر والبحر ، وكان بعضها يركب من افيون وزرنيخ وبنج ازرق .. الخ وبها يملأ من النورة المدقوقة غير المطفأة (وهي مزيج من الكلس والزرنيخ) فتعمي بغمسها الابصار ، وتلتهب عليهم اذا تبذرت ، وقد تقذف القذور المملوءة بالكلس المطفي فيتصاعد غباره الى مناخير الجند وعيونهم ، فما يستطيعون القتال .

وكانت لهم قنابل تعمل عمل :

قنابل المنشار

فتقشر الجلد عن اللحم وتحرقه ، تصنع من قذور مملوءة بمواد من نبط وغيره ، ذكرها باقدارها صاحب الايق ورمم القدر نفسها .

د - الذئابون

وهم الذين يرمون الذئاب ويسمونهم الذئابة ايضاً ، ولقد اجمع المؤرخون على ان العرب من امهر المقاتلين في النزاع بالقوس وقلما كانت تطيش سهامهم ، وبلغ من اصابهم في الرمي ما يكاد يتعدى طور التصديق ، ولقد كان في كل قبيلة من قبائلهم مائة من رماة (الحدق) كما كان في الجيش العباسي اخيراً عشرات الالوف منهم يؤلفون صنفاً مستقلاً ، ويولون عليه كثيراً ، ويستخدمونهم في مسك المضائق الخطيرة ، والاحتفاظ بالاماكن التعبوية المهمة ، ويخبرنا ابن عبد ربه (١) « بان احدهم يعلق ضباً في القتب (٢) ثم يرمي بين اذنيه فيصدع عظمه من دماغه ، ثم يطلب عكوة ذنب الضب (٣) فيصيدها ، ثم يرمي فيصيب اي عضو شاء من اعضائه حتى يرمي فقرانه فقرة فقرة » وعلى هذا فان الذي اراه في تسميتهم برماة الحدق هو لان اعداءهم من الفرس والروم كانوا يلبسون الدروع ويحفظون رؤوسهم بالمغافر الحديدية ، ويتقنعون بالحديد فلا يبين منهم سوى الحدق ، فكان العرب يرمونهم فيصيبون احداً منهم ، وخالفني آخر فقال : « انما سمو بذلك لان لو اراد احدهم ان يرمي احدي عيني الغزال دون العين الاخرى لرماه (١) وشهد المستشرقون على ان مهارتهم في ركوب الخيل واتقانهم رماية

١، العقدة الفريد ج ١ ص ٩٤ وكذلك وردت في شرح العيون لابن نباتة ٢، القتب : البرذعة ٣، العكوة : طرف الذنب ٤، جرجي زيدان في التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٦٩ .

النبال كانت من العوامل التي ساعدتهم على الفتح ، فقد كانوا أمهر من الروم والفرس فيها . ولهم بها عناية كبيرة ، ولا شك ان حدة ابصارهم ، ورؤيتهم المسافات البعيدة ، وقوة سواعدهم ، ولحاجتهم اليها في الصيد ، جعلتهم يتقنون الرماية الى حد بعيد ، وقال النبي ﷺ « اركبوا وارموا وان ترموا ، احب الى من ان تركبوا » وقال « كل لهو المؤمن باطل إلا في ثلاث ، تأديبه فرسه ، ورميه عن كبد فرسه ، وملاعبته امرأته ، فانه حق » ، وروى عن عتبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو قائم على المنبر : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي » (١) وقال عمر : اتزروا واربدوا وانتعلوا واحتفوا ، وارموا الاغراض ، والقوا الركب ، وانزوا على الخيل نزواً ، وعليكم بالعربية ، ودعوا التثنية وزني المعجم » وقال ابن تيمية قواكم ما نزوتهم ونزعتم (٢) (اي ركبتهم ورميتهم بالقوس) فكان حتى الامراء والقواد ، تراهم يمشون وعليهم درع وكسائة وقوس عربية (مروج الذهب ج ٢ ص ١٥٢ - ١٥٣) اما المسابقة في الرمي - وفي عهد الجاهلية بسهم واحد ، ويجب به الاصابة - فجمعت في زمن النبي ﷺ ثلاثاً يعني السابق في الاصابة الى الثلاث هو الفائز ، ثم بعد ذلك صارت اربعة ، الى اول دولة بني العباس ، فصارت تحسب بخمسة (٣)

اما المراهنة وهي في الرماية وهباق الخيل ، فامر مشروع ولذلك صفات وشروط مستوعبة في كتب الفقه (٤)

١ و ٢ «٢» العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٩٤ «٣» آثار الاول

ص ١٥٨ «٤» آثار الاول ص ١٥٩ .

« وتفنن المسلمون بالرمي في العصور الوسطى ، حتى اصطنعوا من آلات الاقواس آلات مركبة . ولعلمهم اخذوا بعضها عن الفرس كالمحراب التي استنبطها العجم لما حاربوا التتر ، وهي عبارة عن انبوب من حديد او خشب فيه شق يوضع السهم فيه وتهدف قنفاً شديداً ، كما تذف الرصاصة بالبدقية اليوم ، وتكون الاسهم قصيرة « (١) وقد سماهم الامير علي (في كتابه الانجليزي) الرماة وعدم من صنوف الجيش العباسي ، على ان الرماة تدخل فيهم المنجنيقيون والقاذفون بالمتلاع ، والرامون بالنشاب وغيرهم ، ولا يصح لدينا هذا التعبير لانه كان عاماً لكل من يرمي بأي شيء كان ، ثم تعددت الصنوف فكان الذين يرمون بالنشاب يسمون النشابون ، كما ان القواسة هم حملة القوس وقد توسع رجال العصر في مدلولها فاطلقوها على الرجال المناطة بهم المحافظة على القنصليات .

هـ - النفاطون

الذين يرمون النفط بالنفاطة ، لاحتراق حصون الاعداء والنفاطة أداة من نحاس يرمى فيها بالنفط ، وعندما تجهز المعتصم لحرب عمورية سنة ٢٢٣ أخذ معه من آلة النار والنفط شيئاً عظيماً وليس « النفط القاذف » عندهم غير النار اليونانية .

و - الزراقون

الذين يقذفون بالنار اليونانية (٢) وقد اقتبسها العرب من الروم

« ١ » التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٧٠ « ٢ » لاستيعاب البحث عن القاذف اليونانية ، راجع التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٧٨ ، دائرة المعارف للبستاني *

وفي في الاصل من اختراع المشاركة ، وهي مواد مشتعلة تقذف نحو العدو بأسطوانات نحاسية مستطيلة .

هذا وقد استعمل المسلمون النيران في حروبهم البحرية والبرية منذ عصر نهضتهم الحربية ، واشتهرت تسمية هذه النار بالنار اليونانية في لسان المؤرخين المحدثين على انها ليست الا اختراعاً شريعياً ، لرجل بعلبكي اهتدى اليها واسر خبرها الى البيزنطيين وهم في اشد الحاجة لدفع هجمات العرب عن القسطنطينية وغيرها من انكادوتهم التي انتهك المسلمون حرمتها ، وقد كتموا سر استعمالها ليتفردوا بها ولكن تمكن العرب من معرفة ذلك فاستعملوا هذه النار وتفننوا في استعمالها ايما تفنن . وجاء في مخطوطة « الاحكام الملوكية » وكانوا يرسلون النفط من انايبب تجعل في السفن وتعرف في اليونانية باسم (سيفونية) وتسمى عند العرب بالزراقات تنبث منها نار النفط بارعاد ودخان شديد فتحرق السفن »

وقال الشاعر المسيحي حينما فتح الرشيد هرقلة ودك اسوارها

بالمجنيق (١) :-

هوت هرقلة لما ان رأت عجا	حوأما ترتمي بالنفط والنار
كأن نيرانا في جنب قلعتهم	مصبغات على ارسان قصار

* ج ٩ ص ٧٠٥ ومواقف حاسمة ، لعبد الله عنان ص ١٠١ - ١٠٦ وخطوط

المقريري ج ١ ص ٢٢١ وما بعدها

١٠ ، ابو الفداء ج ٢ ص ٩ . والاغاني ج ١٧ ص ٤٧

ز - الدبابون

كانت الدبابات لدى العباسيين من المعدات التي تتقدم مع مشاتهم ، وتعينهم الى مسافات قريبة جداً من العدو ، حتى تلتصق بالاسوار وشرفات الحصون . وهناك تؤثر تأثيرها المطلوب ، تقذف الحجارة الضخمة ، او كرات النار المشتعلة ، او رشق النبال ، او المجالدة بالسيوف والرماح او بغيرها . ولم يكن الدبابون صنفاً حديثاً عند العباسيين ، اقتبسوه من الفرس فيما اقتبسوه لدى اختلاطهم بهم . فقد عرفه عرب الجاهلية ، وعرفه الرسول ، وحارب بالدبابات الخلفاء الراشدون ، واقتت صناعه الدبابات في عهد الامويين وكانت صنفاً خاصاً من صنوف الجيش العباسي ، كان له اثره الفعال في معظم حروبهم كما سنرى ، وكانت الدبابات العباسية تسير على الاجل ، (أي الدواليب) تحرك فتتجر ، ويدخل بعض الجنود في داخلها ، ويحتمي البعض الآخر في جوانبها كما يستفيد جنودنا اليوم من دروع الدبابة الحديدية حين القيام بالهجوم ، وكان الفواد يخصصون عدداً من الفيلة (اي من جنود هندسة الميدان) فيسيرون خلف الدبابة ليسواوا طريقها ، ويظموا الخنادق التي يحفرها العدو في سبيلها ، فكانوا يصلون بالدبابات الى جدر القلاع والحصون ، فيصعد المشاة في أعلاها ، ويستولون على السور ، وينزلون فوقه ، وكانوا يستفيدون من السلام العريضة التي يلقونها على السور ، ويعبرون عليها الى العدو

وقد يستخدمون الدبابة لاغراض اخرى ، منها هدم الاسوار وفتح
الابواب الحديدية المحكمة ، اذ يجعلون رأسها محددًا يصدمون به
الاسوار والابواب ، حتى تهدم ، ويسمون هذه الآلة « رأس
الكبش » وسوف نتكلم عنها عند بيان اسلحة الجيش العباسي ،
قلت ان العرب عرفوا الدبابة ، نعم ، فلقد كان لديهم : -
القنق (١) : وهي جنن من خشب تدخل تحتهما الرجال يمشون بها في
الحرب الى الحصون .

والضبر (٢) : وهو جلد يفضى خشبًا ، فيها رجال يقرب للحصون ،
لقتال اهلها .

ورد في هامش تاريخ الاسلام السيامي ج ١ ص ١٨٣ « وقال عنها الضبر
ويجمع على ضبور كسهل وسهول : اداة كاللداية تقريبًا تصنع من الخشب المغطى
بالجلد فيمكن فيها المهاجمون ويقربونها للحصن لقتال اهلها وهم فيها وهي اشبه بالسيارات
للمدعة اليوم »

ولم تزل التحسينات تدخل الى هذه الآلات الحربية ، وتتطور شيئًا فشيئًا
حتى جعلها العرب صنعة من صنائعهم ، يدمنون عليها حتى برعوا فيها . ولقد روى
ابن هشام (ج ٣ ص ٢٩٩) « ان عروة بن مسعود ، وغيلان بن مسلمة لم يشهدا
وقعة صفين ولا حصار الطائف ، لانهما كانا يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق
والضبورة » .

وما اشرق الاسلام ، حتى كانت بعض القبائل العربية ، قد جعلت الدبابات

« ١ » الاقصاد في فقه اللغة ص ٢٩٨ « ٢ » الاقصاد ص ٢٩٨ .

والمناجيق من أعداد أسلحتها المهمة .

ويذكر ابن الأثير (١) أن الرسول ﷺ سار إلى ثقيف فحصرهم بالطائف نيفا وعشرين يوما ، ونصب عليهم منجنيقا ، أشار به سلمان الفارسي وقتلهم قتالا شديداً ، حتى كان يوم الشدخة عند جدار الطائف ، دخل نفر من المسلمين تحت دبابة عملوها ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحمية ، فخرجوا من تحتها ، فرماهم من بالطائف بالنبل ، وقتلوا رجالا .. »
والذي رأيته في تاريخ الإسلام السياسي (ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٣) في معرض حصار الطائف أزيد تفصيلا من هذا ، فقد ذكر « أن الرسول سار إلى الطائف مطارداً فلول ثقيف .. حتى إذا دخلوا مدينتهم أغلقوا عليهم أبوابها ، واعتصموا بالحصون يرمون المسلمين بالنبال من فوقها ، وكان الرسول قد عسكر قريبا منهم ، فأمر أصحابه بالتمهق قليلا ، حتى لا يستهدفوا لنبل المشركين ، مكثفيا بحصارهم ، ولكن ثقيفا صمدت لقتال المسلمين وحصارهم ... وظلت تنوشهم بالنبال مطمئنة إلى مناعة أسوارها ، ووفرة الغذاء والمؤنة فيها (روى ابن سعد ج ٢ ص ١١٤) أن ثقيف أرموا حصنهم وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة » حتى اضطر الرسول إلى أن ينصب المنجنيق ويرميهم به ، كما سير إليهم جنده في الدبابات والضبور ، ليتقي بها المسلمون نبل الموجه إليهم من عل ، فلم يلبثوا وكانوا أهل حنق ومهارة أن احتالوا لصدها بإلقاء قطع الحديد المحمية عليها ، فأحرقوها ، واضطروا من فيها إلى الخروج منها ، ثم رموهم بالنبل ، فقتلوا منهم رجالا . »

فظهر لنا أن العرب كانوا يعرفون المنجنيق والدبابة قبل إسلامهم ، وكانوا

يعرفون أيضاً ، كيف يقاومون الدبابية اذا تقدمت نحو الحصن . وفي مكان من السيرة الحلبية : « ان المسلمين لما فتحوا حصن الصعب في خيبر (سنة ٥٧) وجدوا فيه منجنقات ودبابات .

وقد استخدم المسلمون مثل هذه الدبابات في عهد عمر بن الخطاب حين حاصر الجيش بلدة (بهر سير) سنة ١٦ هـ .

اما في عهد الامويين ، فلقد كان الدبابون صنفا ممتازاً ، والقواد يحملون دباباتهم ومناجيقهم في البحر على السفن الكبيرة .

ولقد رأى الامويون ان يفتحوا مدينة (الدبل) وهي مدينة حصينة تقع على البحر الهندي قريبة من السند ، وكانت من اكبر فرض السند واشهرها ، وهي في دخلة من البر في خليج السند (١) فجهز الحجاج جيشاً كامل العدد والعدد ، اناط قيادته بابن عمه محمد بن القاسم الثقفي القائد العربي المشهور ، وعززه بكثير من المنجنقات ، حتى ارسل اليه منجنقاً اسمه « العروس » كان يمد به خمسمائة رجل ، وذلك سنة ٨٩ هـ فهدم محمد به (البلد) وهو صنم من اصنامهم في بناء عظيم (٢) ثم اقمهم المدينة وامر بالسلام فنصبت فسمد عليها الرجال ، وحجارة المنجنق تسترهم حتى فتحوا المدينة عوة ، ومازال محمد يتوغل حتى تم فتح بقية السند على يديه ، ثم انتقلت صناعة الدبابات من الامويين الى العباسيين ، وزادوا في اتقانها ، سيما بعد اختلاطهم بالفرس ، اذ قيل عنهم « ان اهل جبالهم رجالاً شجعان مثاقفون (٣) يرمون بالحجر المصلي ، والمنجنق من استنباطاتهم (٤) » غير ان الحقيقة في

١٠، صبح الاعشى ج ٥ ص ٦٤ ، ٢٠، الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ٢١٦

٣، مثاقفون اي ملاعبون بالسيف ، ٤، آثار الاول ص ١٤٥ .

استنباط المنجنيق غير ذلك ، فالمنجنيق والدبابة آلات قديمة جداً ، ولعل أول من استخدمها الفنيقيون ، وعنه اخذها العرب واليونان والاسرائيليون والفرس .

قال البلاذري (١) : « فلما كانت سنة ١٤٩ هـ سار جيش بقيادة العباس بن محمد ليفتح حصن كمخ وكان من الحصون المنيعة ، في بلاد الروم فصار الجيش الى ملطية ، وحمل منها الميرة ثم اناخ على حصن كمخ ، فامر العباس بنصب المجانيق عليه ، فجعلوا على حصنهم خشب العرعر ، لئلا يضر به حجارة المنجنيق ورموا المسلمين فقتلوا منهم بالحجارة مائتي رجل ، فاتخذ المسلمون الدبابات وقاتلوا قتالا شديداً حتى فتحوه » .

وقال الخضري (٢) : « واجتمعت جيوش طاهر وهرثمة والسيب حول بغداد واعدوا المناجيق والعرادات واحتفروا الخنادق » .

واورد ابن الاثير في تاريخه (٣) « ان المعتصم امر ان يطم خندق عمورية بجلود الغنم المملوءة تراباً ، فطموه ، ثم عمل دبابات كباراً تسع كل دبابة عشرة رجال ليدحرجوها ، على الجلود الى السور » .

وكانت المناجيق التي حارب بها المعتصم في وقعة عمورية هذه ، تكسر الخشب ، وانها اذا الحت بالقذف صدعت السور ، وعملت فيه ثلماً وتغرات واسعة (٤) ، وهي تلك الاسوار المنيعة ، المبنية بالحجارة الضخمة .

١٠، فتوح البلدان ص ١٨٨ « ٢ » تاريخ الامم الاسلامية ج ٣ ص ١٨٨

٣ « ج ٦ ص ١٦٤ » « ٤ » خلافة المعتصم ص ٣٠ ، وابن الاثير ج ٦

ص ١٦٤ .

ولا حاجة الى الاستدلال بأكثر من هذا . فلنتابع في ذكر بقية الصنوف في الجيش العباسي ، فمن ذلك : -

ح - العيارون

وهم رماة الحجارة من المقالع والمحالي ، وكانت منهم عشرات الألوف في بغداد ، في زمن الفتنة بين الامين والمأمون ، ووصف لنا العلامة البستاني المقلاع بقوله (١) : « انه عبارة عن قطعة جلد او قماش قوية ، قليلة العرض ، مطوية تمسك من طرفيها ، ويوضع الحجر او الحصاة ، او قطع الحديد او الرصاص المقصود رشقها في وسطها ، وقد يكون المقلاع مؤلفاً من كفة توضع فيها القذيفة ، مربوطة بها بثلاثة حبال او سيور متينة ، تمسك من اطرافها ، وبعد تدويرها ، مراراً باليد ، يفلت طرف واحد من الثلاثة سيور المذكورة ، فيقذف ما في الكفة الى بعد عظيم بقوة كلية ، وقد وجد مستعملاً بين اكثر الشعوب من اقدم القدم وكان ايضاً من اسلحة العبرانيين ، واستعمله الفينيقيون ، وسائر شعوب آسيا وافريقيا واليونان والرومان . »

ط - الهندسة

وكانوا يطلقون عليهم اسم « الفعلية » .
ومنهم : اصحاب الفؤوس والمكاتل (٢) .

« ١ » دائرة المعارف ج ٩ ص ٧٠١ « ٢ » المكاتل جمع مكاتل وهو : المجرفة .

ومهمهم : اصحاب المناسف وهي آلة يقطع بها البناء والذين ينقبون تحت القلع ويملقونها بالخشب حتى اذا جعلوها نقياً . اضرمو النار بالاخشاب .
ومهمهم : الذين يزيمون الثلج عن الطرق .

ومهمهم : الذين يحفرون الخنادق ، والذين يمدون الجسور على الانهر ،
والذين يبنون الصناكر الدائمة على رؤوس الجبال ، والذين يشيدون
القناطر على الجداول ، وكانوا يعطون من جنود المشاة لمساعدتهم في
نقل الحجارة وسد الطرق الجبلية .

ومهمهم : الذين يسهون المسالك والسبل ، والذين يشقون الطرق ، ومهمهم
الذين يطمون الخنادق ، لتجترأه الخيالة ، وتعتبر عليه الدبابات التي
تسير على الدواليب . وكانوا يستعملون جلود الغنم المملوءة تراباً ، بدلا
من اكياس الرمل التي استعملها الآن (١) . وكان من صنف
الهندسة هؤلاء ، قسم يفرشون الساحة الواقعة امام الخنادق بحسك
الحديد ، كما نصب الاسلاك الشائكة الآن . ولا شك انها اصل
فكرة الاسلاك الشائكة ووصفوا حسك الحديد « بأنه من ادوات
الحرب ، وربما اتخذ من حديد ، والتي حول العسكر (اي المعسكر)
واصل الحسك نبات له شوك صلب ، ذو ثلاث شعب (ولذلك يسمى
بالمثلث) فيعمل على مثال شوكة اداة الحرب المتقدمة (٢) .

ومن هنا يتبين لكم انهم كانوا يتخذون من الحسك الحديد المثلث والمربع

١٠٠ راجع ابن الاثير والطبري سنة ٢٢١ ، ٢٢٣ في وقعتي بابل وعمورية
٢٠ الافصح ص ٢٩٨ .

وكانوا يستعملون أيضاً المسدس ، ويكون منه ثلاث شوكلات قاعة . ولقد وصفه احد كتابنا العسكريين (المجلة العسكرية السنة الاولى ١٩٢٤ ص ٣٠٧) فخطأ الوصف وقال : الحسك عهي من حديد تلقى حول المعسكر او من خشب تنصب حوله . فليس الحسك عصياً ، ولا ينصب نصباً ؛ وانما يلقي وينثر كما مر القول عليه . « وهو بأربع اصابع ، فانه كيفما وقع على الارض ، كان منه سن مرتفع تعطب به الخيل وغيرها » (١) وكان المحاربون يحملونه على البغال والجمال .

وحسب تحقيقي ان حـسك الحديد قد عرفه العرب في صدر الاسلام ، وذلك في معركة نهاوند الفاصلة سنة ٢١ هـ . واليك ما قاله الواقدي (٢) : « ودعا النعمان بن مقرن الزني رجلاً من خثعم ، وقال : « اريد ان تذهب نحو حصن الروم وتأتيني بخبره ، فقد بلغني انه منيع وان له قلعة مشرفة عالية في الهواء » فقال الخثعمي : « ايها الامير امهلني الى الليل فاني اسير وآتيك بالخبر » فلما اقبل الليل عمد الرجل الى فرسه ، فأمرجه ، والجمه ، واخذ سيفه ورمحه ، حتى اشرف على قلعة نهاوند ، وجعل يسمع اصوات الحرس على سورها ، واذا بفرسه قد قام من تحته ، فلم يتقدم ولم يتأخر ، وقد علق يده ، فنزل الخثعمي ونظر واذا بحسكة من الحديد قد تعلقت بيد الجواد فنزعها ، واخذها ورجع الى النعمان ، فخبّره بذلك وقال : « ايها الامير ان ارضهم مفروشة بهذا الحسك » وعرفوا حـسك الخشب قبله (٣) واقتبس العباسيون ، فنوت الحرب الفارسية ، فعهدوا الى صف الفعلة

١، آثار الاول ص ١٩٤ «٢» كتاب فتوح الاسلام لبلاد العجم

وخراسان ص ٩٥ «٣» راجع وقائع الامم لابن مسكويه طبع ليدن

ج ١ ص ٣٩٧ .

بحمل حسك الحديد مع ادوات الحرب «فكانوا يلقونه ويفرشونه امام خنادقهم» (١)
وصاروا يلجأون الى استعمال الحسك في حالتين :

الحالة الاولى : عندما يتخذون خطة الدفاع المستكن ، ليعرقلوا في ذلك تقدم
العدو نحو خنادقهم ، وليعسروا عليه القيام بالهجوم ، ولينال
العطب سنايك خيلهم ، وكانوا يفرشون الارض كلها الادروباً
خاصة لا يعرفها غيرهم ، يقومون منها بالهجوم المقابل اذا
قضت الضرورة .

وجاء في كتاب « مفيد العلوم ومبيد الهموم » للخوارزمي في
الباب الاول من كتاب الحرب ص ٢٦٨ « وان خاف (اي
امير الجيش) من مكر العدو ، فليثر الحسك في الطريق ليأمن »
الحالة الثانية : عندما يتوخون خدع العدو ، فانهم ينشون الحرب ثم ينكصون
وعندما نظاردهم كتائب الخيالة للعدو ، ويقعون في المنطقة
المفروشة بحسك الحديد المثلث ، يثبت الحسك في ارجل الخيل
فلا تتقدم ولا تتأخر ، فعند ذلك يبرز السكين ويرمي النشابة
بالسهم ، والرجل بالمزاريق القصيرة . ثم انهم كانوا يستعملون
الحسك لغرض ثالث ، وهو انهم كانوا يفرشونه وراء الجيش

« ١ » ابن الاثير ج ٥ ص ١٨١ ، واخبرنا ابن دحلان ج ١ ص ٣٣٤ من
الفتوحات الاسلامية ، في خبر استيلاء الروم على حلب سنة ٣٥١ هـ ان ملك
الروم كان عدة عسكريه - ٢٠٠ - الف منهم - ٣٠ - ألفاً بالجواشن و - ٣٠ - ألفاً
للهدم واصلاح الطرق من التلج ومعه - ٤٠٠٠ - بغل تحمل الحسك الحديد .

منعاً للهزيمة ، اذ يحول بين الجند وبين الفرار ، فهو يقوم لديهم
مقام المجبوزة التي نجعلهم يستمتون في القتال ، او مقام النساء
اللاتي كن يضربن وجوه المهزمين بالعمد ، وبحثن التراب عليهم
وعدا الحسك ، فلقد كان صنف الفعلة بل دعامة الجند
العباسي ، يستعملون من النار اليونانية ما يعمل عمل الالغام
وذلك بوضع النفط على الارض ، ثم الاستطراد للاعداء حتى
يظهر انهم انهزموا فيتبعونهم فاذا توسطوا النفط القوا فيه النار
وهو سريع الاتعاب فتحيط النار بالجند وتهلكهم (١)

ونحن لو قارنا كل هذه المهام التي كان الفعله يؤديها في
عهد العباسيين ، مع الاعمال التي يقوم بها صنف الهندسة في
هذه الايام ، لما وجدناها قاصرة عنها في شئ . حتى انهم كانوا
يئون الالغام ويحفرون الاسراب للتوصل الى المدن الحصينة.

ي - الاطباء والبيطرة والمضمدون

كان العباسيون اذا جهزوا جيشاً ارفقوا معه الاطباء لمداواة
الجرحي والمرضى ، وارفقوا الصيادلة لتركيب الادوية واعدادها ،
وكان عدد الاطباء عظيم جداً ، حتى ان بغداد وحدها كان فيها من
الاطباء في خلافة المقتدر في اول القرن الرابع للهجرة ٨٦٠ طبيباً (٢)
وكان منهم من هو خاص بالجند يقيم معه اذا اقام ، ويرافقه في جميع

١٠ ابن الاثير ج ٧ ص ٦٠ ، طبقات الاطباء ج ١ ص ٢٢٢ .

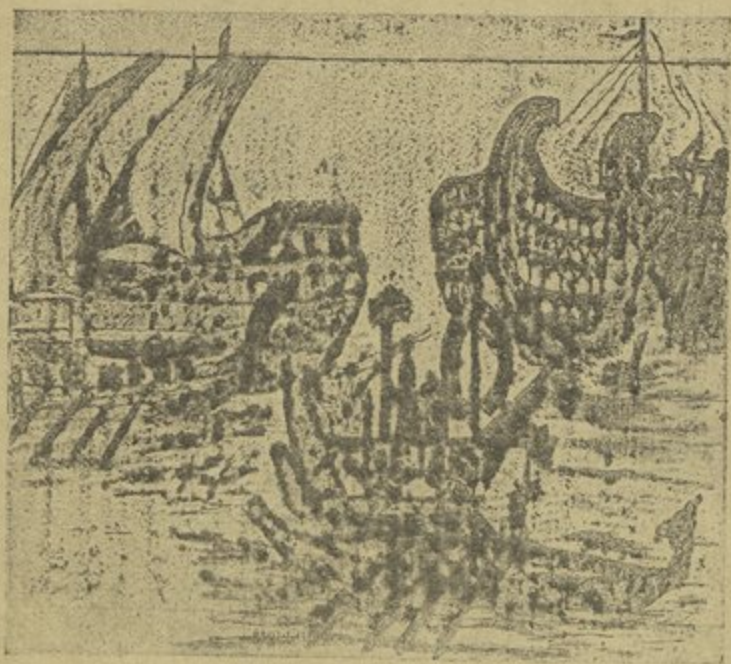
اسفاره وخدماته الفعلية ، وكان للجيش العباسي مستشفيات سيارة ،
يحملونها على الجمال والبغال ، وكان في معسكر السلطان محمود السلجوقي
مستشفى يحمله (٤٠) جملاً يستصحب العسكر حينما توجهوا (١)

ك - الاساطيل البحرية

ويدخل في ضمن الصنوف العباسية ، الاساطيل ، وهو القوة
البحرية ، وعن النبي ﷺ انه قال : « من رابط في شيء من سواحل
المسلمين ثلاثة ايام ، أجزأت عنه رباط سنة » (٢) وفي حديث ام
حرام بنت ملحان انه قال : « عرض على قوم غزاة من امتي بركبون
ثبيح هذا البحر ملوكاً ، على الاسرة ، او مثل الملوك على الاسرة »
فقات : ادع الله ان يجعلني منهم (٣) ولا نتكلم عن اساطيل العرب
قبل الاسلام الشيعيين ، أولها انها لا تدخل في اختصاص المروءة
وثانيها ، انني لا استطيع في هذه المدة القصيرة ان ادلي بمجيب قطعية
ووثائق تثبت وجود الاساطيل لديهم .

وقال المؤرخون ان العرب لم يعنوا بالحروب البحرية في صدر
الاسلام لبداءوتهم ، وعدم تعودهم ركوب البحر ، وممارستهم

١٠ جاء ذلك في وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٧٤ على انه استناداً لما ذكره
الجاحظ في البيان والتبيين ج ٢ ص ٢١٥ ان اول من اتخذ المحامل للجرحى
هو الحجاج بن يوسف الثقفي « ٢ » الاجتهاد في طلب الجهاد لابن كثير
ص ٩ « ٣ » آثار الاول ص ١٩٥ .



سفن حربية قديمة

احواله (١) إلا ما كان من سفائن حمير وسبأ في أيام التبابعة ، لانهم كانوا اهل
تجارة في البر والبحر ، ولعل عمرو بن كلثوم التغلبي وهو شاعر جاهلي ، قصد هذه
السفائن بقوله : (٢)

ملا لنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملأؤه سفينا

غير ان الاسلام شجع على ركوب البحر ، وازال تهيب العرب من ذلك .
فانشأوا الاساطيل وبدأوا معاركهم الحربية في ابان الفتح ، أي منذ عهد الخلفاء
الراشدين . فكان اول من ركب البحر ابو العلاء الحضرمي والى البحرين في عهد
عمر بن الخطاب ، فقد توجه لغزو بلاد فارس في (١٢٠٠) من المسلمين من غير
إذن من الخليفة ، وعاد المسلمون الى البصرة محملين بالغنائم بعد ان فقدوا سفنهم
التي عبروا بها الى بلاد فارس ، فلما علم بذلك عمر غضب على ابي العلاء وعزله .
ولما فتحت الشام الح معاوية على عمر ان يأذن له بغزو بلاد الروم لغربها منه . انما
نهاه عن ركوب البحر . ولما ولي عثمان الخلافة الح عليه معاوية بغزو الروم فاذن له
على ان لا يحمل الناس على ركوب البحر ، فاستعمل على البحر عبدالله بن
ابي قيس فغزا خمسين غزوة بين شامية وصائفة ، كما حارب عبدالله بن ابي مروح
والي مصر من قبل عثمان قسطنطين بن هرقل في بحر الروم . وانتصر عليه في وقعة
(ذات السواري) التي اشتبك بها الف سفينة للبيزنطيين ، ومائتان للمصريين .
وقد بلغ اسطول الشام في عهد معاوية (١٧٠٠) سفينة (٣)

«١» ج ١ ص ٥٨٨ السيامي «٢» من معلقته المشهورة وتجدها في
المعلقات «٣» راجع خطط الشام ج ٥ الاسطول والملاحة عند العرب نشرته
مجلة القباء للعلامة سليمان الندوي .

« ولم يمض سوى نصف قرن حتى كان البحر لهم كاليابسة ، محط الغزوات والفتوح الجريئة » (١) « ولما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت ام العجم خولا لهم ، وتحت ايديهم . وتقرّب كل ذي صنعة اليهم ، بمبلغ صاعته ، واستخدموا من النواتية (٢) في حاجاتهم البحرية امّا ، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته ، استحدثوا بصراء بها . فشرها الى الجهاد فيه ، وانشأوا السفن فيه والشواني (٣) وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح ، وامطوها (٤) العساكر والمقاتلة ، لمن وراء البحر من ام الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم ونفوسهم ما كانت اقرب لهذا البحر وعلى حافته ، مثل الشام وافريقية والمغرب والاندلس » (٥) ولقد قلت سابقا ، بأن فتح القسطنطينية . كان مشروع الخلافة الاول ، وذلك لان القواد وزعماء الفتح الاسلامي ، كانوا يتدرون موقف امبراطورية القسطنطينية العدائي ، ونهاها للحرب واسترداد مصر وسورية والجزيرة وغيرها مما سلخه المسلمون منها ، ولما لم يستطيعوا مهاجمة القسطنطينية من جهة البر ، لكثرة المسالخ في الطريق ، او عودة الطرق نفسها ، وكثرة الخلق الذين يناوئونهم ، حولوا وجههم الى القسطنطينية ، على ان يغزوها من طريق البحر « ففزا معاوية بن ابي سفيان ، في البحر غزوة قبرص الاولى ، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها ، وكان معاوية استأذن عمر في غزو البحر فلم يأذن له ، فلما ولي عثمان بن عفان كتب اليه يستأذنه في غزوة قبرص

« ١ » مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ص ٧١ « ٢ » النواتية جمع نوتي

« ٣ » الشواني جمع شتونة وهي مراكب كبيرة ، تقام فيها الابراج والقلاع

للدفاع « ٤ » امطوها اي اركبوها « ٥ » مقدمة ابن خلدون ص ٣٩٧-٣٩٨

ويعلمه قريبا وسهولة الامر فيها ، فلما دخلت سنة ٢٧ هـ ركب البحر من صكا ومعه مراكب كثيرة ، وحمل امرأته فاخنة بنت قرظلة ، وحمل عبادة بن الصامت امرأته ألم حرام بنت ملحان الانصارية ، وذلك في سنة ٢٨ هـ بعد انحسار الشتاء (١) فجاه ركوب ملوك العرب لشج البحر ، وغزو أمية ابنة ملحان معهم مصداقا لحديث النبي ﷺ من قبل ذلك بعشرات السنين ، واستولت القوة البحرية الاسلامية على جزيرة قبرص بعد قتال شديد ، ثم صالحوهم على الشروط التالية (٢)

١ - ان يدفعوا للمسلمين (٧٢٠٠) دينار كل عام .

٢ - ان لا يمنعهم المسلمون من أداء الصلح الى الروم .

٣ - وان لا يقاتل المسلمون عنهم من ارادهم من وراثهم .

٤ - عليهم ان يؤذوا المسلمين بسير عدوهم من الروم .

وهكذا أصبحت جزيرة قبرص مستودعا حريبيا بل قاعدة مهمة في البحر الابيض للمسلمين ، ومركز اتصال بينهم وبين أساطيلهم الماخزة في هذا البحر ، تلجأ اليها عند الحاجة ، وتمون منها ، وتطلع على اخبار العدو من اهلها ، غير أن القبرصيين نكروا عهدهم ، ولم يعبأوا بما اشترطه عليهم المسلمون ، وأعانوا الروم في سنة ٣٢ هـ على الغزاة في البحر بمراكب اعطوهم اياها ، فغزاهم معاوية سنة ٣٣ هـ في (٥٠٠) مراكب وفتح قبرص عنوة ، وسيطر على البحر .

ومن ذلك الحين اخذت الحملات البحرية تترى على تلك البلاد ، ولما ولي معاوية الخلافة عني بإنشاء السفن الحربية ، وفي عهده غزا عقبة بن عامر جزيرة ردوس (وفي سنة ٥٢ هـ) اهتم المسلمون في مصر ببناء السفن ، فانشأوا لاول

١٠ فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥٨ . ٦٥ ، فتوح البلدان ١٥٨ .

مرة داراً لبنائها في جزيرة الروضة (١)
ثم افتتح الامويون في خلافة معاوية والوليد بن عبد الملك صفيلية (٢) ورودوس
وافريطش (٣) وساردنية ، وجزائر البليار (٤) وأرواد وغيرها من الجزر
الكبيرة في البحر الأبيض المتوسط .

وقال أبو الحسن : أول من أجرى في البحر السفن المقيمة ، السمرة غير
الخرزة ، والمدهونة وغير ذوات الجأحي (٥) الحجاج (٦) .

أسس موسى بن نصير في تونس داراً لصناعة السفن وأجرى البحر إليها
مسيرة اثني عشر ميلاً ، فاقمحه إياها ، فصار ملجأ للمراكب اذابت الأنواء
والأرياح في فصل الشتاء . وكانت هذه المراكب خفراً للسواحل الأفريقية (٧)
وعلى كل حال فإن الحملات الأموية على القسطنطينية ، وحصارها مدداً طويلاً ،
وضخامة تلك الأساطيل المديرة ، وكثرة المعدات فيها ، لمي من أعظم الحملات
البحرية التي عرفها التاريخ آنذاك .

وانت العرب وان كانوا مدبرين في الأصل للبيزنطيين في هذه الناحية من
الفنون الحربية ، إلا أنهم فطروا على الشجاعة وحب المغامرة ، فعم وان تعلموا
على البيزنطيين فترة من الزمن ، ولكنهم قد أصبحوا فيما بعد أساندة أوربا في
هذه الفنون ، يدلنا على ذلك أن بعض الاصطلاحات البحرية المستعملة في أوربا
لا يزال تحتفظ ببريتها إلى اليوم (٨) .

«١» خطط المقرئ ج ٢ ص ١٩٠-١٩١ . «٢» صفيلية في سيميليا
«٣» افريطش أي كريد «٤» جزائر البليار هي ميورقة ومنورقة . «٥» الجؤجؤ
صدر السفينة «٦» البيان والتبين ج ٢ ص ٢١٥ . «٧» الدولة الأموية في
الشام ص ٢٠٥ «٨» ج ١ ص ٥٩٠ تاريخ الاسلام السياسي .

ولم يقصر العباسيون في هذا الصدد ، فان الحروب ظلت متواصلة بين العرب والبيزنطيين ، وكما كان فتح القسطنطينية من مشروع الخلافتين ، الراشدية والاموية ، فلقد كان من مشروع العباسيين الاول ، اما في عهد الرشيد ، اذ كان يتوود الجيوش بنفسه كما عرفنا فيما سبق ، فقد كان النصر حليفه في اكثر المواقع ، وكان اكثر اعتماده على صنف « الاسطولييين » أي القوة البحرية ، « حتى انه اسر امير الماء البيزنطي » (١)

ولقد كان الروم يدفعون الجزية الى الخليفة المهدي فلما ولي الرشيد وقع في نفوس الروم أن يتقاعدوا عن حمل الجزية اليه ، فعبا لهم العساكر وشحنها في اسطول يسوقه حميد بن معيوق الحمداني (٢) امير الاساطيل بسواحل الشام (٣) وسير الفرسان من ناحية البر ، ففتحوا وغنموا واخذوا واوغلوا ، حتى انتهوا الى جوار القسطنطينية واطافوا بمعاقل الروم ، واخذوا عليهم مهاربهم ، فاضطرت ملكة الروم ان تحمل الجزية الى بغداد وهي صاغرة (٤) وقد فصلنا البحث حول ذلك فلا فائدة بتكراره ، ومهما بالغنا في وصف الرشيد ، وحذقه في الحرب ، واعتنائه بشؤون الثغور ، وتجهيز الجيوش البرية والاساطيل البحرية ، فلسنا ببالغين شيئا ، وقال بحقه معاوية بن عمرو (٥) : « وقد رأينا من اجتهاد امير المؤمنين هارون في الغزو ، وفناذ بصيرته في الجهاد امرا عظيما ، أقام من الصناعة ما لم يقم قبله ، وقسم الاموال في الثغور والسواحل ، واشجى الروم واجمعهم » (٦) كما

« ١ » تاريخ الامم العربية ص ٣٠٤ « ٢ » ابو الفداء ج ٢ ص ١٩٩ ، والبلاذري

ص ٢٣٧ « ٣ » و ٤٠ ، حضارة الاسلام ص ١٤٦ « ٤ » البلاذري

« ٥ » البلاذري

كان عمر يتمد السواحل ويسكن لولاته في ترميم حصونها ، وترتيب المقاتلة فيها واقامة الحرس على مناظرها ، واتخاذ المواقيد لها (١) ثم ان المتوكل على الله العباسي امر في سنة ٢٤٧ بترتيب المراكب في جميع السواحل ، وان تشحن بالمقاتلة (٢) فامر عامله في مصر عبدة ابن اسحق فانشأ الشواني للاستلول ، وهي مراكب كبيرة فيها الابراج والقلاع للدفاع ، وجعل للبحر غزاة مثل غزاة البر ، وجعل ارزاقهم مثل ارزاقهم (٣) ثم رأى العباسيون ان المصلحة في حفظ الثغور الساحلية تقضى ببنائة الحصون ، فشيدوها على ساحل انطاكية وغيرها ، كما شيدوا في شمالي مصر ، وان مدينة « رشيد » لمن اشهر الثغور المصرية في عهد العباسيين ، وقد بناها العرب سنة ٢٥٦ ، وفيها حصلت موقعة حربية كبرى في سنة ٣٠٦ هـ بن اسطول المقتدر بالله العباسي ، واسطول القائم العلوي وكان النصر الاول ، انما نقصت اهمية « رشيد » كثيراً لما اتصلت الاسكندرية بالنيل بعد فتح الزعة الحمودية ، وهكذا قدروا اهمية بحر لاتزال الدول الاوروبية تتنازع من اجله ، ولم يكن البحر الابيض المتوسط وحده تحت سيطرة العباسيين ، فلقد كانوا مسيطرين على خليج البصرة ، وبحر العرب ، وبحر الهند ايضاً ، فلقد غزا المهدي في سنة ١٦٠ هـ بلاد الهند ، وكانت المراكب العباسية قد توجهت اليها من خليج البصرة ، وسيقت اليها المؤن من هذا الطريق اما دولة بني الاغلب ..

«١» راجع فتوح البلدان للبلاذري لتفهم ذلك ، وراجع اشهر مشاهير الاسلام ج ٢ ص ٢٧٣ لمعرفة المناظر . «٢» البلاذري
في المقدمة

فقد جردوا على جزيرة صقلية اسطولا ولوا قيادته (الاميرال) الفقيه الشيخ
اسد بن الفرات القاضي ، فلما خرج على رأس الجيش متوجهاً الى (سوسة) وهي
فرضة بحرية بالمغرب - ليقلم منها الى صقلية ، خرج معه وجوه اهل العلم والجماعة
من الناس بشيوعونه فلما رأى تلك الجوع بين يديه وخلفه ، وعن يمينه وعن شماله ،
وقد صهلت الخيول وضربت الطبول ، ونشرت البنود قال : « لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ، ثم قال يا معشر المسلمين ما ولي لي اب ولا جد ولا يه قط ،
ولا رأى احد من يلقى مثل هذا قط ، وما رأيت ما ترون إلا بالاقدام فاجهدوا
انفسكم واتعبوا ابدانكم في طلب العلم ، وتدوينه وكثروا عليه ، واصبروا على شدته
فانكم تنالون به الدنيا والآخرة » وانطلق هذا البحار الباسل الفقيه ومعه جنوده
الذين كانوا كما وصف ابن حديس بعد ذلك في قوله :—

ومدرسة ابناءؤها فقهاؤها فمن عالم منهم ومن متعلم
ضراغم في الجيش اليهم وانما فوارسهم في الحرب من كل ضعيف
حتى فتحوا صقلية ونزلوها ، فليت مشيختنا عافاهم الله يفهمون الحياة اليوم
كذلك (١)

.. إن كل ما ذكرناه ، كان في عهد العباسيين عندما بلغوا ذروة مجدهم
عندما كان الخلفاء حريصين جد الحرص على مصالح البلاد ، ولكن انغمسوا من بعد
في حمأة الملاهي ، وسقط العرب من الديوان ، فافترقت كلمة الاسلام من جراء ذلك ،
فاسئلت الديلم ثم الاتراك ، وصارت لهم دولة عظيمة ، وانقسمت ممالك الارض

١٥ من مقال نشر في المصنف ج ٢ مجلد ٩٢ سنة ١٩٢٣ عن المدنية
الغربية في صقلية لأمين الخولي .

عدة أقسام وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالأسف ويمسكهم بالقهر (١) فلم يبق للعراق جيش ولا أسطول ، ولا يزال العراق الى هذه الايام لا أسطول له ، مع ان شط العرب الذي ينتهي بالبحر ، لمن اكبر واخطر خطوط المواصلات المهمة وانه ليربط المملكة العراقية بالدول الخارجية ، وكما يسهل على الحلفاء نقل قواتهم لنجدة العراق ، كذلك يسهل للاعداء الاستيلاء عليه ، ان لم يكن هناك اساطيل تمخر في عبابه ، وتحتفظ مداخله ، وتحمي سواحل ، وسوى الاسطول فليس في مصب الشط في الخليج حصون محكمة ومعقل مشحونة بالمقاتلة والمدفعية ذات المدى الطويل . وكذلك فان طوال الضفة اليمنى من الشط مبسوطة لا قلاع ، ولا معقل ، ولا حصون فيها ، فأين رست البواخر الغربية استطاعت ان تجري انزال قواتها ، ثم هناك جزر عراقية ندعوها بـ « الشلهات » وهي كبيرة وواسعة وقد اعترضت في وسط المياه وحكمت على الساحلين ، وهي غير محكمة ، ومهمة بأيدي زراع الخيل ، مع ان موقعها اهمية تعبوية خطيرة ، وفضلاء عن كل هذا ، فاننا نرى الساحل المقابل ، قد اعدت فيه المراقي وبنت فيه الثغور الساحلية ، والاسطول الفارسي رآح وغاد هناك ، كل هذه القضايا مما تحفز فينا الهمم وتقوي فينا الرغبة لانشاء اسطول عظيم ، يرجع السيادة البحرية للعراق ، ويصون ممالكه من الاعتمادات ، كما كانت السيادة بأيدي العباسيين والامويين من قبلهم ، وأراني الآن قد خرجت عن الصدد ، فلا بد من الرجوع اليه ، ولا بد من ذكر .

اسلحة المراكب البحرية

فلقد كان للعباسيين .

السفن ذات القذائف النارية

وهي سفن نارية تقوم في البحر مقام المركبات النارية والمنجنيق في البر ، وقد استعملها القدماء أيضاً وهي عند العباسيين نوعان : -

النوع الاول ان تكون السفينة مغطاة بما يقي الذين فيها من وقع النبال ، وغيرها عند الصدام ، ويكون فيها قرن لمطح سفن العدو ، ونيران لاحراقها بها .

النوع الثاني عبارة عن منجنيق بحري يتكون من آلة طويلة ترمي بها براميل من النار اليونانية ، المشتعلة او غيرها حتى انهم كانوا يرمون بنار تشتعل فوق الماء ، وتتخذ هذه النار من شحم كلاب البحر والزفت والكبريت والراتنج وغيرها ، على مقادير محدودة ذكرها ابن (منكلي) في كتابه ، فتشتعل اذا اشتعلت وتظل يومها وليلتها لا تنطفئ . وفي اعلا عمود السفينة غرفة (أي قمارة) يجلس فيها حارس يراقب الاعداء ، دون ان يرى ، ويدير حركات السفينة وفي مؤخرة السفينة موضع يجلس فيه رجل أو أكثر لادارة المنجنيق واسلحة اخرى كالخراب والرماح وغيرها تستعمل عند الافتضاء (١) .

وكانت مراكبهم البحرية تختلف شكلا وجرمًا وقوة، وقد عرفنا الشونة منها ويليها :

الحراقة

وهي السفن التي يحملون فيها المغايق يرمى بها النفط المشتعل ، على الاعداء ، ويسمون المنجنيق فيها (عرادة) . وقد امر الامين العباسي فعملت له خمس حراقات في دجلة على خلفه الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، وافق في عملها مالا عظيمًا ..

الطراقة

وهي سفينة صغيرة سريعة الجري .

هذا ولورجعت الى الباب العاشر من آثار الاول ، لرأيت انواعا اخرى من السفن ، قد اعدت لاغراض اخرى ، مثل البطس ، والمسطحات وغيرها . اما :-

معدات السفن البحرية

فهي (١) : الزرد ، والخوذ ، والدرق ، والترس ، والرماح ، والقسي منها : الكلايب (٢) ، والباسليقات (٣) ، والعرادات ، واللعجام (٤)

«١» ملخصة عن كتاب آثار الاول ص ١٩٥-١٩٨ «٢» الكلايب : وتكون كباراً من الحديد ، فيها سلاسل معقودة ، وفائدتها عند العرب في حروبهم البحرية هي ان يطرحوها الى مركب العدو ، فتوقفه ثم تطرح الألواح بينهما كالجسر ويدخلون اليه ويقاتلون «٣» الباسليقات : سلاسل في رؤسها رمانة حديد «٤» وهي حديدة طويلة محددة الرأس جداً ، واسفلها مجوف كسنان الرمح تدخل من اسفلها في خشبة كالقناة بارزة في مقدم المركب يقال له (الاسطام) يطعنون بها جانب مركب العدو بقوة ويخرقونه

وكانوا يرمون : بقوارير النفط .

ويرمون جرار النورة المدفوقة غير المطفأة فانها تعمى العدو بغبارها ، وتلهب عليه اذا تبددت وكانوا يرمون قدور الصابون اللين ، فانه يزلق اقدام العدو وقد ذكرها امين الخولي في بحثه الملخص عن رسالته « في تاريخ الجندية الاسلامية من الصدر الاول الى القرن العاشر الهجري » ووصفها بانها : -

قنابل الانزلاق : - وهي قدور من الصابون اللين الذي يزلق اقدام ، أو قدور ملاء بالسدر والخطمة الرقيقين المحلوطين بدق الصابون يحتم رأسها وتذف على السفن البحرية فتتكسر فيها ويرى بعدها بقنابل فطبعة وهي :

قنابل المسكروبات : -

وتجعل منه قدر من الفخار اكبر ما تكون ، وتوضع فيها حبات عتاق وعقارب ويحتم رأسها وترسل على المقاتلين بعد قنابل الانزلاق السابقة ، وكانت تعرف عندهم بقدر المركب فتتكسر هذه القدور وينتشر ما فيها ، فكل من اسعته قتلتها ، ويزيد هول فعلها كونها في السفن لضيق المكان وحيولة الماء . كل تلك المعدات كانوا يتخذونها للهجوم ، أما المعدات التي كانوا يتخذونها للدفاع فمنها : انهم كانوا يعلقون حول المراكب الجلود والبود المبلولة بالخل أو الماء لدفع النفط (١) وقد يحتاطون لذلك بالطين المحلوط بالبورق والنظرون أو الخطمي

المعجون بالخل ، فان هذه المواد تقاوم فعل النفط (١) .

ثم انهم كي يتخذوا لانفسهم العدة لانتقاء النار، اصطنعوا الثياب التي لا تحترق بالنار ، وهي ثياب تظلي من الداخل والخارج بمواد متخذة من النشادر والشب المصري والشب البماني ومواد اخرى فاذا التهمت النار في الثوب لا تزال مشتعلة فيه وانت تنضح على الثوب النفط ساعة بعد ساعة يومك اجمع ولا يصل الى داخل الثوب شيء ، ويلبسها الرجال انتقاء النار في القتال، وقد استعملوا مثل هذه المواد في وقاية السفن (وقد ذكرنا كيف كانوا يحتاطون لذلك) ويطلقون السفن بمادة تمنع احراقها وذكر ذلك ابن الاثير في وصف نوع من السفن يعرف (بالشداوات) والواحدة (شداة) فكانت تسقف بالاخشاب ويعمل عليها الجبس وتظلي بالادوية التي تمنع النار من احراقها ، ويرتب النفاطون داخلها رمون بالنفط ، وقارة بالارصاص المذاب ويحترسون من هجوم العدو عليهم في الليل فلا يتخذون في المراكب ناراً ، ولا يشعلون مصباحاً ، ولا يتركون فيه ديكاً ، واذا ارادوا المبالغة في الاختفاء اسدوا قلوباً زرقاً كي لا تظهر من بعد .

ويجدر بي ان اقطع البحث عن قيادة الاساطيل ، ومعداتنا الحربية ، وقواعدها ، وحصون السواحل ، وانواع المراكب ، والذي اراد التوسع فليراجع :

١ - آثار الاول ص ١٩٥ - ١٩٨ في حروب البحر وصفاتها .

٢ - مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٦ - ٣٠٢ في قيادة الاساطيل .

٣- مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ص ٧١-٧٧ المسلمون سادة البحر

فتح اقريطش ، فتح صقلية ، اعظم بحار مسلم .

٤- تاريخ التمدن الاسلامي ص ١٩٥-٢٠١ الاساطيل في الاسلام ؛

فتوح المسلمين الحربية ، دار الصناعة ، اشكال السفن ومعداتها .

٥ فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥٧ ١٦٢ أمر قبرص ص ٢٣٧

فتح جزائر في البحر .

٦- حقائق الاخبار في دول البحار ، ويقع في ثلاثة اجزاء ضخمة

رايت منه مجلدين ، الف ، ناظر المدرسة الحربية المصرية اسماعيل

سرهنك .

وفي مكتبة زبدات العمومية بمصر كتاب لم اطلع عليه ، هو كتاب :

« سفن الاسطول الاسلامي » ولعله قد جمع فاعى ، اما نخير القواد والرؤساء

العارفين بمسالك البحر ومراسيه ، وعلامات البحار وتغيرات الانواء ، والخرركات

البحرية من المد والجزر وغيره ، فقد صنف الكتاب في ذلك واستقصى الشرح

فيها فلو رجعت اليها لقد رتم « الاسطولين » عند العباسيين حق قدرهم ، فلننتقل

الآن الى :-

اسلحة الجيش العباسي

لقد استعمل العرب في جاهليتهم ، وصدر اسلامهم ضروباً مختلفة من

اسلحة الهجوم واسلحة الدفاع ، سواء منها الاسلحة الخفيفة التي ينقلها رجل

واحد ويستخدمها بنفسه ، أو الاسلحة الثقيلة التي تستعمل الآلات لنقلها ،

بتكاتف عدة رجال معاً ، ومن تلك الاسلحة : الاسلحة اليدوية ، التي تضرب العدو من مسافة قريبة ؛ ومنها الاسلحة الرشقية التي تضرب العدو من مسافة بعيدة .. ولقد خالط العرب جيوش الروم والفرس ، ورأوا ما عندهم من ادوات الحرب وعدتها ، فحسنوا اسلحتهم ، ثم انهم لما استولوا على امصارهم ، وغنموا اسلحتهم ، صاروا يستعملونها حتى برعوا فيها ، فكانت لديهم السيف والرمح والمزراق ، والقوس ، والترس ، والدرع ، وانواع الاوهاق (١) والمقاليع والجلاهقات (٢) والمجانيق ، والدبابات ، والسلام ، والرييلة ، والعرادة (٣) ولما استخلف العباسيون ، وصلتهم كل هذه الاسلحة ، فاخذ عاملهم ورجلهم العسكريون يزدون على تلك الاسلحة ، ويتفنون في صنعها ، ويمجرون التعديل والتصليح على الاختراعات القديمة ؛ حتى كان جيشهم بصنوفه المختلفة ، التي تتعاون مع بعضها ، وتسهل على مشاتهم التقدم ، ثم باسلحته المتنوعة الكثيرة ، مثال الجيوش الزافية في تلك العصور حتى انتقلت صناعة الاسلحة الى الامم الغربية ، فاخذوها عن العرب وازادوا التحسينات اليها ، ولقد ذكر المؤرخ التركي في تاريخه العام ما ترجمه قال : (٤) صناعة الاسلحة في الاسلام « .. ولما فتح العرب اسبانيا في بداية القرن الثامن الميلادي (أي اواسط القرن الاول

١٠. الاوهاق جمع الوهق ، وهو الحبل يرمى في النشوة فتؤخذ به الدابة والانسان : القاموس «٢» الجلاهقات جمع جلاهاق ، وهو البندق الذي يرمى به الطير ، راجع السيوطي ص ١١١ يتبين لك استعماله في عهد عثمان بن عفان ٣٠. العرادة في القاموس انها اصغر من المنجنيق «٤» تاريخ احمد رفيق ج ٥ ص ٤٣٢

المهجري) ادخلوا اليها صنائع كثيرة، كانت من جعلتها صنعة الاسلحة التي برعوا فيها، وكان اول معمل انشئ لعمل السلاح المعامل التي اقامها العرب في الشام والقاهرة وفيها كانت تطبع السيوف، وتصنع الاتراس والدروع والمغافر .. ولما كانت بطون الكتب مشحونة باخبار هذه الاسلحة، وان شرحها ليطول، فلا ارى فائدة في التبسط بذكرها، وانما اكتفي بذكر بعضها بصورة موجزة.

فمن تلك الاسلحة

السيف: وهو اشرف الاسلحة عند العرب، وحسبك ان تعرف انهم وضعوا له ولاجزائه من الاسماء ما يتجاوز الالف اسم، لامتدادها ولا متوارداً (١) والسيوف انواع عديدة عندهم ومن ذلك :-
 للصمصامة: وهو السيف الذي لا ينثني .
 الهندي أو الهندواني: الشديد المنسوب الى الهند .
 المشرفي: المنسوب الى مشارف الشام .
 التيماني: المنسوب الى اليمن .
 البيض الرقاق: تجمع كل انواع السيوف .
 واشتهرت بعض سيوف رجالات العرب حتى صار يضرب بها المثل ومنها :-
 ذو الفقار: سيف الامام علي بن ابي طالب .

(١) «أورد ذلك صاحب القاموس .

الصمصامة : سيف عمرو بن معد يكرب .

اللول : سيف عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد .

وكانت السيوف عندهم اصناف ، اجودها العتيق ، واصنافها
البيمانية التي صنعت في الجاهلية ومن علاماتها ثقبان في سنبل
السيلان .. وقد توضع عليها تماثيل ، او يكتب عليها ، أو يصور
عليها صورة . ثم القلعية ، ثم الهندية ، ثم السليمانية ، ثم الشامية
والخراسانية . وفي المتحف البريطاني امثلة من السيوف الهندية
والشامية وغيرها . وفي متحف اسبانيا سيف آخر خليفة في الاندلس
(ابو عبدالله الصغير) وطول هذا السيف ٣١ بوصة ، مزينة قبضته
باللصق البياض والزرقاء ، وغشيت بالذهب ، مثلما ركبت في
وسطها اسنان الفيل بصنعة دقيقة ومهارة فائقة وحسبك ان
تعرف ان « الصمصامة » (١) احد سيوفهم اشتراه الخليفة المهدي
بنيف وعائين القاء ، ورد حليته عليه ، ثم حازه موسى الهادي ، ثم
ان الواثق بالله العباسي دعا له بصيقل وامره ان يسقيه ، فلما فعل
ذلك تغير (٢) وهناك ذو الفقار وهو سيف علي بن ابي طالب وله
شان كبير في تاريخ الاسلام وكان القائد العربي يزيد بن يزيد
الشيباني يحارب به في عهد الرشيد .

«١» راجع قصته في فتوح البلدان ص ١٢٦ والعقد الفريد «٢» ، وغلط

جرجي زيدان عند تعرضه وذكره هذا السيف

الريح : عود طويل في رأسه حربة يطعن بها، وبختلف طول الريح بين (٥-٧) أذرع، وربما زاد، وهو مخصوص غالباً بالفرسان والريح قديم العهد وكثير الانواع، وكانت استعماله بين العرب قديماً جداً، وهم يعتنون به حتى الآن، وكانت كتائب الجيش العراقي تتسلح به الى بضع سنوات خلت، ويسمون الكتائب التي تقاتل به « الرماحة » كما اطلقوا « السيف » على الكتائب التي تقاتل بالسيف وكان العرب يصنعون الريح من قناة في رأسها حربة حادة، والقناة في الغالب من خشب البردي القوي، ويحسنون استعماله مشاة وفرساناً واحب الرماح اليهم الرماح الطوال ويسمونهم السمر العوالي، وكانت العرب يتفننون في العباب الريح وله عندهم ابواب كثيرة للنزال، مربوطة بتوانين اصولية لا يجوز تعديها، ودرماح فرسانهم طويلة، أما المشاة فيستعملون المزاريق أي الرماح القصيرة، ويحسنون استعمالها ايضاً رمياً وطعنًا، ولهم فيها اشعار لطيفة، وممان بديعة، في كل جيل من اجيالهم (١) وأسنة الرماح عندهم انواع مختلفة فمنها :

المشعب، والعريض، والرفيع، والمستوي، والمحوح، وغير ذلك .

ثم كانت للعرب من انواع الرماح : -
المطر : الريح القصير

اليزني : ربما منسوب الى سيف ابن ذي يزن او الى نوع من

الشجر كانوا يعملون منه الرماح

السمهري : الرمح الصلب

العنزة : قدر نصف الرمح .

المزراق : اخف من العنزة .

المخزوق : عود في طرفه مسمار .

ويتألف الرمح من : —

السنان : وهو حده .

العامل : من عاليه الى اسفله .

الزج . الحديدية التي في اسفل الرمح .

ويطلق على نصف الرمح التي في اسفل الرمح سافلة وعلى اعلاه صدره .

وكانوا ينظمون الابيات الشعرية فيكتبونها على اسنة الرمح (١)

ولما كانت سرايا الحرس الملكي لا تزال تسلح بالرماح كما

تسلح الاوائل من العرب ؛ فلا مناص من ذكر وصايا العرب

في طرائق استخدام الرمح في الحرب وحركاته وتصرفاته، قالوا : (٢)

« . والعب به في الميادين ، وبين يدي الملوك غير التحرك به في

الحروب ، منها المواجهة وهي ان تحمل على مبارزك وقد اخذت

الرمح تحت ابطك وجعلته بين اذني فرسك وتقصده مستويا حتى

تقرب منه فان رأيتك قد طرح رمحه بمنة فاطرح رمحك يسرة وان

طرحه بسرة فاطرح رمحك يمنة ، واجهد ان تبدأ بالخلل عليه ، وانت مسدد ، ونحول الرمح يمنة ويسرة كي تدهشه فلا يدري من أين نجيشه ، فاذا دنوت منه دخلت عليه من الخلل الذي لا يكون رمح فيه ، واذا اردت ان تبتدى بالخروج فخذ اسفل الرمح بيدك اليمنى ورأسه الى الهواء ، وهو على عاتقك الايمن وتحمل على قوتك ، وانت كذلك ، وان شئت قربت منه حتى لا يدري من ابي وجه يلقاك ، ثم تنظر من اين يطرح رمحك فتطرح انت من الجانب الخالي ، واياك ان تطرح رمحك ، وتسدده من جانبه ، إلا ان علمت ان رمحك اطول ، ويسمى المواصله ، وهي خطأ في العمل ، فاحذرها .

« ومنها المواجهة الخراسانية ، وهي ان تحمل فاذا دنوت من مبارزك فاجعل اسفل الرمح تحت الايمن ، واشتر يمينك وارفعها حتى يصيبها الرمح قدام يدك اليسرى ، فتوجهه انك تنقل ، ثم ترد يدك بسرعة ، الى اسفل الرمح فانه ينقل الى ميامنه ، فتلقاه بسرة ، وانما يهين لك هذا المسكر بخذقك بعنان فرسك . »

« وان خرجت الى فارسين وتفرقا فاحمل على الادنى ، واذا كانا قرييين فأر أحدهما ، انك تريد رفيقه واحمل عليه ، ولا تتم حملتك ثم اعسل على الآخر ، واصدقه الحيلة ، وان حذقا ورأيتهما يقتركان عليك فتطرف ولا تتوسط ، واحمل على الادنى اليك ، فان تساويا فادهش الاضعف واحمل على الاقوى ، فان تساوا وكانوا جماعة فامتد امامهم حتى يتبعوك . ثم كر على الادنى منك فاطعنه وان دخلت مضيقاً ، فتلقاك فارس برمح فاياك والمصادمة بل انزل الى الارض واطعنه ، وان كان خلفك فارس وقدامك فارس في مضيق ، فانزل وتحمل وأقصد اقربهما اليك وترس من الآخر بدايتك . »

ثم ان الرمح عندهم طبقات . فتنها :
 الخطل : - وهو الذى يضطرب فى يد صاحبه لافراط طوله ، ولا يحمله
 إلا القوي الساعد الشديد العضل .
 ثم ، النبزك - وهو اقصر الزماح ، والرابع ، والخموس ، والتمام .
 المزارق : - هو الرمح القصير ، فى رأسه سنان فولاذ حاد ، وطوله نحو ثلاث
 اذرع ، يرمى به العدو عن بعد (١٠ - ١٥) خطوة وهو قديم
 العهد ، وكثير الانواع ، وكان فى عهد الدولة العباسية خاصاً
 بالمشاة ... أما : -

القوس - فقد تكلمنا عنها إذ تكلمنا عن « النشابة » وفاتني ان أنبه الى ان
 توجد نسخة من كتاب خطي اسمه « فضل القوس العربية » ألفه
 مصطفى الشوربجي الفرحاني سنة ١١٤٠ هـ .
 فالقوس (١) عند العرب هي الحنية ، وتصنع من العود اما كاملاً واما مفلوقاً
 فتسمى : -

الشرنج : وهي احسن الافواس التى كانت تصنع من « النبع » او الشوخط
 او الخشب الرن اقوى او الحديد .
 واقسام القوس : - البدن ، الوتر . وكان يصنع من خيوط مفتولة ، او
 شراك جلد .

العمس - مقبض الرامي

« ١ » وقد جاء فى لطائف اللغة عن النبيل والسهم واجزاء القوس ونصال
 السهم والقوس شيء كثير فليراجع « ص ٧٦-٧٧-٧٨-٧٩ »

الفرقة - موضع السهم من القوس

والسهم من متمات القوس ، وكان يصنع من النبع والشوخط وهو

مستدير او مصفح اذا كان عريضاً ، وله انواع عديدة واشهرها :

المريخ - سهم طويل وله اربع آذان .

الصيخ - المصلب بالنار

السير - سهم فيه خطوط

الحظوة - سهم طوله ذراع

الرهب - السهم العظيم

المسلة - كالشوكة ولها انواع وهيئات عديدة .

أقسام السهم :

النصل - الحديد الجارحة في رأس السهم

العود - ما بين النصل والعقب

العقب - القسم الذي يوضع فيه الريش

العوف - موضع الوتر من السهم

وعاء السهم - هو الجعبة ، والنوقضة ، والجفير ، ويصنع من الجلد وليس

فيه خشب .

أما الترس - فكان الجنود العباسيون يستعملونه لوقاية انفسهم من ضربات العدو

سواء كانت الضربات بالسيوف والرماح او السهام او الحجارة او غيرها .

ولذلك كانت الاتراس عند العرب على انواع ، منها :

١ - الترس المسطح : يتقى به الرمح .

٢- الترس المستطيل : يتقى به الشباب ، لان رأسه يستر راس الفارس ، وطوله يقيه لانه ينظر باحدى عينيه من التخصير ولا يكشف رأسه .

٣ - الترس المقيب : المنحني الاطراف الى خارج ، وهذا النوع لا يتقى به الرمح لانه متى طعن ثبت الرمح فيه ، وصرع صاحبه ويتقى به السيف وغيره .

الى آخر ما ابتكروه من الاتراس وتمننوا في اصطناءه حتى انهم كانوا ينقشون عليها الآيات والحكم والاشعار ومثلها تميزت السيوف بالبلاد التي طبعت فيها ، فكذلك الاتراس ، ولذلك يتردد في الحروب العباسية ذكر الترس الدمشقي ، والترس العراقي ، والترس الغرناطي وغيرها .

وكان العرب قديماً يستعملون الدرق والحجف وهي تروس من جلود بلا خشب ولا عقب ولم تكن الاتراس تلبس كالدرع كما وود ذلك في المجلة العسكرية (ص ٣٠٧ سنة ١٩٢٤) اما .

الدرع : — فهي كثيرة عند العرب وكان رجالهم يلبسون الدروع ويقال لهم (الدارعون) قال السموهلي في قصيدته المشهورة :

واسيافتنا في كل شرق ومغرب لها من قراع الدارعين فلول

وتد بلغت الغاية من الدقة والاتقان والاحكام في الصنع على عهد العباسيين .

فمنها الدروع الحديدية

ومنها القولاذية .

ومنها الكتانية التي يسمونها « الدلاص »
وتؤلف الدرع من :

الجوشن - وهو الجزء الذي بقي الصدر ، والبيضة والخوذة (ويقال لمقدمها القونس) والمغفر وهي الاجزاء التي بقي الرأس .
ثم اجزاء اخرى بقي الساعدين والساقين والكفين ولكل منها اسم مخصوص
وكان المغاربة يلبسون المغافر البسيطة كالتي يلبسها الغربيون في تلك العصور (احمد رفيق ج ٥ ص ٤٣٣)

وانك لتجد لحد الآن أمثلة متعددة من هذه الاسلحة في متاحف اوربا ،
وفي متحف مدريد مغفر امير غرناطة ، وخوذته ، ودرعه وانواعا كثيرة من
الاراس له (احمد رفيق ج ٥ ص ٤٣٣)

وترى في كتاب نهاية الارب (١) وهو موسوعة عظيمة لعلوم العرب وفنونهم
ما قيل في السيف واوصافه واما اجزائه ، والرمح ونعوته ، والقوس العربية
واسماء القوس ، ونعوتها ، والوتر واسمائه ، واصوات الاقواس وتركيبها ، ومبدأ
عملها ، والسهم ، والنصل ، واوعية السهام ، والجنة ، والترس ، واسماؤها وما قيل
في الدروع ثم انك ترى في كتاب (الافصاح في فقه اللغة) (٢) باباً في القتال وانواع
السلح ، وكذلك في غيرهما من المعاجم والكتب اللغوية . وفي ص ٧٩ من
لغات اللغة فصل في تفصيل اسماء الدروع عن الاصمعي وابي عبيدة وابي زيد .
وان شئت الوقوف على تطورها فاطلبها في المادتين « سلاح » و « شكة »
من دائرة المعارف للبستاني .

المنجنيق

قيل انه اعظم الآلات الحربية ، نكاية وأشدّها ، وسيما في الحصار ، وقد استعمله القدماء كثيراً في حروبهم ، ويتألف بصورة عامة من عمود طويل قروي موضوع على عربة ذات عجلتين ، في رأسها حلقة او بكرة . يمر بها جبل من طویل ، في طرفه الاعلى شبكة في هيئة كيس . توضع فيه الحجارة أو براميل فيها مواد نارية مشتعلة ثم يحرك ، ويرفع العمود على جرارته بواسطة دواليب وحبال . فيندفع من الشبكة ماوضع فيها من القذائف ويسقط على الاسوار المرتفعة بين جيوش الاعداء ، فيقتل ويحرق كل مالفیه .

وبعد ان استعملوه مدة طويلة في هيئته الاصلية وجدوا ان الذين يذهبون به لاضراره يظنون عرضة لثيران الاعداء وسهامهم ، لانهم لا يأتون بفائدة مالم يقتربوا من الاسوار ، على امد قريب لتصل قذائف منجنيقاتهم بين جيوش الاعداء . فرأوا ان يرفقوا المنجنقات بعربات ذات ابراج يقف فيها الرجال ، الذين يرافقونها فتقيم متاريسها الخشبية ، المغطاة بالجلود القوية ، من سهام العدو ، فيتيسر لهم الدنو من الاسوار ، والصعود عليها ، من الابراج العالية ، وهكذا فتقل الاخطار عنهم (١)

والمنجنيق على اصناف كثيرة ، منه ماهو بلوالب ، ومنه ماهو بدائرة وفيها ثقالات من الرصاص اذا دار فيها الرجال رفعت السهم فاذا تركت رمت ، فلم تحتج الى رجال كثيرة . وقد يتخذ بقسي كبار موتورة ، وتجعل قبضاتها الى

الارض مشودة في قواعد المنجنيق وفي اوتارها جبال مشدودة الى حلقة المنجنيق وتحرك بزياد قائم حتى تنفتح اوتارها ويحرك الحجر في الكفة ، ثم يرمى ، فيخرج اشد ما يكون ... واذا اراد الرامي بقصور النفط او النار ، اتخذله كفة من الزرد وحبالا بسلاسل (١)

وقال ابن هشام (ج ٣ ص ٣٠٣) ان اول من رمى في الاسلام بالمنجنيق رسول الله ﷺ رمى به اهل الطائف . والمنجنيق اداة ترمى بها الحجارة على الاعداء ومن المناجيق الكبير والصغير .

غير ان الامويين عندما استتب لهم الملك . تفننوا في عمل المناجيق . واستخدموها في حروبهم ، فادت لهم اعمالا جليلة في الاحراق والتدمير وكسر الابواب . وهدم القلاع والحصون واغراق المراكب ، ووضعوا لها الاسماء على بعض اوصافها على نحو ما يسمون السفن والمدافع الكبرى في هذه الايام . ولقد مر عليكم خبر (العروس) وهو ذلك المنجنيق العظيم الذي كان يمد فيه خمسمائة جندي . الذي ارسله الحجاج الى ابن عمه محمد . « وكانت كتب الحجاج ترد على محمد وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبله . واستطلاع رأيه فيما يعمل به في كل ثلاثة ايام . . فورد على محمد من الحجاج كتاب « ان انصب العروس واقصر منها قائمة ولتكن مما يلي المشرق . ثم ادع صاحبها فمره ان يقصد برميته الدقل الذي وضفت لي » فرمى الدقل فكسره (٢)

وربما كان عند العرب متجنيق اعظم من هذا ولم يصلنا خبره ؛ وبنتيجة المطالعات الكثيرة رأيت انه لم تستعمل الامم منجنيقا اعظم من المنجنيق . الذي

جلبه الروم سنة ٤٦٣ هـ الى خلاط وملاز كرد (١) فلقد كان لهذا المنجنيق ثمانية اسهم ويمد فيه (١٢٠٠) رجل ؛ وبحملة (١٠٠) عجلة برمي حجراً وزنه بالرطل الكبير الخلاطي قنطار ، وان مناجيق الحجاج تأتي بالدرجة الثانية .

ولولم يكن للمعتصم منجنقات عظيمة كثيرة لما تسنى له في عمورية هدم الاسوار ، واحراق منافذ المدينة بما رماه من النفط والنار .

وكذلك المأمون والرشد في حصار بغداد وفتح هرقة . والامثلة على ذلك لانكاد تدخل تحت الحصر . . ورأيت في نهاية الارب (٢) ان المسلمين كانوا اذا رموا العدو بالمنجنيق قالوا : « جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد » ثم قال :

وان رموا العدو بالنار فليقولوا معها : ورأى المجرمن النار فظنوا انهم موافقوها . ولم يجردوا عنها مصرفا . . وليقولوا : « ذوقوا من سقر » وليقولوا « فسحقاً لاصحاب السعير ، وذوقوا عذاب الحريق » وليقولوا « انها لظى نزاعة للشوى . تدعو من ادبر وتولى وجمع فأوعى » وليقولوا « ويقذفون من كل جانب دحوراً ، ولهم عذاب واصب ، الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ... »

وجاء في تاريخ الاسلام السياسي (ج ١ ص ٥٨٧)

« ان الجند كانوا يكبرون ويتلون الآيات القرآنية اثناء سيرهم للغزو والجهاد واثناء المعارك الحربية ، كما كانوا يدقون الطبول ويقرعون الصنوج لبث الحماس في نفوسهم » .

قلت وقد اخذ هذه العبارة عن كتاب « موجز تاريخ العرب » للسيد امير علي ، وفي آخرها مما لم يذكره صاحب تاريخ الاسلام السياسي « ... كما يفعله الاسكتلنديون في هذه الايام » .

ولقد ذكر لنا العالم زين الدين عبد الرحيم بن عمر الدمشقي (١) المنجنيق الذي عمله الشيخ عبد الصمد في دمياط سنة ٦١٧ هـ ... ألخ ص ٣٣
هذا وقد مضى لنا كلام عن :

الدبابة

في تطور المنجنيق ، وفي صنف الدبابين من صنوف الجيش العباسي ، قلنزد ذلك ايضا حا وتقول : -

« انها آلة سائرة تتخذ من الخشب الثخين المتلرز وتغلف باللبود او الجلود المنقعة في الخل لدفع النار ، وتركب على عجل مستديرة وتحرك فتنجر ، وربما جعلت برجا من الخشب ، وذبر فيها هذا التدبير ، وقد يدفعها الرجال فتدفع على البكر » (٢)

فهي اذن عبارة عن قلعة سائرة على العجل ، يهجمون بها على الاسوار لمحاربة المحاصرين من اعلى السور . والجنود في داخلها ، محتمين بسقوفها وجوانبها ، من نبل العدو ، فهي وان لم تكن كاللدبابة الحديثة ؛ ولكنها تؤدي جميع الاعمال التي تقوم بها هذه الدبابة الحديدية ، ويسيرونها في الاراضي الوعرة كما يسيرونها في الاراضي السهلة ؛ وكانوا يقدمون الجنود امامها بالجفان ، يحفظون من يسوق الدبابة ، ويدبر شؤونها ، ويقوم بالرمي من داخلها ، ويرفقون معهم الفعلة ، فاذا اعترضت في طريقها الحنادق ، وكانت قليلة العرض ، فيطرح

عليها الاخشاب كالجسور ، وان كان الخندق عريضاً ، فيطرح فيه حطب حزم ، وزرجون ، وورق وتراب حتى يمتلئ . ثم يطرح عليه التراب ايضاً ليمهده ، يصنعون كل ذلك ، ليسهلوا تقدم الدبابة . وكانوا يستخدمون : —

الدبابة في هدم الاسوار

ولكن كيف أتيج لهم ذلك ؟ فلقد كانوا يسرونها ويحتمون بجدرانها ويجعلون رأسها محددأ ، يصدمون به الاسوار ، حتى تنهدم ، لكن هذه الطريقة ، لم تف بالاغراض الحربية . ولم تكفل السرعة المطلوبة ، عدا أنها أخلت بواجبات الدبابة الأخرى . . ان هذه الحاجة الماسة دعتهم الى اختراع آلة تحريرية خاصة ، يقتصر عملها على نطج البروج وتخريبها . اما هذه الآلة المدمرة فهي : —

الكبش (أورأس الكبش)

وكان في الجيش العباسي مئات من الدبابات والكباش ، وجاء في الفتوحات الاسلامية (١) «الكباش آلة من خشب وحديد يجرونها بنوع من الخيل فتدق الحائط فيهدم» الا أنني اوضح هذا الوصف الموجز ، فأصل الكبش دبابة . لكن رأسه في مقدمه مثل رأس الكبش ويتصل هذا الرأس في داخل الدبابة بعمود غليظ معالق بحبال تجري . على بكر ، معلقة بسقف الدبابة لسهولة جرّها ، ويتعاون الجنود الذين يتحصنون في داخل الدبابة ، وجنود آخرون استتروا بدروع الدبابة . ووقفوا خلفها ليعاون كل هؤلاء على ضرب السور بها حتى يخرقوه ، ودق الباب حتى تكسره فان الجنيد بن عبد الرحمن لما ولي السند أيام هشام بن عبد الملك ، سار بالسفن الى

الهند . ثم غزا الكبيرج (١) من آخر الهند ، وكانوا قد نقضوا ، وذلك سنة ١٠٧ هـ
فأخذ كباشاً وشك بها سور المدينة .. فلما صك السور بالكباش ، ثلعه فدخلها ..
وتم له الفتح ..

واليك ما قاله الوزير عماد الدين في وصف الابراج والدبابات والكباش (٢)
سنة ٥٨٦ ، وهو الزمن الذي قامت فيه الحروب الصليبية ، وتألب الفرنجة على
الاسلام بعددهم وعددهم ، وكيف كان العرب يكافحون بالنار اليونانية هذه الالات
الحرية .

جاء في الصفحة ١٩٥

« وكان الفرنج منذ نزلوا للحصار ، شرعوا في عمل الابراج الكبار ، وركبوا
من الاخشاب الطوال ، والعمد الثقيل ، وبنوها وقد موها ، ونصبوها واحكموها
وسقفوها طباقاً وسمروها بالحديد وجعلوا لها منها اطواقاً ، ووثقوها شداً وشدوها
وثاقاً ، ولبسوها بالسلوخ ، وملئوها بالجروح ، وزحفوا بها الى السور ، وكشفوا
بالرمي منها بعض سقوف الدور وتساعدوا على طم الخنادق ، وتفتيح
الطرائق . »

ومنه ايضاً في الصفحة ١٩٨ يصف وقوع النار في ابراج الفرنج الثلاثة واحتراقها
قال : -

« . وكان سبب حريقها ان ابن العريف (المنجنيقي) . . وزن القدور
وعبرها ، ورمى بواحدة منها الى أحد الابراج في المنجنيق وعبرها ، واعتبرها .
« ١ » الكبيرج : لم نعر على هذه الكلمة في معجم البلدان ولا مراصد
الاطلاع ، الناشران ، ٢٠ في كتابه : الفتح القسي في الفتح القدسي .

ثم لما استوت رمايته ، وصحت في الاصابة درايته رمى بقدر نفط لا نار فيها . وهو يصبها على اعلى البرج ويسقيها ، والفرنج يعجبون من البلل ولا يدرون بما وراءه من الشعل ، ثم قذف بقدر نارية . متشعبة بكل باية . فوقعت في الطبقة الوسطى . ورمى أخرى . فوقعت في السفلى ، فأشتعل البرج من طرفيه الادنى والاعلى . وتذر على من فيه من الفرنج الخلاص وكانوا سبعين . فأحرقوا أجمعين » .

ومنه في الصفحة ٢٣٢ .

« . واستأنف الفرنج عمل دبابة هائلة ، وآلة للغوائل غائلة في رأسها شكل عظيم يقال له الكبش . وله قرنان في طول رحين ، كالعمودين الغليظين ، اقبال الاسوار المعلقة بها نقش . فكم سور اذا نطحته طحنته ، . . وهذه الدبابة بهيئة « الخربشت » الكبير ، وقد سقفوها مع كبشها بأعمدة الحديد ، ولبسوا رأسي الكبش بعد الحديد بالنحاس ، وكدها حذراً عليها من النار سائر لباس البأس . فلم يبق للنار اليها سبيل . وشحنوها برماة الخدق . وكساء الخلق ... وسووا بين يديها الارض ، ومهدوا الطول منها والعرض ، وصحبوها حتى سحبوها » .

ووصف دبابة اخرى في مكان آخر (ص ٢٦٦) فقال :

« و كان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة ، ولها اربع طباق . وهي خشب ورمصاص وحديد ونحاس ، وفربوها الى ان بقيت بينها وبين البلد أذرع خمس . . وكانت هذه الدبابة على العجل » وكانوا يستغرقون في صنعها نيف وتسعة

اشهر من الزمن .

هذا ولا يسعني المقام ان ابحث عن جميع الاسلحة القديمة التي استعملها العرب واستعملها العباسيون ، بعد ان زادوا عليها ما احدثوه بدهائهم وذكايتهم واختلاطهم مع الفرس ، الذين آزرهم في نشوء الدولة ، حتى اقلموها بأسلحتهم واموالهم ورجالهم ، وما اضافوه اليها من التعديل والتصليح ، ان ذلك ليطول إذ كان من تلك الاسلحة الدبوس والنبوت (١) والفأس ، والمطرقة ، والطبرزين والسكين والخنجر ، والطراد (٢) والخطاف (٣) والمنجل (٤) والعنزة (٥) وغيرها شئ كثير . وسوف ترى البعض منها في كلامنا على عرض الجوشن العباسية ، استطراداً في مبحث التعبئة وانظمتها .

ولما تفتن القوم في استعمال الاسلحة النارية ، لم يكتفوا بالقنابل المختلفة التي تقذفها المناجيق ، او النيران التي تزرق بالزرافات عن بعد ، فانهم ادخلوا استعمالها في الرماح والسهام والدبابيس ، وغير ذلك من الاسلحة القريبة .

١٠، النبوت وهو اكثر استعمالاً عند الفرسان ، عصا غليظة مدملكة الرأس ، مرققة من الطرف الواحد وثخينة ثقيلة من الطرف الآخر ، وقد يجعلون فيها المسامير الحادة « ٢ » الطراد ونقصده الشلقة ، ذات الرؤوس الحادة المتعددة ٣٠ ، فارسية معربة ، المقصود بها سلاح يشبه الفأس « ٤ » وهي السيوف العوجاء نوع من الاسلحة البيضاء . وليست الآلة الحديدية العكفاء التي يقص بها الزرع « ٥ » عصا قصيرة في رأسها زج أكثر ما يتسلخ به أساء العرب .

فالمرح

كانوا يجعلون في سفنهم كلاب من الحديد وحلقة منه أيضاً ، ويلف
السنان بلباد عليه مزيج من المواد المشتعلة .

والدبوس

وهي آلة حربية من حديد ، ذات اضلاع يحملها الفرسان في السروج تحت
ارجلهم ويتقاتلون بها بعد التضارب بالسيوف والرماح . وكانت تعرف اولاً
بالعمد وقد ادخلوا استعمال النار في تلك الدبابيس أيضاً .

ثم استعملوا السهام الملهبة ايضاً (وكل ذلك مبني على اسرار النار اليونانية
والمواد المركبة منها تحت نسب معلومة) (١)

ولما كنت اشرت الى بعض المصادر المهمة ، الباحثة عن النار اليونانية في
المدر في اغفالها ، على ان تراجع هناك . ويكفي العرب فخر انهم اطعموا على
سر النار اليونانية ؛ بعد ان ظل مكتوما مدة طويلة ، والتي ظلت عاملاً بييد
الامر في حماية الدولة الرومية الشرقية ، من هجمات اعدائها ولا سيما العرب ..
فلما حدثت هذه النار في حملاتهم من التدمير والتخريب ، ولم احرق لهم من
مؤن وسفن ، ولم تفكت بجنودهم الجريئين ، الذين يجعلون سر هذه النار .

نعم اطعموا على سرها ، فاذا هي مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات
والادهان في شكل سائل يطلقونه ، من اسطوانة نحاسية مستطيلة كانوا يشدونها
الى مقدم السفينة ، فيقذفون منها السائل مشتعلاً او يطلقونه بشكل كرات مشتعلة
او قطع من الكتان الملتوت بالنفط ، والظاهر ان المنذوفات التي احترقت بها الكعبة

في حصار الحصين بن نمر لعبد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ كانت من هذه النار
واستخدمها العباسيون في حروبهم مع الروم واستخدمتها الجيوش الجرارة التي
كانت بقيادة السلطان صلاح الدين الايوبي في حروبه مع اهل الصليب .
قال الشاعر بن حمد بن حمدي الصقلي (ولد بسرقوسة سنة ٤٤٥ هـ وتوفي
غريباً عن وطنه سنة ٥٢٧ هـ في جزيرة ميورقة) بمدح ابا الحسن علي بن يحيى
ومنه يصف اساطيله .

ترمي بنفط كنف يلقى لفحه والشم منه محرق الاكباد
وكأنما فيها دخان صواعق ملئت من الابرار والارعاد
ومن قوله بمدحه ويصف اساطيله ايضاً :

رأوا حربية ترمي بنفط لاختاد النفوس له استعار
كأن المهل في الانبوب منه الى شيء الوجوه له ابتدار
كأن منافس (البركان) فيها لاهوال الجحيم بها اعتبار
نحاس ينبري منه شواظ لارواح الملوك به بوار
وما الماء بالاطفاء حكم عليه لدى الوقود ولا افتدار

وفي ذلك وصف للنار البحرية التي عرفها العرب واستعملوها في حروبهم ،
وكانت هذه النار لا تنطفئ بالماء ، وقد ذكرها المؤرخون كثيراً ، ووصفوا
طريق عملها ، وبيّنوا مقادير النسب من المواد التي تتألف منها هذه النار ،
وكيفية الرمي بها .

وهكذا ان العرب صاروا يضربون اعداءهم بسلاحهم ، ويرجعون كيدهم الى
نحرم ، فكانوا يقتبسون الاسلحة من الروم ويصنعونها ويحاربونهم بها ، ويقتبسونها

من الفرس ، ويتغلبون على بلادهم بها فانهم لم يجمدوا على ما بأيديهم من الاسلحة الحربية ، ولا على الامور التعبوية التي اقتصوا بها دون غيرهم ، ولم تكن مغايرة لمبادي الحرب الصحيحة ، وانما راحوا يتعلمون الفنون والاساليب العسكرية الفارسية و حاربوا الروم بمثل تعبيتهم

ولما صار العرب يقتبسون بعض الفنون العسكرية ، والانواع العديدة من الاسلحة الحربية ، عن الفرس ، لم يلبثوا ان بسطوا سلطانهم على بلاد فارس بطولها وعرضها ، قال احد الاعاجم يفتخر على العرب في هذا المعنى ولا تخلو هذه المباهلة من التحامل الفارسي ، الشعبي : —

« . انما كانت رما حكم من مران (١) واستنكم من قرون البقر ، وكنتم تركبون الخيل في الحرب اعراء ، فان كان الفرس ذا سرج فسرجه رحالة من ادم ، ولم يكن ذا ركاب والركاب من اجود آلات الطاعن برمح ، والضارب بسيفه وربما قام فيهما واعتمد عليهما ، وكان فارسكم يطعن بالقناة السماء (٢) ولا تعرفون الطعن بالمطارد (٣) وانما القناة الطوال للرجالة ، والقصار للفرسان ، والمطارد لصيد الوحش .. ولا تعرفون من آلة الحرب : الرتيلة (٤) ولا العراة (٥) ولا المجانيق ولا الدباب ، ولا الخنادق ، ولا الحماك ، ولا تعرفون الاقيسة ، ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ، ولا البنود والتجافيف (٦) ولا الخوذ ، ولا السواعد ولا الاجراس . ولا الوهق . والرمي بالبنجكان ولا الزرق

١٠، المران ، شجر تتخذ منه الرماح وهو لدن صلب . ٢٥ و ٣٠

و ٤٠ و ٥٥ مضي الكلام عليها ٦٠ . التجافيف مفردهما التجفاف آلة تجل بها الفرس تقيع الجراح في الحرب .

بالنقط ، ولا النيران » (١)

انما يتبين لكم بأن جميع الاسلحة المعدودة ، قد استعملها العرب منذ القديم
واقدر كفانا الامام الجاحظ مؤنة الرد عليه ، وبيان اباطيله .. فليراجع ذلك في
البيان والتبيين . ثم ان العرب في عصر عزهم ، كان « علم الآلات الحربية » من
جملة علومهم ، وقد وصفوه « بأنه علم يتعرف منه كيفية اتخاذ الآلات الحربية ،
كالمجنق وغيرها ، وهو من فروع علم الهندسة ، ومنفعته ظاهرة ، وهذا العلم
أحد اركان الدين ، لتوافر امر الجهاد عليه ، ولبنى موسى بن شاكر (٢)
كتاب مفيد في هذا العلم ، وينبغي ان يضاف علم رمي القوس ، والبنادق الى هذا
العلم ، وان ينبه على ان امثال ذلك العلم قسيان ، علم وضعها وصنعها ، وعلم
استعمالها ، وفيه كتب » (٣)

ولا يهمكم اكثر من هذا عن الاسلحة في الجيش العباسي ، فلنبحث لكم
عن امور منها :-

زى الجند العباسي

وربما كان لكل صنف من هذه الصنوف الحربية ، شارات ، وعلامات
يتميزون بها ، ولستكني لم استطع في هذه المدة القصيرة الوقوف على ذلك .
وذكر في المجلة العسكرية (ص ٣١٤ السنة الاولى ١٩٢٤) ان كان الامراء

(١) نقلا عن البيان والتبيين ج ٣ ص ٧-٨ وقد عدها النصولي في
كتابه : الدولة الاموية في الشام ص ٢٨٧ وثيقة تاريخية «٢» تجد ترجمته
في وفيات الاعيان ، وفهرست ابن النديم ، يعاصر المأمون «٣» عن كشف
الظنون ج ١ ص ١٠٦ .

والقادة والنقباء والعرفاء يرتدون ازياء تميزهم الواحد عن الآخر وعن الجنود كل التمييز، ولكننا لم نتمكن ان نجد مصدر هذه العبارة، والذي توقفنا اليه هو ان الاردية كانت تختلف تبعاً لثروة الناس ومركزهم الاجتماعي ونوع عملهم فكانت تختلف كسوة الفقيه او الكاتب عن ثياب الجند وهكذا.

وكان رؤساء القبائل وغيرهم من علية القوم يرتدون قباء يصل الى الركبتين، يملوه سروال، ثم جلباب فضفاض يتبدل الى العتيين؛ ويشده من الوسط حزام من الحرير، وفوق كل ذلك الجبة او القباء، وقد اخذها العرب عن الفرس او البيزنطيين.

وكان القباء نوعين: احدهما له اكمام واسعة، والثاني اكمامه ضيقة وله ازرار متقاربة وهذا النوع الاخير هو الذي يرتديه كبار رجال الدولة في ايران اليوم، كما كانوا يلبسون النعال او الاحذية (١)

ولباس الفرسان

هو انهم كانوا يلبسون الدروع والخوذ المصنوعة من الصلب والمخالة بريش النسور.

اما الرجال

فكانوا يرتدون أقبية قصيرة متدلّية الى مانتحت الركبة، وسراويل ونعالا تشبه النعال التي يلبسها اهل بلاد الافغان اليوم (٢)

١ ج ١ ص ٦٤٨ تاريخ الاسلام السياسي ٢٥ ج ١ ص ٥٨٧ تاريخ الاسلام السياسي ولزيادة الايضاح راجع تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ ص

٥٢٦
٥٢٧
٥٢٨
٥٢٩
٥٣٠
٥٣١
٥٣٢
٥٣٣
٥٣٤
٥٣٥
٥٣٦
٥٣٧
٥٣٨
٥٣٩
٥٤٠
٥٤١
٥٤٢
٥٤٣
٥٤٤
٥٤٥
٥٤٦
٥٤٧
٥٤٨
٥٤٩
٥٥٠
٥٥١
٥٥٢
٥٥٣
٥٥٤
٥٥٥
٥٥٦
٥٥٧
٥٥٨
٥٥٩
٥٦٠
٥٦١
٥٦٢
٥٦٣
٥٦٤
٥٦٥
٥٦٦
٥٦٧
٥٦٨
٥٦٩
٥٧٠
٥٧١
٥٧٢
٥٧٣
٥٧٤
٥٧٥
٥٧٦
٥٧٧
٥٧٨
٥٧٩
٥٨٠
٥٨١
٥٨٢
٥٨٣
٥٨٤
٥٨٥
٥٨٦
٥٨٧
٥٨٨
٥٨٩
٥٩٠
٥٩١
٥٩٢
٥٩٣
٥٩٤
٥٩٥
٥٩٦
٥٩٧
٥٩٨
٥٩٩
٦٠٠
٦٠١
٦٠٢
٦٠٣
٦٠٤
٦٠٥
٦٠٦
٦٠٧
٦٠٨
٦٠٩
٦١٠
٦١١
٦١٢
٦١٣
٦١٤
٦١٥
٦١٦
٦١٧
٦١٨
٦١٩
٦٢٠
٦٢١
٦٢٢
٦٢٣
٦٢٤
٦٢٥
٦٢٦
٦٢٧
٦٢٨
٦٢٩
٦٣٠
٦٣١
٦٣٢
٦٣٣
٦٣٤
٦٣٥
٦٣٦
٦٣٧
٦٣٨
٦٣٩
٦٤٠
٦٤١
٦٤٢
٦٤٣
٦٤٤
٦٤٥
٦٤٦
٦٤٧
٦٤٨
٦٤٩
٦٥٠
٦٥١
٦٥٢
٦٥٣
٦٥٤
٦٥٥
٦٥٦
٦٥٧
٦٥٨
٦٥٩
٦٦٠
٦٦١
٦٦٢
٦٦٣
٦٦٤
٦٦٥
٦٦٦
٦٦٧
٦٦٨
٦٦٩
٦٧٠
٦٧١
٦٧٢
٦٧٣
٦٧٤
٦٧٥
٦٧٦
٦٧٧
٦٧٨
٦٧٩
٦٨٠
٦٨١
٦٨٢
٦٨٣
٦٨٤
٦٨٥
٦٨٦
٦٨٧
٦٨٨
٦٨٩
٦٩٠
٦٩١
٦٩٢
٦٩٣
٦٩٤
٦٩٥
٦٩٦
٦٩٧
٦٩٨
٦٩٩
٧٠٠
٧٠١
٧٠٢
٧٠٣
٧٠٤
٧٠٥
٧٠٦
٧٠٧
٧٠٨
٧٠٩
٧١٠
٧١١
٧١٢
٧١٣
٧١٤
٧١٥
٧١٦
٧١٧
٧١٨
٧١٩
٧٢٠
٧٢١
٧٢٢
٧٢٣
٧٢٤
٧٢٥
٧٢٦
٧٢٧
٧٢٨
٧٢٩
٧٣٠
٧٣١
٧٣٢
٧٣٣
٧٣٤
٧٣٥
٧٣٦
٧٣٧
٧٣٨
٧٣٩
٧٤٠
٧٤١
٧٤٢
٧٤٣
٧٤٤
٧٤٥
٧٤٦
٧٤٧
٧٤٨
٧٤٩
٧٥٠
٧٥١
٧٥٢
٧٥٣
٧٥٤
٧٥٥
٧٥٦
٧٥٧
٧٥٨
٧٥٩
٧٦٠
٧٦١
٧٦٢
٧٦٣
٧٦٤
٧٦٥
٧٦٦
٧٦٧
٧٦٨
٧٦٩
٧٧٠
٧٧١
٧٧٢
٧٧٣
٧٧٤
٧٧٥
٧٧٦
٧٧٧
٧٧٨
٧٧٩
٧٨٠
٧٨١
٧٨٢
٧٨٣
٧٨٤
٧٨٥
٧٨٦
٧٨٧
٧٨٨
٧٨٩
٧٩٠
٧٩١
٧٩٢
٧٩٣
٧٩٤
٧٩٥
٧٩٦
٧٩٧
٧٩٨
٧٩٩
٨٠٠
٨٠١
٨٠٢
٨٠٣
٨٠٤
٨٠٥
٨٠٦
٨٠٧
٨٠٨
٨٠٩
٨١٠
٨١١
٨١٢
٨١٣
٨١٤
٨١٥
٨١٦
٨١٧
٨١٨
٨١٩
٨٢٠
٨٢١
٨٢٢
٨٢٣
٨٢٤
٨٢٥
٨٢٦
٨٢٧
٨٢٨
٨٢٩
٨٣٠
٨٣١
٨٣٢
٨٣٣
٨٣٤
٨٣٥
٨٣٦
٨٣٧
٨٣٨
٨٣٩
٨٤٠
٨٤١
٨٤٢
٨٤٣
٨٤٤
٨٤٥
٨٤٦
٨٤٧
٨٤٨
٨٤٩
٨٥٠
٨٥١
٨٥٢
٨٥٣
٨٥٤
٨٥٥
٨٥٦
٨٥٧
٨٥٨
٨٥٩
٨٦٠
٨٦١
٨٦٢
٨٦٣
٨٦٤
٨٦٥
٨٦٦
٨٦٧
٨٦٨
٨٦٩
٨٧٠
٨٧١
٨٧٢
٨٧٣
٨٧٤
٨٧٥
٨٧٦
٨٧٧
٨٧٨
٨٧٩
٨٨٠
٨٨١
٨٨٢
٨٨٣
٨٨٤
٨٨٥
٨٨٦
٨٨٧
٨٨٨
٨٨٩
٨٩٠
٨٩١
٨٩٢
٨٩٣
٨٩٤
٨٩٥
٨٩٦
٨٩٧
٨٩٨
٨٩٩
٩٠٠
٩٠١
٩٠٢
٩٠٣
٩٠٤
٩٠٥
٩٠٦
٩٠٧
٩٠٨
٩٠٩
٩١٠
٩١١
٩١٢
٩١٣
٩١٤
٩١٥
٩١٦
٩١٧
٩١٨
٩١٩
٩٢٠
٩٢١
٩٢٢
٩٢٣
٩٢٤
٩٢٥
٩٢٦
٩٢٧
٩٢٨
٩٢٩
٩٣٠
٩٣١
٩٣٢
٩٣٣
٩٣٤
٩٣٥
٩٣٦
٩٣٧
٩٣٨
٩٣٩
٩٤٠
٩٤١
٩٤٢
٩٤٣
٩٤٤
٩٤٥
٩٤٦
٩٤٧
٩٤٨
٩٤٩
٩٥٠
٩٥١
٩٥٢
٩٥٣
٩٥٤
٩٥٥
٩٥٦
٩٥٧
٩٥٨
٩٥٩
٩٦٠
٩٦١
٩٦٢
٩٦٣
٩٦٤
٩٦٥
٩٦٦
٩٦٧
٩٦٨
٩٦٩
٩٧٠
٩٧١
٩٧٢
٩٧٣
٩٧٤
٩٧٥
٩٧٦
٩٧٧
٩٧٨
٩٧٩
٩٨٠
٩٨١
٩٨٢
٩٨٣
٩٨٤
٩٨٥
٩٨٦
٩٨٧
٩٨٨
٩٨٩
٩٩٠
٩٩١
٩٩٢
٩٩٣
٩٩٤
٩٩٥
٩٩٦
٩٩٧
٩٩٨
٩٩٩
١٠٠٠

إنما عرفت بأن الزي الذي تميز جند بني العباس به ، هو الاقبية والقلائس السوداء ، حتى أنهم كانوا يرفعون امام الويهم الاعلام السوداء ، وكانت هذه الاعلام ، توشى وتطرز بالنقوس الجميلة في اغلب الاحايين ، وكانت « الظل ، والسحاب » رايتين عظيمتين من رايات بني العباس المشهورة . كما اشتهرت راية « العقاب » على عهد رسول الله ، وفي ابان الفتوحات الاسلامية في زمن الراشدين فلقد حملها علي بن ابي طالب رضي الله عنه في وقعة بدر ، وحملها رافع بن عميرة الطائي ، عند شخوص خالد بن الوليد سنة ١٣ هـ الى الشام . وقد امره بنشرها على الثنية المشرفة على الغوطة ، فنشرها ، فدعيت الثنية بـ « ثنية العقاب » وكانت العقاب سوداء اللون ايضاً .

وتغير هذا الزي مدة بضع سنين في عهد المأمون ، فكانت الاقبية والقلائس والاعلام خضراء ، وذلك من سنة ١٩٨ هـ حتى سنة ٢٠٤ هـ حين طغيان الرأي الفارسي ، واخذ المأمون بمشورة وزرائه وقواده من المعجم . اما بنو امية فكانت اعلامهم حمراء ، مثلما كانت اعلام الدولة الاموية الثانية ، بيضاء . وتلك الوان اربعة قد جمعها رمز الحكومة العراقية ، واعلمها الرسمي ، بينما جرى الجيش ان يعقد لافواج مشانه الوبة خضراء ، وليكتائب خيالته الوبة سوداء .

وجعل المأمون لوزيره الفضل بن سهل الفارسي علماً على سنان ذي شعبتين ، وكتب على سيفه من جانب « رياسة الحرب » ومن الجانب الآخر « رياسة التدبير » وبينا اخذ المنصور الناس والجند ، بلبس القلائس الطويلة ، المفرطة الطول (١) اذا بالمعتصم يصطنع الاتراك ، ويخمد الفرق منهم ، ويلبسهم انواع

« ١ » ابن الاثير ج ٥ ص ٢٢٥ راجع البيان والتبيين ج ٣ ص ٦٥

الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة ، وابانهم بالزي عن سائر جنوده . ومع كل هذا ، ومع انهم كانوا يسمون الخيل لتمتاز خيول الدولة عن سواها . فقبائل العرب في الجاهلية كانت تسم ابلها بـميسم خاص لتمييز ابل كل قبيلة عن ابل غيرها « وكان بالقرب من المدينة مرعى للخيل ترعى فيه خيل المجاهدين وقد وسم في ارجل الخيل « جيش في سبيل الله » (١) وسمه خيل بني امية لفظ « عدة » . كانوا يطبعونها على الخيول كياً بالنار كما تعمل الدول المتمدنة اليوم ، بالرغم من وجود كل هذا في جيوشهم ، فاتفى لم اعثر على ماهو صريح بهذا الشأن من علامات الوحدات ، وعلامات الصنف ، واشارات الرتب وغيرها ، مما يختلف به الصنوف عن غيرها ، مع اننا عرفنا ان في الجيش العباسي صنوفا متعددة مستقلة عن بعضها ، ولعل التنقيب في الايام المقبلة ، يطلعنا على وثائق صريحة بهذا الصدد ، والذي يؤخذ من العهد الذي كتبه خالد ابن الوليد لاهل الحيرة (٢) وقوله : - « ولهم كل ما لبسوا من الزي الا لزي الحرب من غير ان يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم » ان للمسلمين في عهد الخلفاء الراشدين زيا خاصاً للحرب ، هو غير لباس السلم .

ومما يتعلق بتنظيم الجيش العباسي ، ويوضح لنا اعمال ديوان الجند ، في مختلف عصوره ، ثم كيف استقام امر الخلفاء بجند العرب ، وكيف تزامم الموالي والاثراك فانخرطوا في سلك الجندية ، ثم عظم امرهم فكانوا خطراً على الدولة العباسية ، حتى آل بهم الامر ان قبضوا على زمامها ، واخيراً اصبحت الخلافة

١٠، الجغرافية العسكرية للعميد طه الهاشمي ج ١ ص ١٢٤ . ٢٥ « تجد

النص في السياسة الشرعية او نظام الدولة الاسلامية ص ٩٦ وما بعدها .

رسماً دينياً فقط ، ولم يعد للخليفة مع تغلب العناصر الاجنبية في الجيش ، حل ولا ربط في الامور السياسية ، ولم يبق بيده غير بغداد واعمالها ... وليس له فيها الا الخطبة والسكة (١) سوف تتجلى لكم كل هذه الامور المؤلمة في : -

فرق الجيش العباسي

لقد علمنا ان تدوين ديوان الجند ، كان في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٥ هـ ، وعلمنا ايضاً ان تنظيم الجند العربي كان منذ ذلك الزمن ؛ اما الذين قالوا بأن التجنيد الازامي قد بدأ في اواسط الدولة الاموية ، اي في عهد عبدالملك بن مروان ، فقولهم مردود ، فلقد كان التجنيد الزامياً منذ كان ، وكل الجند العربي يذهب الى الحرب جهاداً في سبيل الله كما : -

دعاهم داعي الخليفة أو خطب فيهم أو استنفرهم .
أو انفذ اليهم الكتب ، أو الى رؤسائهم ، أو كتب الى عماله في ذلك .
أو ركزت راية الجهاد في مسجد رسول الله .

ولم يكن ليخطر في بال احدهم ان يتقاعد عن الحرب ... وكان عمر بن الخطاب ، يعاقب المتأخر بأن يقام في مسجد حية ، ويقال : « ان هذا تخلف » وهذا التوبيخ كان في نظرهم امض من ضربة السيف لما هو معروف عنهم من الشجاعة والافدام ، وبيرون الاحجام عاراً لا يمحى » (٢) وكانوا يحفظون اسم المتخلف ، ولا يفتأون بذكرونه بصفات النقص ، ولا يزال التاريخ مثبتاً اولئك

النفر الذين تخلفوا عن اللحاق بجيش الرسول ﷺ في وقعة احد ، مع انهم ادلوا
بمعاذيرهم المشروعة ، وغفر النبي لهم (١)

وناهيك ما حصل في عهد رسول الله ﷺ للمتخلفين عن غزوة تبوك حيث
نهي المسلمون عن مخالطتهم ومحدثهم كأن ليسوا منهم الى ان تاب الله عز وجل
عليهم حينما ظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه (٢)
ثم صار التجنيد سنة ، واصبح الجند الاسلامي فئتين : -

الفئة الاولى : المرتزقة

وهم : - الجنود النظاميون ، وسماهم القدماء بأصحاب الديوان
من اهل الفيء والجهاد ، يفرض لهم العطاء من
بيت المال .

الفئة الثانية : المتطوعة

وهم : - الخارجون عن الديوان ، من البوادي والاعراب
وسكان القرى والامصار ، الذين خرجوا في النفير
الذي ندب الله تعالى اليه بقوله : « افقروا خفافا
وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله »
وفي قوله تعالى « خفافا وثقالا »

اربعة تأويلات . أحدها شبانا وشيوخا .
والثاني اغنياء وفقراء .

(١) ابن هشام « ٢ » ص ١٤٨ اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء .

والثالث ركبانا ومشاة .

والرابع ذا عيال وغير ذي عيال (١)

ولم يكن بين الفتيين احد من غير العرب لا في الجند ولا في قادتهم ، فكلها

عربي محض يرجعون في انسابهم إما الى : -

قمحطان : وهم اليمنية ، وإما الى : -

عدنان : وهم المضرية

وقد يضاف الى هذا التنظيم

الشرطة

وهي الجند التي كان يعتمد عليها الخليفة او الوالي على استتباب الامن وحفظ النظام والقبض على الجناة والمفسدين ، وما الى ذلك من الاعمال الادارية التي تكفل سلامة الجمهور ، وطأ ينتمهم وكان عمر اول من ادخل (نظام العسس) في الليل ، وفي عهد علي بن ابي طالب نظمت الشرطة واطلق على رئيسها صاحب الشرطة وكان صاحب الشرطة يختار من علية القوم وهو اشبه بالمحافظ في هذا العصر ، وكان له نفوذ عظيم على الجناة .

وكانت الشرطة تابعة للقضاء اول الامر تقوم على الاحكام القضائية ؛ ويتولى صاحبها اقامة الحدود ، ولكنها لم تلبث ان انفصلت عن القضاء واصبح لصاحب الشرطة الاستقلال بالنظر في الجرائم .

وقد ادخل هشام بن عبد الملك نظام (الاحداث) وكان يقوم صاحبه

بالاعمال العسكرية التي تعتبر وسطا بين اعمال صاحب الشرطة والقائد . (١)
وفيا لي نبذة من عهد علي بن ابي طالب الى قائده مالك بن الاشتر النخعي
حين ولاه مصر ، ونستنتج منه حالة الجند ، في ذلك العهد ، والعهد على قصره ،
وابجازه يوضح لنا نظرية في غاية الدقة ، لم ننتبه اليها الا في الايام الاخيرة ؛
ولعل اول من كتب عنها في العربية هو سعادة العميد طه الهاشمي ، وعبر عنه
بالنفيير الاقتصادي ، والمقصود منه نهضة جميع الاسباب في وقت السلم للاستفادة
من الثروة الحربية على خير ما يرام ، وتنحصر الغاية المتوخاة منه في استخدام جميع
موارد المملكة ومرافقها في حالة الخطر ، وذلك بجعل الامة بجميع افرادها والدولة
بأكمل ثروتها ، وبجميع مرافقها قيد تصرف الحكومة المطلق (٢)

ومنها سوف نرى ان الاسلام عدا انه فرض الخدمة الاجبارية على كل مسلم
قادر على حمل السلاح فهو الذي وضع أسس النفيير الاقتصادي وقد نص الاسلام
على ذلك بقوله تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقوله ما استطعتم اي
كل ما في امكان الامة من جهود للاستحضار للحرب زمن السلم مادة ومعنى ، اما
القوة فهي اما مادية كالتسليح وفتح الطرق ومد السكك الحديدية ونهضة المرافق
الاقتصادية في سبيل الانتاج او معنوية كتدريب الامة وتهذيب النشء والدعاية الخ
وجعل ادمغة المفكرين وقفا على الغاية الوطنية المقدسة .

قال الامام علي : -

« فالجود باذن الله حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبل

١٠، ج ١ ص ٥٨١-٥٨٦ السياسي ٢٠، الجغرافية العسكرية ج ١ ص ١٥٣ .

الامن ، وليس تقوم الابهم . ثم لا تقوم للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ، وهم يعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم .. ثم لا تقوم لذين الصنفين الا بالصنف الثالث من النضاة والعمال والكتاب ، لما يحكمون من المعاهد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤمنون عليه من خواص الامور وعوامها . ولا تقوم لهم جميعاً إلا بالتجارة وضوي الصناعات فيما يجمعون عليه من مرافقهم ، وقيمونه من اسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم » (١)

وقد أشار المقتطف ج ٣ مجلد ٤٢ (١٩١٣) ص ٢٤٧ الى عهد الامام علي هذا ، وقال انه خط في كتاب ورقه حريري او كتاني مما كان يصنع باليد ويصلق بالمصاقل ، طول الصفحة منه ١٩ سنتيمتراً وعرضها ١٢ ونصف وطول الكتابة فيها ١٢ سنتيمتراً وعرضها ٧ ، وهي سبعة اسطر فقط في كل صفحة ، بالشكل الكامل ، والكتاب مذهب الحواشي والنجوم ، اسود الحبر ، وهو من كتب السلطان بايزيد الثاني الذي رقى الى عرش الملك سنة ٨٨٦ هـ وقد خط سنة ٨٥٨ هـ وقد افتناه ليستفيد منه على ما يظهر .. (وهي تخالف ما ورد في نهج البلاغة ، لانها قصيرة وغير مسهبة ، وليس فيها من الزيادات ما في النهج)

ثم ان الجهاد نفسه الذي فرضه الله واوصى به الرسول كلمة مشتقة من (الجهد) الذي معناه بذل الوسع في ممارسة الشيء ، اي شيء كان ، فكلمة الجهاد اذن تدل على معنى اوسع من معنى الحرب ، تعني توحيد جميع جهود الامة وتوجيهها

« ١ » حماة الاسلام ج ١ ص ١٠٩ واذا اردتها بتمامها مشروحة فارجع الى شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد .

نحو غاية واحدة للحصول على الغاية الوطنية والدفاع عن الوطن بكل ما في بطن
الوطني من قوة وجلادة وبكل ما في نفسه من محبة وحماسة . وفصل ذلك صاحب
كتاب الارشاد فقال :-

واقضت الدولة الاموية ، وجيوشها لم يتخلل صفوفها اعجمي الا ما كان
من الابعاد ، والخدم والعبيد ، اما قاداتها فلم يكن فيهم على كثرتهم قائد
اعجمي واحد .

وقد بلغ التضامن بينهم ، أن صار كل واحد من الجنود الاموي يشعر بأنه
جزء من الأمة العربية كلها ، وأن عزة امته ومنعتها تتوقفان عليه ، كما تتوقفان
على غيره من جند العرب ، فكانوا يتحلون جميعهم بالشجاعة الثابتة تلك الشجاعة
التي كانت تتناول الصبر على المكاره وتنطوي على الاستمانة والتضحية ، بدون
تفكير باسم العيال والعورات التي خلفهم ما وراءهم ، او كانوا في الركبان معهم .
تلك الشجاعة التي نغبطهم عليها والتي يجب ان تكون شيمة كل ضابط وقائد
وضابط صف وجندي ، وبقينا ان الجنود العباسي لو كانوا يشعرون بمثل ما يشعر
به الجنود الامويون ، لما دلت الدولة العباسية لغيرها ، ولما تحكّم بامورها
الرجال الاجانب من فرس وترك وغيرهم .

غير ان الذين ناروا على الخلافة الاموية ، قد اكنزوا من استخدام الموالي
في جيوشهم ، وذلك للقبض الذي كان بحملة هؤلاء للعرب ، لانهم قوضوا
بالاسلام مجدهم ، وغلبوهم بالفتح على ممالكهم اواسعة ، فكانوا ابدأ يتوقعون
أفرص للثورة بهم ، وكانوا يماثلون كل خارجي او متمرّد على الدولة .

ومع هذا فقد كان الزعماء العرب الذين خرجوا على الدولة لمنافسات ، او

اغراض شخصية ، او طمعاً بالحصول على مال او ولاية ، لا يرون في هؤلاء
الفرس المتطوعين لتغذية الفتن ما يرون في العرب من الشجاعة والثبات ، والتضحية
في سبيل القانون العسكري ، انما كانت سوء عقيدتهم تدفعهم الى ان ينهزموا اذا
استمر القتال ، مع انهم رجال قليل عنهم انهم « ذوو شامة ونجدة وصبر وحسن
سياسة » (١) وقد كان امراؤهم يعرفون منهم ذلك ، وذكر المبرد في كامله (٢)
ان المختار بن ابي عبيد الثقفي قال لابراهيم بن الاشتر يوم خازر ، وهو اليوم الذي
قتل فيه عبيد الله بن زياد : -

« ان عامة جندك هؤلاء الحمر ، (اي الموالي) وان الحرب ان ضرستهم
هربوا ، فاجل العرب على متون الخيل ، وارجل الحمر امامهم » فترى المختار
في هذا الامر ، انه يريد ان يعامل الموالي كما يعامل البريطانيون الهنود ، اذ
يقدمونهم في القتال ويسترون بهم من شدة النار ، ومع هذا لا يولونهم ، فانت
لا ترى منهم واحداً برتبة مقدم او عقيد ، ولهذا النقطة الجوهرية جعل البريطانيون
تنظيمهم رباعياً ، الربع الاول من الويتهم انجليز اقبحاح ، بينما تتألف
الثلاثة ارباع الاخرى من الاخلاط والعناصر المختلفة ، الذين لم يضموا كل
الثقة فيهم ...

غير اننا لا نرى العباسيين يسرون على هذه القاعدة او يتبعون هذه السنة
ولعلمهم كانوا مكرهين في ادخال العنصر الاعجمي في صفوف جيشهم ، وكان اول
من دخل في الجيش الاسلامي منهم : -

آل خراسان

الذين تم على ايديهم انقراض الدولة الاموية العربية ، فتألف منهم فرق الخراسانية ، وكان على رأسهم في بادئ الامر ابو مسلم الخراساني . ثم كثرت الفرق من العناصر الابنوية غير الخراسانيين ، وتنوعت ، حتى خرجت عن نظام التجنيد الازامي ، واصبحت فرقا ، يستخدمهم من شاء بالمال ، وكل من وصلت يده الى السلطة اقتنى الغلمان اما بالشراء او بالاجرة ، وتألفت منهم الفرق بتوالي الاعوام ، وكل منها تنسب الى صاحبها .

وفرق الجند في عهد المنصور

هي : - اليمنية ١ واكثر هؤلاء من اهل الشام والجزيرة
المضرية ١ والعراق ، وكان اهل الشام اكثر فرسانا
الربعية ١ واكمل عدة

الخراسانية : وهم آل خراسان .

وكان يطلق على جميعهم « المسودة » لان السواد كان شعاراً لهم ولان راياتهم سود كما عرفنا سابقا .

هذا ما ذكره الطبري (١) وانه الحق بهم فرقة خامسة كانت له بمثابة الحرس

الخاص ، وهي فرقة اتخذها الخلفاء لحماية انفسهم من المسكائد والثورات التي تشب عليهم .

واخبرنا بن الاثير (١) انه كان في عسكر يحيى بن محمد اخي السفاح في سنة ١٣٢ هـ قائد معه اربعة آلاف زنيجي ، وكانوا يقتلون الاطفال يأخذون النساء قسراً ، حتى انف للعربيات مما يصنع بهن جيش الزنج فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم وتقى الجيش من هذه الحشرة الضارة ، التي افسدت الرأي العام ضد العباسيين ، واحاطتهم بجو من النفرة والاشمئزاز ، وما اتعس امة لا يتحد شعبها وجندها . هذا ويعني المؤرخون بالفرق الخراسانية ، جند الفرص عامة ، ويدخل فيهم اهل الاهواز وفارس وكرمان ومكران وسجستان وقوهستان وخراسان وغيرها ولما كانت الدعوة السرية العباسية قامت في خراسان ، وان ابا مسلم كان من خراسان ايضاً ، وان الذين أزرروا العباسيين كانوا يجتمعون من شذاذ الآفاق... الفارسية الى خراسان ، دعيت هذه الفرق بالفرق الخراسانية .

وعدا ان الخراسانيين كانوا يؤلفون الاكثرية في الجيش العباسي . الا انهم ليسوا بذوي السلطان في المملكة ، ولا نفوذ بأيديهم ، فقد استخدم الخليفة المنصور الاتراك في الجنديّة ... ولكنهم كانوا شرذمة صغيرة لا شأن لها في الدولة .

ثم استخلف المهدي (٢) فاراد ان يعتمد على العرب ويقربهم فجعل له في العاصمة (٥٠٠) فارس عربي اصطفاهم من عرب الحجاز ، ليقوموا بحراسته ، وقد

«١» ج ٦ ص ١٦٧ - «٢» وكان في عهده من فرق الموالي : الاسواريون والسباجية وغيرها .

اكرمهم واقطعهم ارضاً بجوار بغداد (١) ولكن يظهر انه لم يتمكن من تحقيق ذلك لتغلب العنصر الفارسي ، فكانه يريد ان يعارض اياه في تقديم الموالي على العرب ليستبدل بجفائهم له محبتهم اياه .

ثم لم يزل النفوذ الفارسي يتغلب ويقوى شأنه في زمن الهادي .

ولما جاء الرشيد ، كان البعض من جنود الاتراك قد بلغت بهم رتبهم فتقلدوا امارة الالوية ، في الجيش ، ثم كان منهم ولاية الثنور الشامية ، وكان ابو سليم فرج الخادم ، صاحب الدار بانطاكية اول قائم تركي ، عقده ، وقاد الحيوش في خدمة العباسيين .

وزاد نفوذ الفرس في عهد الرشيد ، وذلك بفضل البرامكة وقد كانوا المصرفين للدولة وشؤونها ، فاستنيع نفوذهم نفوذ جنسهم واتخذوا لذلك سياسة محكمة منها تشكيل الفرقتين التاليتين :-

العباسية

وذلك ان الفضل بن يحيى البرمكي اتخذ بخراسان جنداً من المعجم سماهم « العباسية » وجعل ولائهم له ، وان عدتهم بلغت خمسمائة الف رجل . (٢)

الكرنية

وم قسم من فرق العباسية التي بخراسان فلقد قدم منهم ببغداد

١٦. حضارة الاسلام ص ٨٥ تاريخ الامة العربية ص ٢٩٩ وابن الاثير

ج ٦ ص ١٧ ، الطبري ج ١٠ ص ٦٢

عشرون ألف رجل ، فسموا ببغداد « الكرخية » وخلف الباقي منهم بخراسان على اسمائهم ودقاتهم (١) وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة : -

ما الفضل إلا شهاب لا أقول له عند الحروب إذا ما تأفل الشهب
كتائب لبني العباس قد عرفت ما الففضل منها العجم والعرب
أثبت خمس مئين في عـدادهم من الألوف التي احصت لك الكتب
ثم قضى الرشيد فاستخلف الامين ، وذهبت سطوة العرب بذهاب دولة
الامين ... « وزاد نفوذ الجند الفارسي ، في عهد المأمون ، فقد انتصر الفرس
نصرة ثانية كالثي كانت بين العباسيين والامويين ، لان اغلب الفرس تعصب
للمأمون ، واكثر العرب تعصبوا للامين ، فعدت غلبة المأمون نصرة
فارسية .

ويروي الطيفوري (٢) : ان العجم كانوا يركبون ومعهم القسي والنشاب بين
يدي المأمون .

واتبع المأمون في اول خلافته سياسة فارسية وترك شؤون الدولة لوزيره
الفارسي الفضل بن سهل ، وجعل عاصمة الدولة في بلاد العجم (مرو) وعين
على بغداد والياً فارسياً ، وازداد نفوذ الفرس في العراق في زمن الحسن بن سهل
الفارسي والي بغداد بعد طاهر بن الحسين « (٣)

ومع كل هذا الغلو في قوة العنصر الفارسي ، فان العباسيين لم يهملوا

« ١ » الطبري ج ١٠ ص ٢٠٦٢ ، تاريخ بغداد لطيفور ص ٣١٥ ، المقدادي
ص ٣١٣ وروي الطيفوري « انه تعرض رجل للمأمون بالشام مراراً فقال :
يا امير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت الى عجم خراسان »

عصية العرب ، بل استعانوا بالعرب ، وجهلهم كقوة احتياطية ، يضربون بهم الموالي اذا رأوا منهم نكوباً عن الدولة ، او استئثاراً بالسلطان ، ولكن لم يستعينوا بهم بصورة دائمة .

ولما افضت الخلافة في سنة ٢١٨ هـ الى المعتصم بالله ، كانت العناصر الفارسية قد تمكنت من الدولة ، وخاف المعتصم من هذه الجيوش الفارسية على مصير المملكة العباسية سيما بعد ان قتلوا اخاه الامين ، فقرب الجنود التركي واعتمد عليه لاقضاء الفرس وتخفيف سطوتهم ، ودرءاً لما يحدثونه من اخطار جسام في الدولة .

وكانت جيوش المعتصم تتألف من الفرق التالية :-
الاعاجم - المغاربة - الفراغنة - المتطوعة - الحربية - البعوث
فالاعاجم :

وهم الخراسانيون وغيرهم ، ويدعونهم الابناء ، وقد ورثهم من اخيه المأمون ، الا انهم اصبحوا اقلية لا شأن لها في سياسة المملكة . والخراسانيون نسبة الى خراسان كما قدمنا ، وهو اقليم يشتمل على امهات البلاد ، وعاصمتها (مرو) واشهر مدنها : نيسابور وهراة ، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد ، وسرخس وغيرها فتحتها المسلمون سنة ١٨ هـ ، وكان الخراسانيون من اشد الفرس كرهاً للعرب ، وكانوا ينتفضون كلما سنحت لهم الفرصة ، وينصرون كل قائم على العرب ولقد احسن الامويون منهم ذلك ، ولما كانت



الحرب الاهلية المشهورة بين علي ومعاوية التثاثر امر خراسان وانتقضت على العرب وغدر اهلها الحامية العربية في مختلف الحصون ولم نزل كذلك حتى تم الامر لمعاوية فخارب ارباب النكث ، واخضعهم وعمد الى ارسال العيالات العربية اليها فامر زياد بن ابي سفيان ان يحول من المصريين زهاء خمسين الفا ، الى خراسان ، فهدأت البلاد واصبحت المقر العام للفتوح الاسلامية في الهند والسند والصين .

ثم انهم وجدوا الفرصة سانحة للثورة بالامويين ، فثاروا برئاسة ابي مسلم ، وحاربوا الدولة في ابان اقتراق كلمتها فأدالوها ، ثم اقبلوا يتجندون فشكوا الفرق العظيمة ، وكانوا قوام الجيش العباسي منذ ان تولى السفاح حتى ان قضى المأمون وكانوا يقنعون بالراتب الزهيد ولم يزلوا في قوة وفؤاد حتى بددتم المعتصم بما اقتناه من الفرق التركية ولم نجعل الابناء فرقة خاصة ، لانهم قوم من العجم سكنوا اليمن (١) ورجعت ادماجهم في فرق خراسان .

ثانيا - المغاربة

وهم قوم اصطنعهم المعتصم من الخوف بمصر (٢) (الشرقية والدقهلية) وسماهم المغاربة لان مصر غربي بغداد ، والذي اراه انه كان فيهم من اهل المغرب في شمالي افريقية ، وقد استخدمهم في حاشيته .

ثالثاً - الفراغنة

وهم خلق جمعهم المعتصم من السعد او شروسنة وسمروند و فرغانة و اهل الشام و سماهم الفراغنة (١) و لعل تسميتهم بالفراغنة لكثرة من فيهم من الخلق من اهالي هذه المدينة العظيمة ، و قد ابتاعهم من اسواق بغداد تدريجاً . ثم لما انظم اليهم الاتراك و كثر فيهم هذا العنصر سموهم « الاتراك » و على ايديهم تغيرت سياسة الدولة العامة ، و لهم بنى المعتصم عسكر سامراء كما سبق ان بيناه عندما ضاقت بغداد عنهم و تأذى البغداديون بهم ، فاخطط لهم الخطط في سامراء واقطعهم القطائع على حسب مجاورتهم في بلادهم ، و افرد اهل كل صنعة بسوق ، و جعل سامراء قاعدة المملكة العباسية دون بغداد ، و بذلك قضى على السلطان الفارسي .

غير ان الترك هؤلاء الذين احلهم محل الفرس ، قد نكلوا بالفرس و العرب جميعاً ، ففترقوا من بغداد رويداً رويداً ، العرب منهم الى الجزيرة العربية ، و الفرس الى انحاء المملكة الاسلامية ، و خلت بغداد من علمائها ، و تبغ الاطباء و الفلاسفة و المنجمون و المهندسون و المتكلمون و اصحاب المنطق و الفقهاء و اللغويون و المحدثون و المؤرخون خارج بغداد . ان استفحال الفرق التركية في زمن المعتصم ، و في زمن الخلفاء من بعده اقتر دور العلم في العاصمة

العباسية ، ونفر قلوب الشعب من حكومتهم ، وادى بالاخير الى
تبدد المملكة ، وعفاء اثرها ، وذلك لان المعروف عن الترك « انهم
قوم ذوو شجاعة وحمية وغلظة وقساوة على غير جنسهم وفيهم اقياد
لمشايخهم وكبرائهم » (١) ولقد اوصى العلماء الذين عالجوا نفسيات
الاقوام « ان يوسع عليهم في الاتفاق وتزاح عليهم في ذلك ويمكنوا
من عاداتهم ولا يرفهون فانهم ينقادون الى كل امر يدعون اليه
ويطيعون » (٢)

وعدا ان الاتراك الذين جمعهم المعتصم ، يختلفون مع الشعب
في الجنسية ، فان اكثرهم يختلفون بالدين ايضاً ، فلقد كانوا يدينون
بالمجوسية او الوثنية على ما كانوا عليه في بلادهم ، وكان فيهم قسم
آخر اظهروا الاسلام ودخلوا الجيش طمعاً بالكسب من الغنائم
بالحروب ، وطمعاً بالاعطية الضخمة التي كان يوزعها عليهم المعتصم
في رأس كل شهر .

رابعاً - المتطوعة

قلنا انهم الذين يقدمون على الحرب من تلقاء انفسهم ولا
عطاء لهم في الديوان ، وهم من القبائل أو القرويين ، ويغلب ان
يكون المتطوعة هؤلاء في الحروب خارج حدود المملكة
الاسلامية ، وكان لهم في حماية الثغور اثر محمود ، وكذلك كانوا

العامل المهم في القضاء على بابك الحرّمي . فلقد كانوا اهل نجدة
وشجاعة واطاعة لقوادهم ، وكانوا يستخدمونهم في احدى
حالتين : -

الحالة الاولى : اما ان يجعلوهم في جناحي القوة ؛ وحينئذ تكون واجباتهم
الاحاطة بجناحي العدو ، دون ان يختلطوا بالجنود النظاميين
الذين تدربوا تدريبا خاصا ، ولا يخفى ما في ذلك من الاحتفاظ
بالضبط العسكري ، وبتفيذ الاوامر كما ينبغي ، لان المعروف
عن القبائل انهم شجعان مساعير ، وانكنهم يتهورون ولا
يعرفون الخدع الحربية ، ولا فنون القتال . ونظرة واحدة الى
القبائل العراقية التي استخدمهم القائد سليمان عسكري في حروب
الشعبية عام ١٩١٥ تعرفنا ان ادماجهم مع الفرق النظامية
نتيجته الفشل .

الحالة الثانية : ان يودعوا اليهم امر الغارة على العدو قبل نشوب الحرب ،
لازعاجه في قواعد بلاده ، وعرقلة تحشده ، وتخريب مداخله
وقطع خطوط المواصلات عليه ، وكذلك يوكلون اليهم امر
المطاردة ، عند تهقر العدو ، وهنا تبرز خصائص المتطوعة على
آتم ما يكون ، وبالرغم من ذلك فهؤلاء يعطون من الصدقات ،
ولم يجوز العلماء ان يعطوا من الفيء ، ولقد استفاد العباسيون
في بدء حياتهم من هؤلاء المتطوعين ، وكلما نفخ بوق النفير
الذي ندب الله تعالى اليه ، وكلما دعا داعي الخليفة للجهاد ،

كانت عشرات الآلاف بل مئاتها تنزاحن إلى الحاضرة ، لتقدم ولاءها وتبدي استعدادها للزحف . وبالطبع أن تحريك حس القبائل ، لا يتأتى إلا بالدعاية الواسعة النطاق بينهم ، وتقوية الشعور القومي فيهم ، وغرس الروح الوطنية في قلوبهم ، وتربيتهم على الديانة الصحيحة ، التي لا تشوبها شائبة الخرافات والباطل وعلاوة على الدعاية بينهم ينبغي أن تزاح عملهم .

غير أن العباسيين لم يحسنوا معاملتهم ، فإن العرب قد ثاروا عندما رأوا أن الخلفاء وعمل الخلفاء لا ينصفونهم ، ورأواهم لهوا عن إقامة الحق ، وكانوا إذا جاؤا مجلس الخليفة شاهدوا الخراسانيين يذهبون ويحيثون ويدخلون على الخليفة كأنهم من أهله ، بينما هم يقفون بباب الخليفة لا يؤذن لهم إلا بمشقة ، ثم أنهم صاروا يرون نحو خمسين ألفاً من الأتراك قد البسهم الخليفة أثواب الديباج والمناطق والحلية المذهبة ، وميزهم بالزي عن سائر الجنود . (١)

كانوا يرون كل هذا ، فتطيش أحلامهم ، وتحرك فيهم روح انتقام خبيثة مع الجهل ، فكان منهم قطاع الطرق ، الذين بعدوا عن الوطن ، وتجرموا واستأنسوا بالعبث بالناس ، وبالتعرض لأسباب الشر على الدولة . ثم كان منهم آخرون أصحاب رأي وعقيدة صحيحتين ، وهؤلاء عرب اقحاح ، لم تنظم إليهم طوائف عصبية من العناصر المختلفة « فظلموا مع تغلب الأتراك على دولة بني العباس لا يقررون بالخضوع لهم بل كانوا على ما لم يزالوا عليه من الاستقلال بأمر أنفسهم في ديار ربيعة وفي ديار مضر ، ولا سيما بعد أن اسقط العباسيون أسماء العرب من ديوان المرتزة ، فكانت لا تزال تخرج منهم خوارج يدعون الناس إلى خلع

طاعة العباسيين ، واكثر هؤلاء العرب جمعاً وخروجاً بنوشيبان من ربيعة» (١) حتى قال بعض المؤرخين ان كثرة الخوارج على بني العباس كان عاملاً من عوامل اضمحلالهم .

وهكذا كانت سياسة العباسيين في تقريب العناصر الغربية الى الدولة سبباً في خلق اعداء لهم من البلاد ، عدا انهم حرموا من عامل قوي ، وعنصر فعال في الحرب ، ألا وهو المتطوعة ، ولم يكونوا من العراق فحسب ، ولكنهم كانوا يتوافدون من جميع انحاء المملكة الاسلامية ، من مصر واليمن والحجاز والشام والجزيرة ، والعراق .

خامساً - الحرية

وهم جند العرب ، وكلمهم من المشاة .

هذه هي فرق الجيش العباسي في عهد المعتصم .. وكان لديهم منبع آخر يدر عليهم بالجنود ، وهم الذين سميتهم بجنود :

فرض البعوث

وهؤلاء غير الجنود الذين ثبت اسمائهم في الدواوين وفرضت لهم الرواتب والارزاق والمهمات ، وغير المتطوعة الذين يكتبون من انفسهم ، بل انهم نوع آخر يتجمعون بطريقة اخرى ، وهي ان يأمر الخليفة ، ويفرض البعوث على اي الاقطار التي يعينها ، ويعين مقدار البعوث ، فتجتمع له هذه البعوث ، فيسيرها للجهات المهمة ، مع الجند النظامي والمتطوعين .

فلا يختلف ذلك عن النفير الخاص (اي الجزئي) وذلك لان الغتباء قسموا نفير الامة الى قسمين :-

١ - في حالة الدفاع : اي عند اعتداء عدو على جزء من المملكة الاسلامية عندئذ يكون النفير عاما .

٢ - في حالة دعوة الامام (او الحكومة) قسما من الامة : فيعينهم ومتى عينهم وجب عليهم النفير وحرّم عليهم التخلف فان ابوا الا التخلف فقد عصوا الله ورسوله واستوجبوا عقوبة الدنيا والآخرة قال تعالى : (الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما) وتشابه هذه الحالة حالة النفير الجزئي ، الذي سميناه بفرض البعوث قبلا ... ولقد اناطوا بالامام (اي الخليفة) تعيين نوع النفير سواء كان عاما او خاصا .
غير انهم صاروا يقولون شيئا فشيئا ، وامر الخليفة لا ينفذ بسهولة منذ ان تحكّم الانراك بشؤون الدولة العباسية ، اما :-

فرق الجيش العباسي ما بعد المعتصم

فقد تختلف عن اوائلها ، فالانراك مازالوا يشكلون القوة المهمة ، حتى اصبحوا خطراً على الدولة العباسية نفسها ، وآل الامر بهم الى الاستبداد في اهل الدولة واحتقار الجند العربي الاصلي .

فشأت منهم فرق اخرى ؛ ومن المغاربة ، والسودان ، والنوبة ، ايضاً ، ومن العرب شيء قليل ، غير ان العنصر المتغلب كان الترك ، فجعلوا يتنازعون النفوذ في الدولة ، وشاعت اللغة التركية بينهم ، ثم ان جنود العرب المشاة تحولوا الى

فرق متعددة . كما تعددت فرق الموالي من الترك والفرس والبرابرة .

ومن جملة تلك الفرق : —

١ — الشاكرية

ظهرت ايام المهدي واستفحل امرها في ايام المستعين بالله ، وتمردوا في بغداد مراراً عديدة ، وكانت تنفذ رغباتهم في كل تمرداتهم ، وكانوا في مبدأ امرهم كالضابطة ليس الا . وقد اشار اليهم الجاحظ في رسالته (١) وقال عنهم انهم لا يختلفون عن الجند ، لانهم يرجعون الى عمل واحد ، وهو طاعة الخلفاء وتأييد السلطان .

٢ — الفلمان الحجزية

وهم ضرب من الحرس الخاص ؛ في قصور الخلفاء وكانت في دولة الفوالم بمصر فرقة منهم ، ووصفهم لنا ابو العباس القلقشندي (٢) فقال : « بأنهم جماعة من الشبان يناهزون خمسة آلاف نفر يقيمون في حجر منفردة ، اسكل حجرة منها اسم يخصها ، وعدتهم كاملة ، وعلاهم مزاحاة ، ومتى طلبوا المهم لم يجدوا عائقا »

٣ — الساجية

نسبة الى يوسف بن ابي الساج ، احد عمال المقتدر بالله ، وقد عظم شأنهم في زمن القاهرة بن المعتضد ، وكان ابو الساج الذي تنتمي الفرقة هذه اليه من قواد المعتصم وقد اشترك في وقائع بابك الخرمي

وهي فرقة بلغ الرجال منهم الم لازمون لدار الخليفة المقتدر سنة ٣١٧ هـ (٢٠٠٠ ر) جندي بلغت رواتبهم بالشهر (١٢٠٠٠ ر) دينار ، اي ستة دنانير ، لكل واحد ، وكان عدد الخيالة منهم (١٢٠٠٠ ر) خيال ، رواتبهم في كل شهر (٥٠٠٠ ر) دينار ، اي (٤٢) ديناراً لكل واحد ، ومع انهم كانوا يتقاضون هذه الرواتب الضخمة ، فقد كانوا يثورون بوجه الخليفة دائماً (١) فكيف تستقيم يا ترى دولة هذه حالة جندها ، لقد عدم هؤلاء الاخلاص للمليكهم لانهم اناس غرباء ، لا يتصلون بالدولة بوشيجة القربى ، او الوطنية او الدم ، او اللغة ، او التاريخ ، ومثل هؤلاء لا تهمهم مصالح المملكة ، انما يهمهم امر اكتناز المال ، والا فاية دولة من دول الغرب المتمدنة ، يتقاضى الجندي فيها ٤٢ ديناراً في الشهر فان هذا المبلغ يساوي (٢٥) ديناراً عراقياً وريال واحد (٢) وهو كاترون راتب الرئيس عندنا ، فاذا كان الجندي يستولي على هذا المبلغ ، عرفنا اي حالة من الضعف وصلت اليه المملكة العباسية في اواخر ايامها .

ولا يسعني ان احصي الفرق جميعها ، اذ ليس هناك من المصادر ما استند عليه في تعدادهم ، والذي يهمني ان انبه الى ان الجيش العباسي اصبح فرقا متعددة

«١» ابن الاثير ج ٨ ص ٩٠ «٢» اوضحنا سابقا ان الدينار العباسي هو ثلاثة اخماس الدينار العراقي الحالي .

متباينة المبدأ والمشرّب واللغة والوطن ، وان كل فرقة اصبحت تستعمل نفوذها في الدولة على ما يبلغ اليه جهدها ، ولقد وصل الاتراك الى درجة ان صاروا يلمبون بالخلافة العباسية كل ملعب ويقتلون الخلفاء ويسجنونهم ويعذبونهم بأنواع العذاب حتى تركوا البعض منهم يموتون جوعا ، ويسألون الناس ولا يعطون .

واليك بعض تلك الفرق :-

- ٥ - البلالية
- ٦ - السعدية
- ٧ - النازوكية
- ٨ - البليغية
- ٩ - المهارونية
- ١٠ - الصلاحية
- ١١ - الاسدية
- ١٢ - النظامية

وعدا ما ذكرته من الفرق ، فرق اخرى كثيرة ، يجدها من يطالع تاريخ بني العباس . وانتي ولوا وجزت في بيان :

قوان الجيش في الدولة العباسية

فقد رسمت صورة واضحة عن الميوش العباسية آنذاك

ابو مسلم الخراساني (١)

ولقبه (صاحب الدولة ، او صاحب الدعوة) مولى من خراسان ، واهم

«١» تجد ترجمة مفصلة لابي مسلم الخراساني في وفيات الاعيان لابن خلكان

صفاته ، انه كان داهية ، قد مارس الحرب ، ونبع في القتال . وسوف نترجم له مستقين ترجمته من اصدق المظان واوثنها : كان ابو مسلم لا يحترم كتب الخليفة المنصور ويستهزى بها اذا وردت عليه ، وقد تقدم عليه في الحج ، وبلغه انه يشتمه ، فصمم المنصور على الفتك به ، وحق للمنصور ان يفتك به ، فلقد عظمت نفس ابي مسلم ، وكبرت مطامعه ، وراح يستفيد من منصبه وشخصيته التي تمت في ظل الخلافة للثأر من اعدائه في القومية حتى انه سفك دماء كثيرين من العرب ، وكانت اقل الشبهة لديه ، واصغر التهم ، ذريعة كبرى لازهاق النفوس العربية البريئة . ولما كان ابو مسلم هو المباشر للحروب وانواق وهو الذي يقدم للجند اعطياتهم . وقد تمت الانتصارات الباهرة على يديه ، وعلى كاهله وكواهل ابناء وطنه من خراسان ثم تأسيس الدولة العباسية ، وتأيد سلطانها ، ولهذه الاسباب كلها ، لم يكن لنفوذه حد في الخلافة ، وصار الخراسانيون بل القوم جميعهم ينظرون اليه كبطل قومي ، لا بد ان يستقل ويستأثر بالملك دون الخلفاء ، فيعيد اليهم سابق مجدهم ، مما حمل الخليفة على نصب الفخ له ، والايقاع به من قبل ان يتوجه الى خراسان وهناك يقطع كل علاقته مع الخليفة ، بين القوم الذين تار بينهم على الدولة الاموية ، فقتله سنة ١٣٨ هـ وبقتله عرف المنصور انه ابتداء سلطانه الحقيقي الذي لا يشاركه فيه احد ، وقال له نصحاؤه المخلصون : « عد من هذا اليوم خلافتك » وعجبي ممن عدّه في حماة الاسلام (١)

وما كان الفراغ الذي احده ابو مسلم كبيراً ، فلقد سده كثير من القواد العرب .

فرن جملتهم :-

معن بن زائدة الشيباني (١)

الذي اوقع بالراوندية الذين ناروا من اجل ابي مسلم للانتقام من المنصور ، وهو الذي اوقع بالخراسانية الذين تغلبوا على كثير من بلاد خراسان تحت راية قائدهم « سباز » الفارسي من بعد مقتل ابي مسلم . وكان سباز هذا مجوسياً من اهل قرى نيسابور ، اخذ يطالب بدم ابي مسلم ، وقد جهز المنصور جيشاً ، له وكان معن من قواد هذا الجيش المتقدمين ، فتبعهم وابادهم ، وكان عدد القتلى منهم ستون ألفاً .

وفي الراوندية ، والخراسانية ، وغيرهم من خوارج الفرس ، ظهرت نوايا ابي مسلم الخبيثة بصراحة ، وعرف حتى البسطاء من رجال الدولة كيف انه كان يرمي الى تأليف دولة فارسية .

وكان القائد معن الشيباني ، على مخالفة العباسيين لاول ظهور دعائهم ، والى مع مروان ، ثم مع قائده الاموي يزيد بن عمرو بن هيرة ، بلاء حسناً ، ولكنه اخلص في الاخير وكان من ولاة المنصور والمهاوي من بعده الذين يعتمد عليهم .

ولما كان المنصور موصوفاً بالحزم واليقظة ، والاستبداد بامور المملكة دون هؤلاء الموالي الذين لم يطمئن الى جانبهم ، فانه قرب اليه كثيراً من رجالات العرب ، واناط بهم قيادة جيوشه .

« ١ » تجد ترجمة مفصلة لمعن بن زائدة الشيباني في : وفيات الاعيان لابن خلكان .

ولقد ذكر نغمة من سيرة معن . ثم : -

عيسى بن موسى

وكان من اهل بيت المنصور؛ وهو من القادة الشجعان .

عمرو بن العلاء

الذي وجه المنصور سنة ١٤١ هـ لحرب بلاد طبرستان وكان
اعلم الناس بها ، ففتح الرويان واخذ قلعة الطاق .

خازم بن خزيمه

وهو من القواد السكبار ايضاً وهو الذي فتح طبرستان بعد ان
كانت مضطربة بثورة المصمغان (ملك دمباوند)

جمهور بن مرار المجلي

وهو من رجال ربيعة ، وقاتل « سنباذ » (١) أما : -

القادة في عهد المأمون

فقد كادت لكثرتهم ، وكثرة الوزراء الذين تصرفوا بشؤون الدولة من
رجال الفرس ، ان تشرف العصبية العربية على الانحاء ، ومن اشهر اولئك
القواد : -

١- لما قتل ابو مسلم قام بالشر له قائد فارسي على دين قومه من
الوثنية وهو « سنباذ » هذا ، وجمع لذلك جموعاً عظيمة ، وكاد يزول بلاد
خراسان لو لم يقاومه المنصور بالعصبية العربية ويعد له القائد جمهور فيقتل
من قومه في الموقعة نحو ستين ألفاً .

طاهر بن الحسين

بن مصعب بن زريق بن ماهان ، كان جده زريق مولى طلحة
الطلحات الخزاعي ... ولد طاهر بقرية (بوشنج) من اعمال
(مرو) وهو الذي قاد السكتائب الفارسية ، لحرب الامين ،
فتك بالجيوش العراقية العربية ، وسام حاضرة الخلافة
العباسية من الخسف والجور والهدم والاحراق والجوع والقتل
والتهب ، ما لا ينساه التاريخ .

عبدالله بن طاهر

ولد سنة ١٨٢ هـ في خلافة الرشيد وعاش في كنف المأمون
وفي ظل ابيه ، فنشأ قائداً حازماً .

ونحن لو القينا نظرة واحدة الى : -

وزراء المأمون

لادر كنا اي قومية كانت تسود في عهده . فمنهم : (١)

الفضل بن سهل

وكان ابوه مجوسياً من الفرس ، قتل سنة ٢٠٢ هـ فاستؤزر اخوه

الحسن بن سهل وقد تزوج المأمون ابنته بوران الفارسية .

احمد بن ابي خالد الاحول

وكان فارسياً من الموالي (مولى لبني المعجل)

أحمد بن أبي يوسف

وهو من الموالي أيضاً ، أشار بتوزيعه الحسن بن سهل .

ثابت بن يحيى الرازي من الموالي .

محمد بن يزيد بن شويد

وكان آخر وزرائه وكان مجوسياً من خراسان .

فانت ترى من القائمة في اعلاه ، ان كل الوزراء في عهد المأمون كانوا فرساً والوزير آنذاك يتصرف في الشؤون الحربية كما يتصرف في امور الدولة الاخرى اذ جمع العباسيون لوزرائهم خطي السيف والقلم ، ذلك ما دعا الشعب العراقي والسوري ان يشعروا بوجه السلطان ، فلقد نار نصر بن شيث العقيلي سنة ١٩٨ هـ على اثر مقتل الامين وانحطاط شأن العنصر العربي على يدي المأمون فطالت الحرب بينه وبين عبدالله بن طاهر قائد جيوش المأمون خمس سنين .

ولما كان المعتصم بالله اول خليفة ادخل الاتراك الديوان وكان يتشبه بملوك الاعاجم وبمشي مشيهم وبلغت غلمانه الاتراك بضعة عشر ألفاً (١) فيجدر بنا ان نستعرض : -

القواد في زمن المعتصم

فمن قواده : -

الافشين

وكان فارسياً من (اشروسنة) كان يكره العرب من اعماق نفسه وكان

يقول : « اذا ظفرت بالعرب شدخت رؤوس عظامهم بالدبوس » (١)
 وكان في حاشية المعتصم في حياة المأمون ... اناط به قيادة جيوش
 كبيرة ، وانتصر في مواقع عديدة ، فأكرمه المعتصم ، وتوجه به ، وعقد
 له ، حتى صار يمني نفسه بالملك والاستقلال ، وعود الدين الى ما لم يزل
 عليه في ايام العجم ، فالقي القبض عليه ، وحوكم فثبتت خيانتة بسلامة
 الدولة ، وانه كان يعد العدة للرحيل للمشرق حتى يستولي على خراسان
 وما وراءها من بلاد ماوراء النهر ، ليؤسس هناك مملكة تركية عظيمة ،
 وكذلك ثبت لدى القضاة كفره ، فامر المعتصم بصلبه ، ثم احرقه .

ايتاخ

وكان غلاما خزريا لسلام الابرش طباطبا ، فاشتراه منه المعتصم سنة
 ١٩٩ هـ وولاه قيادة فرقة في جيشه سنة ٢٢٣ هـ . ولم يزل قائدا
 عظيما ، في زمن المعتصم والواثق من بعده ، حتى قتل لأول عهد
 المتوكل على الله سنة ٢٣٥ هـ .

أشناس

وهو غلام تركي اشتراه المعتصم ثم اناط به قيادة الفرق .

عجيف بن عنبسة : من الموالي من خراسان .

وصيف : من غلمان الاتراك .

ابو موسى : بغا الكبير .

فكل هؤلاء القواد كانوا من الاتراك ؛ ونحن لا ننكر انهم كانوا شجعانا

واصحاب رجلة وبأس ، وقد ادوا المعتصم خدمات جليلة ولكنهم كانوا على طية خبيثة فلو لم ، يلاقوا من المعتصم شدة وعزما وبقظة في الامور ، ولو لم يكن سواد العرب راجحة كفتهم في الشام واليمن والحجاز ، ولو لم يقوموا بشورات متعددة احتجاجا على غطرسة هؤلاء الجنود الجفاة ، واستنكاراً لعدم احترامهم حقوق الامة ، لقلبوا اساس الدولة على عقبه ، ولا تقرضت الدولة العباسية على ايديهم منذ ذلك الوقت . اما قواد المتوكل : -

فهم : - ايتاخ

بغا الصغير المعروف بالشرابي .

بغا الكبير المشهور بأبي موسى .

باغر التركي وقد قتل المتوكل .

وصيف التركي .

زبرك التركي .

أوتامش .

سيما الشرابي . وغيرهم

وقس على هذا بقية الخلفاء ، وسوف ترى في بحثنا عن اسباب سقوط الدولة العباسية ، ان القواد الاتراك كانوا عاملاً كبيراً في ذلك ، وصدق ابن المقفع الحكيم الفارسي بقوله : « ان الذي يصلح على اعدائه بجيش لا يعلم دواخل صدورهم يكون مثله كمثل راكب الاسد ، الناس تراه فتوجل منه وراكب الاسد اشد وجلاً » (١)

ومن اجل هذا حكم جماعة من المؤرخين بأن الخلافة العباسية انتهت بالمعتصم (١) فان خمسين الفا من الترك قادة وجنوداً وولاء انور وعمال امصار تزايد عددهم يوما فيوما ، وعظم شأنهم حتى استاثروا بالحكم ، وصاروا يعينون الوزراء والخلفاء ، وفي اعتقادي ان الذي دونته فيه الكفاية لمن اعتبر والقي السمع وهو شهيد ، فلنخرج منه الى بحث آخر ، ألا وهو : -

التعبية عند العباسيين

ولا بد ان يوفي الموضوع حقه ، ان نجعل للبحث توطئة في : -
تطور التعبئة عند الله رب

لقد تطورت التعبئة عند العرب على الانظمة التالية : -

النظام الاول : نظام الكر والفر

قال العرب : كثر الفارس : اذا فر للجولان ثم عاد للقتال
وفر الفارس : اذا اوسع الجولان بالانمطاف ولم تكن
الحروب بالزحف صفوفاً ، مختصة بقتال المعجم على تعاقب
اجيالهم ، ولا انتصر العرب في جاهليتهم الاولى على
قتال الكر والفر ، كما اخبر بذلك العلامة ابن خلدون (٢)
واخذ عنه كل من كتب بعده ، بدون ان يكاف نفسه
عن التنقيب في كتب العرب للاطلاع على الحقيقة ، وبدون

(١) حمة الاسلام ج ٢ ص ٤٩ «٢» ابن خلدون في مقدمته ص ٣٢٠

والحلبية ج ١ ص ٢٨٠ .

ان يناقش العوامل التي اثرت على المؤرخ ابن خلدون فيما كتبه .
جاء في الافصح :- « زعموا ان امرأة قالت لولدها : اذا رأت العين
العين فدغراً ولا صفأ ، تقول اذا رأيتم عدوكم فادغروا عليهم اي اجهلوا ، ولا
تصفوا صفأ »

فيظهر لنا من كلام هذه الاعرابية ، انهم كانوا يحاربون بالصفوف ، غير انها
لشدة حماسها ، توصيه بأن يدغر ، ويحمل بكل شدة ويقدم ، ويضحي ، وان
يتحاشى الصف ، الذي من شأنه ان يكون التقدم فيه الى العدو بطيئاً ، ونحت
نظم واساليب مقررة لا يجوز التنكب عنها .

ومع ذلك ، فاننا لا ننكر ان العرب كانت تحارب بنظام الكر والفر ، غير
انه نظام قديم جداً عندهم ، وكيفية القتال به هو ان المقاتلة كانوا يحملون على العدو
بكل قوتهم ، النشابة منهم والذين يضربون بالسيوف او يطعنون بالرمح او
يرمون بالمزاريق ، مشاة وفرسانا ، فان صمد لهم العدو واحسوا بالضعف نكصوا
ثم اعدوا تنظيمهم وكروا ، اي قاموا بالحملة مرة ثانية . وهكذا يشمرون على
القيام بالحملة بعد الحملة ، حتى يتم لهم النصر او الفشل . الا ان هذا النظام كان
قديماً جداً بينهم كما اسلفنا ، فانهم كانوا اذا قاتلوا بنظام الكر والفر هذا يلجأون
الى طريقة غريبة ، تمنع رجالهم عن الفرار ، وتجعل لهذا النظام صبغة تعبوية .
الا وهي طريقة :-

اتخاذ المجبوضة

وذلك ان العرب القدماء كانوا يتركون ابلهم والظفر الذي يحمل ظعناتهم
وراءهم ، فتكون فيئاً لهم ويسمونها « المجبوضة » ومن المعلوم انهم كانوا اذا قاتلوا

او قصدوا غارة ، ركبوا الابل وخببوا الخيل ، ولكنهم كانوا اذا بلغوا ساحة القتال ، واشتبكوا بعدوم ركبوا الخيل وتركوا الابل وراء ظهورهم (١) يقود بزمامها العيال والصبيان ، وانهم بعملهم هذا تثبت اقدامهم في الحرب ، وتكون المعركة سجالا ، ويكثرون الكر بعد الفر ، اي انهم يقومون بالتعرض بعد الدفاع حتى انهم كانوا يكسرون جنون سيوفهم بقصد عدم الانسحاب او للكر مرة اخرى (٢)

وقد ذكر ذلك المؤرخون عن العرب ، وعرفه « بضر المصاف » ابن خلدون فقال : « ومن مذاهب اهل الكر والفر في الحروب « ضرب المصاف » وراء عسكرهم من الجمادات والحيوانات العجم فيتخذونها ملجأ للخيلة في كرم وفرم ، يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون ادوم للحرب واقرب الى الغلب » قلت ولم يكن ضرب المصاف مقتصرآ على العرب وحدهم في ادوار جاهليتهم ولكن ليس امة من الامم الا وهي تفعل ذلك في حروبها في تلك العصور الاولى اذ انها تراه اوثق في الجولة وآمن من العزة والهزيمة .

ولقد اخبرنا ابن خلدون نفسه ، وشهد لنا بذلك فقال : « وقد يفعله الفرس ايضا ليزيد ثباتا وشدة ، فقد كان الفرس وهم اهل الزحف يتخذون الفيلة في الحروب ويحملون عليها ابراجا من الخشب امثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ، ويصفونها وراءهم في حومة الحرب كأنها حصون ، فتقوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم . واما الروم وملوك القوط بالاندلس واكثر العجم

« ١ » مضى نقل ذلك عن : محاضرات الادباء للاصفهاني « ٢ » ابن

فكانوا يتخذون لذلك الاسرة ، ينصبون الملك سريره ، في حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته ، وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه ، وترفع الرايات في اركان السرير ويحدق به بسياج آخر من الرماة والرجال فيعظم هيكل السرير ، ويصبر فيئة للمقاتلة وملجأ للكر والفر »

ثم اننا لورجعنا الى ايام العرب ، وهي الوقائع التي جرت بين قبائل العرب في ادوار جاهليتها الاولى ، حتى ظهر الاسلام فاجتمعوا تحت راية واحدة ، ونسوا عصبيتهم القبائلية ، وشملتهم وحدة الدين . ثم لورجعنا الى وقائعهم ، مع الفرس او مع الروم ، لرأينا العرب ابداً نجح لضرب المصاف ، فان تركهم الابل والضعائن والهواذج ، وعليها النساء والولدات ، وراء الخط الثاني . مما يدعوا لاستماتتهم ، ولا شيء ادعى للاستماتة في القتال من الذود عن الاهل والمال .

ففي يوم ذي قار وقد جاءت الفرس ، ومعهم الف من الاساورة (والاساورة جمع الاسوار قائد الفرس) ومعهم مئآت من الفيلة ، ومعهم كتيبتا الشهباء ودوسر ومعهم من القبائل العربية ، تغلب والنمر وقضاعة ، ورأى العرب كثرة الفرس وعدتهم ، ارادوا ان يستमितوا في القتال ، فبادر قائدهم الاعلى حنظلة بن ثعلبة العجلي وقطع وضن الهواذج (اي انه امر فقطع احزمتها) فسقطن الى الارض ، وقال : « ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته » لانهم كانوا قد اصطحبوا معهم نساءهم ، ثم ضرب قبة (اي خيمة) على نفسه واقسم لا يفر حتى تفر القبة (١) والذي يبدوا لنا من هذا المثل ، ومن معارك لا تحصى عددها ، خاضها

« ١ » راجع لتفصيل وقعة ذي قار كتاب المثني ، ص ١٥ - ٢٦ مؤلفه

العرب الجاهليون في اوقات مختلفة ؛ بأنهم كانوا لا يتردون في ضرب المصاف وراهم . غير انهم لم يجمدوا على هذا النظام .

النظام الثاني : نظام الخماس

ابتكروا نظاما آخر للقتال كانت تتأمن فيه الفوائد التالية :

١ - انه كان اصلح لاجراء المناورة . ٢ - ا كفل للثبات

٣ - واكثر حماية في السير ، وامنع لمباغطة العدو وربما كان العامل المهم الذي دعاهم الى هذا النوع من الانظمة التعبوية ، هو تحرزهم من مباغطة العدو ، او كمينه ، او بيانه والبيات هو المفاجأة الليلية ، وما سوى ذلك فان ترتيب القوات في الجهات الاربع ، ميمنة ، وميسرة ، ومقدمة ، وساقة ، ثم جعل القلب في الوسط ا كثر سيطرة ، من نظام لا قاعدة فيه ، قد تتباعد فيه القوات ، او يتداخل بعضها في بعض ؛ وربما ازدحم خيالتها بمشاتها ، او انتشر الرتل انتشارا لا لزوم له ، أو اصبح رتلا طويلا يتعذر تبليغه الاوامر ، او اشتركوا اخره في الحرب في الزمن الذي تشترك فيه طلائعه .

ولما ابتكر العرب هذا النظام ، سمو الجيش الذي يقاتل بهذه التعبئة « الخيلس » وجعلوه خمسة اقسام .

الميمنة	[	وهما في الجناحين تكون الميمنة عن يمين القلب والميسرة عن يساره
الميسرة	]	
المقدمة	[	وهما في الامام والوراء . تكون المقدمة في طليعة القلب من
الساقة	]	الجيش والساقة وراء الجيش .

القلب وهو القسم الخامس ويجعلونه في مركز الاقسام الاربعة الاخرى ، ويكون القلب مقر القائد العام ، لانه يحل وحاشيته فيه ، مثلما يكون لكل قسم من الاقسام الاربعة ، امر وحاشية وراية وشعار خاص ، وتكون الانتقال على جنب

وفي هذا النظام كان العرب في جاهليتهم ، يضمون المتعارفين بعضهم الى بعض في قسم واحد ، ويسمون الامير الذي يتودها : « امير التعيبة » واغلب ما يكون امراء التعيبة من رؤساء القبائل ، اولى الراي والنجدة والفروسية في الحرب ، والكلمة النافذة في القبيلة ، ولما جاء الاسلام ، وانتشر العرب في الاصقاع لم يجد القادة العظام من الصحابة بدا من الاخذ به ، ولم يسعهم الاستغناء عنه ، فكانوا يسرون في اراضي العدو بهذا النظام ، حتى يقتربوا من العدو ، ويتأسوا به فيمدلون الى نظام آخر .

ولقد ظل هذا النظام مرعياً ، ومعمولاً بمقتضاه قروناً عدة ، فقد اخذ به الامويون ، والعباسيون من بعدهم . ولا تزال الجيوش المتمدنة تسير بهديه ، في حروب البادية وحركات الصحراء الخ . (راجع محاضرة العقيد قاسم شكري) وكان القائد العام الذي يحل في القلب من جيشه « ينتقل من موضع الى آخر ويرتب اصحابه ، والاخبار والرسل تأتي الى نائبه تحت العصائب ، وهو بمنزلة



خارطة العراق - للاصطخري

ضابط الركن فيبلغها اليه ، وهو يردف كل مكان كثر العدو فيه ، بطائفة من
عساكره « (١) فهو بهذه الحالة متصل باجزاء الجيش كلها ، ومحافظ على الارتباط
بامراء التعبئة وخلفائهم ، ومشرف على سير المعركة ، ومقدر المواقف التعبوية
حق قدرها ، ولذلك فانه يستخدم احتياطه في الاماكن الضرورية ، ويكشف
قواته لمقاومة صدمة العدو .

وكانوا يجهلون في الاجنحة اهل الدربة والمخبرة بالحروب .
اما الطلائع فتكون اصحاب الخيول السبق والرمي والخفة في الطراد والمقابلة ،
كما هي الحالة في هذه الايام .

اما الساقة فيجب عليها الثبات والصبر والجد ، واهل القلب كذلك .
ثم جاء الاسلام والعرب من الاصطلاحات العسكرية ، في كل انواع القتال .
ولا بدع في ذلك فلقد عرفت انهم اشتهروا بالغزو والقتال ، وكانت لهم
ايام غر في الفتوح والحروب ، فلا عجب والحالة هذه ان تكثر في لغتهم الالفاظ
الحربية والمترادفات العسكرية .

مما يدل على انهم بلغوا الغاية في الترتيب وحسن النظام والانتظام ،
وانهم كانوا يبنون الخطط الحربية ، ويقومون بالحركات السوقية ، الطويلة الشاقة
بعد ان يستقوا المعلومات عن العدو وعن ارضه ، بصورة مفصلة وكانهم صاروا
يعتنون بامر الاستعلامات والاستطلاعات ، فانهم اعتنوا بالحماية في ضروب
انواعها ، سواء في الاقامة الطويلة ، والمبيت ليلة واحدة ، او في اثناء المسير .
ومن تلك :

الاصطلاحات العسكرية

النفیضة : - وجاء فی معاجمهم أنها « الجماعة يتقدمون الجيش ، سمو بذلك لانهم ينفضون الارض لينظروا ما فيها » (١) ثم كان لهم : مما لا نجد فراغا في الوقت لتفسيره .

الطليعة : - قال النعماني : انها تقوم بالاستكشاف وتتبع آثار جيش العدو

المجردة

الريثة

الجريدة

الدراجة

الردء

الروعة

الكيول

وذلك غير ما اسلفنا ذكره ، من المقدمة ، والميمنة والميسرة ، والساقة ، والركبان (٢) والروعة . وقال عنها النعماني : تكون وراء الساقة مهمتها مراقبة العدو لتلايهاجم الجيش من وراء .

وبما ذكرناه في اعلاه نرد على ما ذكره مؤلف تاريخ المدن الاسلامي ج ١ ص ١٤٤ « اما العرب قبل الاسلام فقد كانوا اهل بدو لا نظام للجند عندهم ، وانما كانوا قبائل اذا ارادت احداهن حربا جردت رجالها ومنهم الفرسان والمشاة

« ١ » القاموس « ٢ » لقد جاء تفسير الركبان في اشهر مشاهير الاسلام

وعنايهم الفرسان ، وقد غلط في ذلك فالركبان هم : القوافل الخلفية من نساء واطفال وائقال ، اما النعماني فقد قال عنهم انهم راكبوا الهجين .

ومعهم الأسلحة المعروفة في الجاهلية كالقوس والرمح والسيف - إلا ما كان من نظام الجند في الدول العربية التي تمدت قبل الاسلام كالتبابعة ملوك حمير والمناذرة ملوك الحيرة ، فقد ذكروا للمناذرة كتيبتيين من الجند تسمى احدهما (الدوسر) والاخرى (الشبهاء)

النظام الثالث : نظام الصفوف او النحف

قال ابن خلدون (١) « وكان الحرب في اول الاسلام كله زحفا ، وكان العرب يعرفون السكر والفر ، لكن حملهم على ذلك في اول الاسلام أمران : -

احدهم ان اعداءهم كانوا يقاتلون زحفا ، فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم .

الثاني - انهم كانوا مستميتين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ، ولما رسخ فيهم من الايمان ، والزحف الى الاستامة اقرب »

وهنا نقطة تستلفت النظر في كلام ابن خلدون ، فان هو قصد باعداء الاسلام قريش ، فقد يصح كلامه ، اما اذا قصد الفرس والروم في اثناء الفتوحات فتقوله مردود ، لاسباب كثيرة منها : -

١ - كان العرب في جاهليتهم على غير نظام وكانت حروبهم من النوع الذي يعبرون عنه بالكر والفر فلما ظهر الاسلام كان في جملة اوامره ، ترتيب الناس صفوفًا في الحرب ، ونزلت الآيات في ذلك ، قال تعالى :

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »

وفي الحديث « المؤمن المؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً »

٢ - قال ابو دجانة الانصاري في غزوة احد الواقعة سنة ٣ للهجرة :

انا الذي عاهدني خليلى ونحى بالسفح لدى النخيل
أن لا اقوم الدهر في الكيول اضرب بسيف الله والرسول
والكيول آخر صفوف الحرب (١)

فلم يرغب ابو دجانة ؛ وهو الشجاع الذي كان يقاتل عند الحرب ؛ ان
يحارب في الصفوف المتأخرة ، مما أعده رسول الله ﷺ

٣ - قاتل النبي قريشاً بنظام الصفوف في بضع وقائع

٤ - ان النبي استعرض اصحابه يوم بدر الكبرى سنة ٢ هـ لما تزاحوا ودنا

بعضهم من بعض ، فجعلهم صفوفاً ، واخذ يعدل صفوفهم وفي يده قدح

(اي سهم لا نصل له ولا ريش) فمر برجل اسمه سواد كان خارجاً

من الصف ؛ فطعنه النبي في بطنه بالقدح ، وقال له : « استويا سواد »

وانه بعد ان عدل الصفوف ، وخطبهم خطبة ختمهم فيها على الجهاد ،

وعلى المصابرة فيه عاد الى العريش الذي كانوا نصبوه له (٣)

٥ قال ابو العلاء المعري يجيب احد الشرفاء من قصيدة : -

يا ابن مستعرض الصفوف بيدى ومبيد الجموع من غطفان

« ١ » لباب الآداب لاسامة بن منقذ ص ١٧٧ ، طبقات ابن سعد ج ٣

ق ٢ ص ١٠٢ . وفي سيرة بن هشام ، وآخر سمير الليالي وغيرها « ٢ » السيرة

الحلبية ج ٢ ص ١٥٦

أي يابن الذي عرض صفوف الرجال للحرب يوم بدر ، يعني النبي ﷺ والذي اهلك الجماعات الكبيرة من هذه القبيلة

٦ - وبناء على ذلك ، فقد كانت حروب المسلمين في ايام النبي صفوفاً ، وهو ما يعبرون عنه بالزحف ، فكانوا كما رأيت يسوون كما تسوى الصفوف للصلاة ، ويمشون بصفوفهم الى العدو قدما واحدة ، صفّاً بمد صف ، وبهذا النظام الذي لا عهد لقريش به ، او انهم تناسوه انتصر الرسول عليهم في مواطن كثيرة ، حتى عد ذلك بعض المؤرخين من جملة اسباب نصره المسلمين على اعدائهم ، الذين كانوا اكثر عدداً واكمل عدة ألا انهم كانوا يقاتلون بنظام الكر والفر ، واننا لو القينا على تطور التعبئة نظرة الفاحص ، لوجد القواد العظام الذين كسروا جيوشاً جرارة ، وافتتحوا امصاراً عدة ، مثل الاسكندر المقدوني ، والسultan سليمان العثماني ، و نابليون ، وغيرهم ، انما كان سر غلبتهم ، انهم دخلوا الحرب بنظام تعبوي جديد ، او انهم تسلحوا بأسلحة جديدة تفردوا بها دون اعدائهم ، تلك هي مزية الابتداع . وليس امرؤ ينكر ان العرب كانوا اكثر العالم ابتكاراً وابتداعاً ذاتياً فلقد حكموا العالم كما قال اعداؤهم على غير مثال مثل لهم

وكان الجند في ايام النبي يترتب صفين او ثلاثة ، في صفوف مزدهمة ويتقدمهم حاملوا الرماح لصدهجمات الفرسان (١)

فلما تكاثر المسلمون في ايام الخلفاء الراشدين ، صاروا يجعلونه صفوفاً يرتبونها

باعتبار اسلحتها والاحوال المحيطة بها ، ونورد على ذلك بعض الامثلة : -

وقعة صفين (١) سنة ٣٧ هـ

فلقد خطب علي ابن ابي طالب جنده ، وحضهم على الحرب ، وذكر فيها عدة وصايا (٢) قال : « إن الله قد دلكم على تجارة تتجيمكم من عذاب اليم ، فاخبركم انه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، فسووا صفوفكم ، وقدموا الدارع واخروا الحاسر ، وعضوا على الاضراس ، فانه انبي للسيف عن الهام ، والتوا في اطراف الرماح فانه اصرن الاسنة ، وعضوا الابصار فانه اربط للجأش ، واميتوا الاصوات فانه اطرء للفشل واولى بالوقار ، واقيموا اربابكم فلا تميلوها ، ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم ، اجزا امروه قرنه ، وآسى اخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى اخيه ، فيكتسب به لأمة ودناءة ، وكيف لا وهذا يقاتل اثنين وهذا ممسك يده قائما ينظر اليه ، من يفعل ذلك بمقتة الله ، قال الله لقوم : لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل ، واذا لا تمتعون الا قليلا ، استعينوا بالصدق والصبر فان الله ينزل بعد الصبر النصر »

والخطبة طويلة ، وقد شرحها المؤرخون ، وهي تنطوي على خلاصة نظام الحرب والقتال في ايام الخلفاء الراشدين ... والذي نتوخاه من ذكرها والاشارة اليها هو ان العرب كانوا يقاتلون زحفا بالصفوف ، والصفوف الاولى

(١) اذا شئت ان تتقف على اخبار هذه الحرب فارجع الى كتاب : وقعة

صفين ، طبع بالمطبعة العباسية ببغروت سنة ١٩٢١ في ٤٠٠ صفحة ٢، منقولة

عن تجارب الامم لابن مسكويه ج ١ ص ٥٨٣ وهي في كتاب وقعة صفين

ص ١٦٩ - ١٧٠ أطول ، وكذلك في شرح النهج .

هم الدارعون ووراءهم الحاسرون .. انما تتجلى تعبئة العرب بصورة اوضح بما ذكره المؤرخون عن النظام الذي اتخذته معاوية ابن ابي سفيان في وقعة صفين نفسها ، قال ابن مسكويه : « ولما اصبح علي في ميمنته وميسرته ومعاوية في مثل ذلك ، وباع رجال من اهل الشام على الموت فعقلوا انفسهم بالعمائم ، فكان المعقلون خمسة صفوف ، وكانوا يخرجون ويصفون احد عشر صفاً ، ويخرج اهل العراق احد عشر صفاً » (١)

ولا شك ان اهل الشام الذين عقلوا انفسهم ، وباعوا على الموت ، دون الهزيمة ، ورتبوا قواتهم في خمسة صفوف ، انهم اتخذوا نفس النظام الذي كان يتخذه فيليب المقدوني ، وابنه اسكندر الكبير من بعده ، وهو نظام الصفوف المنظمة ، فلقد كان اليونان يرتبون جيوشهم على خمسة صفوف ، وسلاح كل صف يختلف عن سلاح الصف الآخر ، وكان سلاحهم من الصف الاول الى الخامس على الوجه التالي :

الرمح القصير والسيف والحراب

» المتوسط

» الطويل والاطول

المزاريق التي تنذف

القوس والنشاب

واذا سلمنا بأن العرب اصحاب ابتكار واختراع ، وان اهل الشام من الفساسة قد اختلطوا بالروم ، وانهم كانت لهم دولة وجيش ، كما اشرنا الى ذلك في بحثنا

بقايا بيت الخليفة في سامراء.



عن التجنيد عند الاسلام ، وانه قد جرت بين العرب وبين الفرس ، وبين العرب من المناذرة او الفساسنة ايام عديدة شهيرة لا تزال مسطورة في التواريخ ، ثم اذا اضفنا الى كل ذلك ان الاسكندر المقدوني فتح الشام والعراق في القرن الرابع قبل الميلاد ، اقلنا لاول وهلة بأن العرب كانوا يعرفون : -

نظام الصفوف المنظمة

وانهم كانوا يحاربون به ، فينتصرون .

هذا ولا اكف نفسي مؤنة الادلال على ان العرب في بدء اسلامهم قد اخذوا بنظم تعبوية جديدة ؛ بينما كانت هذه النظم قد قدم عهدا عند سوام ، فكان الرسول ﷺ يحارب قريشا بأساليب مجهولة ، وخالد بن الوليد انتصر في اليرموك على خمسة امثال قوته من الروم إذ فاجأهم بتعبية لم تعب العرب مثلها واما في القادسية « فربما كانت التعبئة عند العرب ارقى من ذلك وأحسن نظاما وترتيباً ، فقد ذكر الطبري (١) ان سعد بن ابي وقاص قدّر الناس وعبأهم بشراف كما امره عمر رضي الله عنه فامر امراء الاجناد وعرف العرفاء على كل عشرة رجلا ، كما كانت العرافات ازمان النبي ﷺ) قال الطبري وكذلك كانت الى ان فرض العطاء) وأمر على الرايات رجلا من اهل السابقة ، وعشر الناس وأمر على الاعشار رجلا من الناس ولهم وسائل من الاسلام ، وولى الحرب رجلا ، فولى على مئتمراتها ومجنباتها وساقمتها ومجرداتها وطلائعها ورجلها وركبانها ، فلم يفصل (اي من شراف) إلا بتعبية .

وهكذا باغت الفرس بتعبية لم يهتدوها من الجيوش العربية قبل ذلك ،
فانتصر العرب ، وهزم الفرس .

ووصف لنا ابن خلدون :-

فائدة نظام النحف

فقال (١) : « تكون الصفوف اثبت عند المصارع »

« واصل في القتال »

« وارهب للعدو »

« لانه كالحائط الممتد وانقصر المشيد لا يطمع في ازالته »

« وان المقصود منه حفظ النظام »

« واما قتال الكر والفر ، فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة »

ما في قتال الزحف »

وتفسير هذا القول ، هو ان القوات اذا دخلت الحرب وكانت مرتبة
ترتيباً عميقاً ، فانه تبقي دائماً بيد الامر قوة احتياطية يعالج بها الطوارئ التي لم
تكن في حسبانها ، كأن يصد الهجوم المقابل الذي يتدبر به العدو ، او ان يضرب
السكران الذي لم يعرف شيئاً عنه ، او ان يحمي الاجنحة التي تهددها العدو
بالخيالة ، او بالتفاف المشاة ، او صدم عن التقدم بما نصبه من عرافيل ، او ان
يستثمر القوز الذي اقتطعته القطعات الامامية اي الصفوف الاولى .

والذي يتضح لنا ان نظام الصف ، لا يختلف في شيء عن التوزيع العميق ،
الذي يوصي العسكريون باتخاذ في هذه الايام ، ولو عرفتم زيادة على ذلك ان

العرب عند زحفهم في نظام الصفوف كانوا يتركون فروجا ودوربا بين كل جماعة صغيرة واخرى من الصف الواحد لفلتم انها قطعات منتشرة على مسافات طويلة تسندها من ورائها قطعات اخرى ويشدازرها بزحما الهجوم ولنا في الآن على امر آخر .

فلقد عرفنا ان العرب كانوا يضربون المصاف ، سواء في نظام الكر والفر ، او نظام الزحف ؛ وكانوا يقصدون بذلك الاستماتة في الحرب ، والثبات بوجه العدو ، فكانوا يحضرون الى ساحة الحرب ما عندهم من خيل وجمال وفساطيط وبيوت شعر وميرة ، وكانوا يرفقون معهم نساءهم واطفالهم على الهودج ، كانوا يجرون ذلك في ايام جاهليتهم ، واسكنهم لم يتخلوا عن هذه القاعدة حتى واسط الدولة الاموية ، فكانوا مع ثباتهم بالزحف ومع حفظ اجنحتهم بالمجانب ، اي الميمنة والميسرة ، ووضع الساقة في الورا ، درءاً لخطر الالتفاف حولهم ، وقطع خطوط الرجعة عليهم ، فانهم كانوا يزدادون بما خلفوه وراءهم استماتة في الحرب وصبراً على القتال . . . وكان الامويون في بدء دولتهم ، وفي ابان فتوحاتهم العظيمة يحملون نساءهم معهم في القتال ، وبركونهم على الحامل ، حتى كن يقلعن في البحر مع رجالهم الاسطوليين ، واخبر البلاذري (١) انهم كانوا يفعلون ذلك ارادة الجد في القتال ، للغيرة على الحرم .

ولا حاجة ان نعرفكم بأن النسوة في صدر الاسلام (راجع سيرة ابي بكر ص ١١٧ و ١١٨ والهامش و ص ١٣٥ ايضاً وهامشها) ونسوة بني امية ، هن غير نسوة هذا العصر ، بل وغير النسوة في عهد بني العباس ، فلقد كان النساء العربيات متمرنات على اعمال الحرب فنهن :

اللاتى يضمذن الجرحى ، ويحملن لهم الادوية .
ويعرضن المرضى ، ويعتنين بصحتهم ، كما تفعل الممرضات الآن .
وينقلن الماء للمحاربين ، وينقلن الطعام لهم .
ويشجن المقاتلة بالزغاريد والاهازيج (اي النشائد الحربية)
ويضربن وجوه الرجال بالعمد اذا انسحبوا ويحثنهم بالتراب .
ويباشرن القتال كما يباشره الرجال ، وكن يركبن الخيل .
حتى ان الاميرات في العهد الاموي كن يتدربن على ركوب الخيل ويشتركن
في السباق . (١)

واتني لارجو ان تلتفتوا الى اعمال امرأتين : -
اولاهما : اروى بنت الحارث بن كعدة في فتح البلاد الفارسية ، اذ جعلت
خمارها مرة لواء ، فقلدها النساء بالاسلات ، وخرجن على الخيول يردن
الحرب ، وقد التقين بكتلة من المسلمين تحارب الفرس فكبرن وهجمن
فكن سبب النصر .

ثانيتها : خولة بنت الازور التي ابدت في حرب اليرموك بطولة عجيبة ، وجاءت
خالد عندما كان يرتب الجيش ، ومعها النساء يطلبن ان يجعل للنساء
نصييا في الجهاد فرتبهن اقساماً ، يقمن بشؤون حربية شتى ، من تضييد
الجراح الى معالجة المرضى ، الى اعداد الماء والطعام ، الى غير ذلك ؛
واما القسم الآخر ، فاناطن بقيادة خولة ؛ واذن لهن بالنزال .
وعليكم من فتوحات عثمان في ارمينيا ما قال ابو النصر في كتابه « عثمان بن
عفان ص ٥٥ » : ومما يؤثر عن شجاعة النساء العربيات ... الخ (راجع ايضاً

المرأة العربية ، وربات الخدور ، وأشهر مشاهير الاسلام ، والسياسة والاسلام للعظم)
وكان النساء في مواقع أخرى ، يظهرن على الاسوار وعليهن العمام فيقاتلن (١)
انما تنوسي الصف وراء المقاتلة بما دخل الدولة الاموية من امور الترف ، ولم يعودوا
يحملون نساءهم واولادهم معهم الى الحرب ، اما بنو العباس ، فلم يحملوا معهم امرأة
قط ، الا ما كان من امر اختي السفاح ، اذ خرجتا مجاهدتين مع الفزاة ، وكان
جهادهن ذلك نذراً عليهن ، وفيه بسقوط الدولة الاموية (٢) حتى انهم قالوا :
« ومن ادب الحرب ان يتجرد الجيش ولا يصطحب الاثقال كالدواب .
والنفارش والجواري فيتعلق قلبه بذلك فيفشل عن الحرب (٣)

النظام الرابع : نظام السكرانيس

فانه ما تولى الخلافة عمر بن الخطاب ، وكثر جند العرب ، واندمج
فيه صنوف كثيرة ، وتعددت معادتهم حتى صار قوادهم يتشون
عن نظام اكثر مرونة من نظام الزحف ، واشد سيطرة ، لان
الجيش اذا كان عظيم ، وكثرت ما بين صفوفه الفروج والدروب ،
ثم المسافة بين كل صف وآخر ، فحينئذ يتعذر على القائد ادارة هذا
الجيش الذي يشغل مساحة مترامية الاطراف ، هذا من وجهة
السيطرة . وأما وجهة الحركة ، فان نظام الزحف تصعب فيه المناورة
والالتفاف حول جناح ... ولما رأى العرب هذه المحاذير عمدوا

١ و ٢ ، فتروج البلدان للبلاذري ٣ ، مفيد العلوم للخوازمي

للاخذ بنظام آخر ، فكان لديهم : نظام الكراديس .
والقاعدة في هذا النظام ان يقسموا الجيش الى عدة كتل دعوا كل كتلة
منها (كردوساً) (١) وجعلوا على كل كردوس قائد وحاشيته وراياته ، وبين
الكردوس والآخر فرجات مناسبة ، تحكم بسعتها طبيعة الارض وسلاح العدو .
وكان الكردوس العربي في عهد عمر بن الخطاب يتألف من (١٠٠٠) مقاتل
وينقسم الى اجزاء عشرية ، ويولى على كل قسم آمر ، فالعرفاء يقود كل منهم
عشرة مقاتلين ، وامراء الاعشار ، يقود كل منهم (١٠٠) جندي .
وبهذا النظام تيسر المناورة من إتساف لقطع خط الرجعة ، او احاطة
لضرب جناح ، او انسحاب بالمقدمات ، او امداد كراديس في الامام لحقها
الاذى ، وبعد كل هذا ، كي لا تكون الهزيمة عامة ، فانه اذا انسحب كردوس
تناضل عنه كراديس اخرى ، ولهذا قالوا : « ان الكراديس اثبت في الحروب »
وقد اتخذ خالد بن الوليد :-

نظام الكراديس في اليرموك سنة ١٣ هـ (٢)

فجعل جيشه الذي ناهز الاربعين الف مقاتل (٣) (٤٠) كردوساً ، (وقيل ٣٦)
وجعل كل كردوس يتألف من (١٠٠٠) جندي ، ثم انه الف من هذه الكراديس
فرقا ، فجعل الفرقة الواحدة تتألف من عشرة كراديس ، فكان عدد الفرقة

« ١ » لعل الكردوس معربة عن « كورتيس » الرومانية « ٢ » راجع
الطبري ج ٤ ، ٣ ، كان عددهم بالضبط كما يأتي : ٢١٠٠٠ جيش الامراء الاربعة
و ٦٠٠٠ جيش عكرمة و ٩٠٠٠ جيش خالد و ٣٠٠٠ فولول جيش خالد بن سعيد
والمجموع ٣٩٠٠٠

الواحدة عشرة آلاف جندي ، وعين لكل فرقة قائداً كبيراً ، وتألف جيشه من ثلاثة فرق :-

- ١ - أبو عبيدة بن الجراح ، على كراديس القلب .
 - ٢ - وعمر بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، على كراديس الميمنة .
 - ٣ - ويزيد بن أبي سفيان ، على كراديس الميسرة .
- ثم أفرز الطلائع وجعلها تتقدم ككتلات الكراديس وكان هو نفسه قائداً عاماً للحملة كلها « وعلى كل حال فخالد هو أول من أدخل نظام تعبئة الكراديس في الجيش العربي ، طبقاً للأساليب التي كانت متبعة في الجيش الرومي مع تعديل يذكر (١) فهو لم يحجم عن اقتباسها ؛ حينما رأى أن ذلك يفيد في منازلة خصمه وكان يفوقه عدداً وعدداً واسلحة وتدريباً ، وكانت ذلك من جملة الوسائل التي يسرت له ذلك الفوز العظيم » (٢) وقد كتب الأستاذ أوجست مولر في كتابه الاسلام ، يصف :

خالد بن الوليد

فقال : « لقد كان خالد بن الوليد من أولئك الذين كانت عبقريتهم الخربية هي كل حياتهم الفكرية مثل نابليون ، فإنه لم يعن بشيء غير الحرب ، ولم يرد أن يتعلم شيئاً غير ذلك » (٣)

« ١ » للوقوف على تنظيم وتعبئة الجيش الرومي راجع ج ١ ص ١٤٣ تاريخ التقدم الاسلامي « ٢ » تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ١١٠ « ٣ » كتاب أبي بكر الصديق لمحمد رضا ص ١٤٢



نقوش جدار في سامراء

ومن ذا الذي يدري ماذا كانت يصنعه خالد لو انه تلقى الفنون الحربية واستعمال الاسلحة المختلفة ، واساليب القيادة ، وخطط الهجوم والدفاع ، او انه عاش في زمن انتشرت فيه الطرق المنظمة وامتدت السكك الحديدية لنقل الجيوش وتوطينها ، في زمن اختراع التلغراف والتليفون والاسلاك ، والاسلاك الشائكة والغازات الخائقة ، والمدافع الكبيرة ، والاساطيل العجيبة ، والمفرقات الخفيفة ، والطائرات التي تلحق القنابل ؟

الا ترى انه بمواهبه الحربية الفطرية وشجاعة قلبه وعقيدته الاسلامية ، قاد جيوش المسلمين على قلة عددهم وعددهم ... فهزم امبراطوريتين ملكتا العالم بكثرة جيوشهما ، ووفرة الذخائر والمال . الا وهما الفرسان والرومان .. فهل تقاس هذه الشجاعة الخارقة وتلك المواهب النادرة ، التي اكتسحت الامم بأي قائد من قواد الدنيا ؟ اللهم لا . (١)

ومن كل هذا يظهر لنا جلياً ، بأن ما اورده العلامة ابن خلدون في مقدمته (ص ٣٢٢) غير مطابق للواقع ، فانه قال : « واول من ابطل الصف في الحروب وصار الى التغبية كراديس مروان بن الحسك في قتال الضحاك الخارجي والحبيري بعده » وليس المقصود من حديث الطبري اذ قال : « وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وابطل الصف من يومئذ » انه اول من قاتل بنظام الكراديس .

ولقد فطن العلامة شبلي النعماني ايضاً الى هذه العبارة من كلام ابن خلدون في فصل الجيش من مقدمته ، فقال : « انه خطأ ظاهر »

ولما لم يكن البحث عن هذه النظم بوجه التفصيل من منشودي ، فحسبي أن أشير الى بعض المآخذ للاطلاع عليها ، والا فانه عسير جداً ، ان يجد الباحثون العسكريون في بطون الاسفار التي خلفها لنا الاوائل ، قواعد العرب العسكرية ، ومبادئ قتالهم ، وفنون الحرب لدى قوادهم ، انما يجدها الباحث متفرقة هنا وهناك ، نتفاً وشذرات في بعض الرسائل والكتب التاريخية والادبية واللغوية . مع اننا لا ننكر بأن الكتاب المتأخرين من العرب سيما رجال الدولة العباسية في اواخر ايامهم ، قد دونوا في ذلك كتباً كثيرة ، ضاع معظمها ، كما ضاعت معظم آثارهم ، وانما وقعت بأيدي المستشرقين فاصبحت نادرة عزيزة الوجود . ومن تلك المآخذ : -

- ١ - كتاب ابي بكر الى خالد سنة ١٢ هـ وغيره من الكتب وكتابه الى عمرو بن العاص لما اوفده الى فلسطين .
- ٢ - كتاب عمر الى سعد سنة ١٤ هـ وغيره من الكتب ، ككتبه الى المثني ، وخالد ، والنعمان بن مقرن .
- ٣ - وصية علي ابن ابي طالب الى جنده في صيفين سنة ٣٧ هـ
- ٤ - رسالة عبد الحميد الكاتب في نصيحة ولي عهد مروان بن محمد ، وفي صفة تعبئة الحروب ، والحذر من العدو والمكيدة له ، وانتقاء القواد ، والاستعدادات بالآلات والاموال ، والحض على القتال ، واذكاه العيون ، وقواعد في الاستخبارات ، واستنطاق الجواسيس ، واخراج الحرص ، والحماية في المسير ، وانتقاء للمسكرات ، والحجاب ، والبيات والكمين ، والمطاردة ، واساليب بث الدعاية ، وكيفية النهي للمعركة ، وانواع التعبئة .. الخ

ونجدها في : عصر المأمون للدكتور الرفاعي ج ١ الذي طبع حديثاً ،

وفي : رسائل البلغاء التي عني بجمعها محمد كرد علي ص ١٣٩ - ١٦٤

ووردت في المجلة العسكرية السنة الاولى (١٩٢٤ م) ج ٢ ص

١١٥ - ١٢٠ ، كما ورد قسم منها في تاريخ التمدن الاسلامي ج ١

ص ١٨٦ ولقد قيل عنها « انها لا مثيل لها في معناها »

ونتمنى لو تصدى اليها احد الضباط ، فشرحها ، وطبق ما فيها على نظمات

الخدمة الدفعية ، وطبعها على حدة . في كتاب مستقل ، والآن نرجع الى :

نظمات التعبئة في الدولة العباسية

فلقد اقتبس العباسيون ، كل النظم السابقة ، ودرسوا كل ما الفه العرب في

عهد بني امية ، واطلعوا على كتب المغازي المؤلفة في اول دولتهم ، ثم ترجوا

كتباً عسكرية كثيرة ، اوضحت لهم كيفية الحرب عند القدماء ، فتعددت ضروب

التعبية عند العباسيين حتى صارت سبع تعبيلات . وانهم وان كانوا لا يستعملونها

كلها ولكنهم ادخلوها في فنونهم الحربية وتدخل جميعها في :

النظام الخامس : نظام الانفتاحات (١)

التعبية الاولى : ان ترتب الجيوش بشكل الهلال . قالوا ان الفرص المتقدمين

ذ كروه ، وهو نوعان ، الهلال المرسل او الحاد ، وهو البسيط

« ١ » منقولاً عن تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٨٧ - ١٨٨ اثبتناها

كلها لانها وردت ناقصة في كتاب التعبئة مبحث الحماية ج ١ ص ٣٦ مثلما

اوردها في المجلة العسكرية ، السنة الثانية ، ١٩٢٤ ، ج ١ ص ٤٩ ناقصة

ايضاً ، ونقلها احمد رفيق بتاريخه التركي ج ٥ ص ٣٢٧

مثل هلال السماء .

التعبية الثانية : ان ترتب الجيوش بشكل الهلال المركب وهو ان يكون الى جانبي الهلال هلالين كأنهما جناحان .

التعبية الثالثة : المربع المستطيل .

» الرابعة : الهلال المقلوب .

» الخامسة : ان ينظم الجيش في شكل المعين او المربع المنحرف .

» السادسة : المثلث .

» السابعة : الدائرة المزدوجة وهي دائرتان احدهما داخل الاخرى .

وكانوا يعمدون الى هذا الضرب من التعبية اذا كان جندهم

قليلا وجند عدوهم كثيراً ، وهو يشبه آخر ما بلغه المتمدون

من التفتن في التعبية نفي مربع نابليون بونابرت الذي دوخ

به المملك ، وهو عمدة الجنود المنظمة الى اليوم . فكل

المسلمون اذا عباوا الجيش للحرب نظموه اما كراديس او

مربعات او مثلثات او جعلوا بعضه كراديس وبعضه مربعا

او هلاليا او معيناً او مثلثا على ما تقتضيه الاحوال »

ثم لما تمدن المسلمون ، وتعددت اجزاء جندهم ، وتوعدت حركاتهم ، وصاروا

يقدرن اهمية النار والاسلحة التي يتسلح بها العدو ، وطبيعة الارض التي يجرون

حركاتهم فيها اصبحت لديهم تشكيلات متنوعة ، يتخذونها حسب تأثير السلاح

والارض ، فجعلوا لكل حركة وكل تشكيل نداء خاصا يدل لفظه على المراد به

وربما استخدموا اشارات الميدان في سبيل ذلك ، فيصدرون اوامرهم بقرع الطبل

قرعاً خاصاً أو هز الراية ، أو نفخ البوق . وإليك أسماء بعض تلك الحركات :

- | | |
|------------------------|--------------------|
| ١ - الميل | ٢ - الانقلاب |
| ٣ - الانفتال | ٤ - تسوية الانفتال |
| ٥ - استدارة صغيرة | ٦ - استدارة كبرى |
| ٧ - قاطر | ٨ - اقتران |
| ٩ - رجوع إلى الاستقبال | ١٠ - استدارة مطلقة |
| ١١ - أضعاف | ١٢ - إتباع اليمين |
| ١٣ - إتباع اليسرة | ١٤ - جيش منحرف |
| ١٥ - جيش مستقيم | ١٦ - جيش مورب |
| ١٧ - رض | ١٨ - تقدم |
| ١٩ - حشو | ٢٠ - رادفة |

٢١ - ترتيب بعد ترتيب ، وإلى غير ذلك من الحركات .

جاء في تاريخ التمدن الاسلامي كانوا اذا اراد قائد الجند ان يميل جنده الى جهة او يتخذ شكلاً خاصاً من هذه الاشكال او حركة من هذه الحركات ، ناداه بكلمة من هذه الكلمات وهم قد تدربوا على المراد من كل منها ، فيميلون كما يشاء على مثال الحركات العسكرية في جنود هذه الايام . وعلي كل فقد بلغوا ذلك بتداول الايام ، وبمزج الفنون الحربية الفارسية بما كانت عليه العرب في صدر الاسلام ، فلقد كان للاوائل نداءات خاصة ايضاً ، يحركون بها جندهم ، ومنها :

السلاح السلاح : ويطلب فيها ان ينهيا الجيش للقتال .

النفير النفير : ويقصد بها القيام بالهجوم .

الرجعة الرجعة : ويقصد بها الانسحاب .
 الخيل الخيل : ويقصد بها الركوب لاجراء الهجوم الراكب .
 الارض الارض : ويقصد بها الترجل ، والامتداد
 ثم كان للعباسيين ايضاً :

الشعار (١)

يتعارفون به على نحو ما تقدم ، وقد اقتبسوه من العرب في الجاهلية والاسلام
 وهي مصطلحات يتفقون عليها في اثناء الحرب على مقتضى الاحوال ، يتداعون
 به لتمييزوا عن عدوهم ، فالشعار والحالة هذه يقوم لديهم مقام علامات الوحدة ،
 ومقام كلمة سر الليل وغيرها ، فكان شعار الاحزاب في غزوة احد : « يا لعزى ،
 يا لهبل » وكان شعار تنوخ في الحيرة : « يا آل عباد الله » وروى عروة بن
 الزبير عن ابيه ان النبي ﷺ جعل شعار المهاجرين : « يا بني عبد الرحمن » وشعار
 الخزرج : « يا بني عبد الله » وشعار الاوس : « يا بني عبيد الله » وسمى خيله :
 « خيل الله »

وبعد ان نظرنا في التعبئة العباسية ، واشارات الميدان عندهم ، فلننظر الى
 المعارك المهمة ، التي اختلف فيها بنو العباس ، وابدوا فيها انواعاً من فنون التعبئة ،
 وكسبوا الفوز في النتيجة .

ان من يتصفح التواريخ ، يجد ان العباسيين قضوا ايامهم في الحرب في الفتح
 او صد الغارة ، او قطع الفتنة ، ولكنني اتطرق الى : -

المعارك العباسية المهمة

ليرجع اليها هواة فن الحرب ، فيستخرجوا منها العبر والعظات ، وليدققوا فيها اسباب النصر والفشل ، وليقارنوا تلك القواعد القديمة بما توصل اليه رجال العصر من القواعد ، وبما صنفه الكتاب في الفنون العسكرية الحديثة .

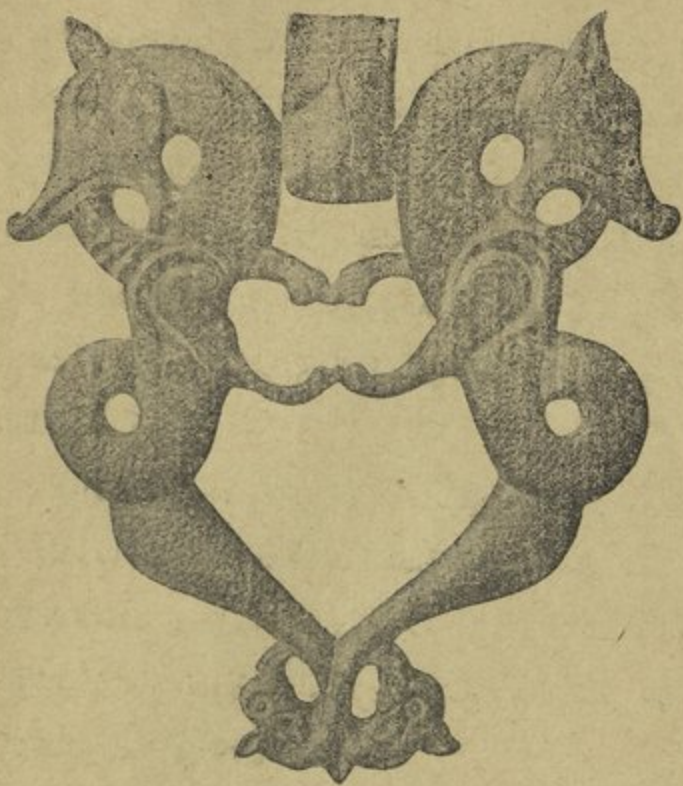
ومن بعد كل ذلك فالتنا نذكر ذلك ، لنفتخر بمجد الاجداد ، ونعتز بسطوتهم العسكرية ، والفائدة عظيمة لابناء البلاد وجنودها اذا طالعوا تاريخهم العسكري المجيد ، وبحثوا فيه من الوجوه الحربية والسياسية والاقتصادية ، فلخصوا لانفسهم العبر والعظات العسكرية .

ثم ان القواعد السوقية ، والتعبوية ، الاساسيتين ، لا تتبدل مهما تبدلت الازمان . وما دمننا جنوداً ، رصدنا اقسنا لخدمة الوطن ، وجعلنا دمنسارأس المال ، فلا بد ان تنشعب بمبادئ الحرب ، ولا خير ان تكون عباسية او اموية او راشدية او جاهلية ، او منسوبة لاقوام آخرين ، فنحن نريد ان نقبس منها عناصر الحياة والافدام والنجاح في القتال .

واليك المعارك العباسية على تاريخ وقوعها :-

١ - معركة الزاب الاعلى ، التي وقعت سنة ١٣٢ هـ بين آخر الخلفاء

الامويين مروان بن محمد وكان عدد جيشه (١٢٠٠٠) من نخبة اهل الشام وخيرة جنودها وبين عبدالله بن علي عم ابي العباس السفاح وقائد جيشه ، تناصره الجيوش التي قادها عامل بني العباس على شهرزو (لواء السليمانية اليوم) وفي هذه الحرب عقد مروان جسراً على الزاب وعبر الى جهة الجيوش العباسية . وكانت الواقعة شديدة



مطرقة باب من البرونز وجدت في شمال العراق

جداً انتهت بانتصار العباسيين وهروب مروان ، وغرق كثير من جيشه الاموي .

٢ - الحرب التي جرت بمدينة نصيبين سنة ١٣٧ هـ بين عبد الله بن علي (القائد السابق الذكر) حين امتنع عن بيعته لابي جعفر المنصور ، وبين ابي مسلم الخراساني القائد الذي وجه المنصور اليه « ودامت الحرب في هذه الموقعة ستة اشهر كان النصر فيها اغلبه لعبد الله واصحابه » (١) ولكنها انتهت بفرار عبد الله وتبدد جيشه . وهنا يرى الباحثون كيف كان القادة العسكريون يستخدمون سلاح الدعاية . وينتصرون به . وكيف لا يفسد على الجند المدرب بالعصيان ، وكيف عوضت المراكز الحصينة التي اتخذها ابو مسلم عليه كثرة عدوه ، وكيف انه ربح المعركة عندما استعمل فيها دهاؤه الحربي ، وكيف انه قام بحركة تعبوية نادرة المثال ، لا يزال يعمل بها القادة العسكريون .

٣ - وقعة (باخرا) التي حدثت سنة ١٤٥ هـ في موقع باخرا وهي من الكوفة على ١٦ فرسخاً بين ابراهيم العلوي الذي تقض بيعة المنصور ، واستولى على البصرة وملك الاهواز وواسط ، وبلغ ديوانه مائة الف وبين جيش المنصور الذي ساقه اليه بقيادة عيسى بن موسى الذي استدعاه من الحجاز في ١٦ الفاً ومن ضمه اليه من فضلة جند العراق ، وقد انتهت الوقعة بقتل ابراهيم . وهنا يرى المدقق العسكري كيف تدب الفوضى بسرعة ، في الجيش غير المدرب تدريباً عسكرياً صحيحاً ،

ولم تغرس في نفوس جنوده روح الضبط ، وكيف اذا قتل قائده يؤل
به الى الهزيمة وان كان الظفر قريباً منه . وبرى المدقى العسكري ايضاً
كيف حارب جيش ابراهيم بنظام الصف القديم ، وكيف صدمهم جيش
الخليفة بنظام الكراديس ، واخيراً كيف ان المنصور وهو القائد العام
لم ينصرف فكره عن رسم الخطط واصدار الاوامر ليلاً نهاراً ، وكيف
لم يستسلم الى الترف في هذه الآونة العصيبة ، فخرم على نفسه الطيبات
والملاذ ، ولم يقرب النساء خمسين يوماً ، وقد اتسخت جبته ولم ينزعها
الى ان رأى بعينه رأس عدوه ابراهيم .

٤ - وقعة سنة ١٥٠ هـ بين المتمردين الخراسانيين الذين بلغت عدتهم
٣٠٠ الف مقاتل ، وبين خازم بن خزيمه قائد المنصور في (مرو الروذ)
وانتهت المعركة بانهمزام الخراسانيين بعد ان تركوا نحو ٧٠ الف قتيل
و ١٤ الف اسير .

وهنا يتجلى لنا السر في انتصار الفئة القليلة اذا هي سارت ونزلت
وقاوت حسب تعبئة صحيحة ، على فئة كبيرة لا تعبئة لها ، او بكلام
اوضح انتصار الجنود النظاميين على غير النظاميين .

٥ - معركة (الحديثة) التي وقعت سنة ١٧٨ هـ بين الوليد بن طريف
التغلبى الشاري الذي خرج على الرشيد وبين القائد الفتى يزيد بن مزبد
الشيواني ، وفيها يظهر اخلاص القائد وولاؤه لمليكه والمصلحة العامة
ظهوراً جلياً ، فهو يعطي القواد العسكريين درساً في الخدمة الصحيحة ،
وفي الوطنية العملية ، وكيف يجب عليهم ان يحاربوا حتى اقربائهم

وعشيرتهم ، اذا خرجوا وشقوا الطاعة ، وقد انتهت المعركة بمقتل
الوليد ، وقد بارزه القائد نفسه واحتز رأسه بيده ، وانتهت كذلك
بانفضاض جموعه التي بلغت مائة الف مقاتل من الخوارج الابطال .

٦ - الوقائع التي جرت بين جيوش المعتصم وبين جيوش بابك الخرمي
وكانت جيوشه من اهل الجبال وهمدان واصبهان وما سبذان وغيرها
« وقد كان مبدأ ظهور بابك في خلافة المأمون سنة ٢٠١ هـ وما زال
يقوى شيئاً فشيئاً حتى استولى على جبال طبرستان مدة عشرين سنة
وهزم جيوش المأمون مراراً » (١) ولقد ثبت في التاريخ انه قتل منذ
ان ثار بوجه الحكومة الى ان قتل واخذت ثورته في زمن المعتصم ٢٥٥
الف نسمة من المسلمين والمسلمات .

وقد جاء في اخبار الاول في ترتيب الدول « بأن لم يكن في الدولة
الاموية اعظم من حروب الازارقة ، ولا في الدولة العباسية اعظم من
حرب البابكية المحمرة ، والذي ظفر ببابك هو الافشين التركي ، ومن
اطلع على ما جرى في هذين الحربين اطلع على كثير من التحصينات
والمخادعات وانواع المقاتلات والمصافات والحيل الخربية ما يفيد كثيراً
من التجارب والمخادعات »

واعلم اعظم هذه الوقائع هي اثنتان . -

الاولى : وقعة همذان سنة ٢١٨ هـ في اول ولاية المعتصم فوجه اليه اسحق
ابن ابراهيم بن مصعب في جيش جرار ، وعقب له على الجبال ،

فانشب الممركة في عمل همدان ، وقتل من الخرمية ستين الفا .
الثانية : وقعة البذ سنة ٢٢٠ هـ والبذ كورة بين اذربيجان واران ، ومركز
بابك الحربي .

وفي كل من الوقعتين يرى الباحث - عدا ضربوا كثيرة من الخدع
الحربية ، وكيفية مداراة الجواسيس الاصدقاء منهم والاعداء - اهتمام الخليفة
بجمع الفتنة الناشبة ، وتأمين خطوط المواصلات لهذه المنطقة النائية عن القاعدة ،
وتنظيم شؤون البريد ، ونصب المساح لحفظ الطريق ، وادامة تموين الجيش في
تلك المنطقة الجبلية الوعرة البعيدة ، مما يضطرنا ان نعترف لهم بالتفوق في امور
سوق الجيش ، والاسفار الطويلة .

٧ - وقعة عمورية الشهيرة التي وقعت سنة ٢٢٣ هـ بين جيوش المعتصم التي
قادها بنفسه وبين جيوش الروم المحتشدة في ضواحي عمورية (وهي
بروسة في بلاد الترك الحالية) وفي هذه الوقعة يرى المدققون ، التعبية
التي كان يسير بموجبها العباسيون ، وطرق حماية القوة في المسير في
الاراضي الجبلية ، ومسك المضائق ، ويمرفون الاسلحة التي كان
بنوا العباس يستعملونها ، من مناجيق ودبابات وسلام وآلات النار ؛
ثم الامداد المختلفة التي يرفقونها بارتالهم المتقدمة ، وما اتقنوه من امور
سوق الجيش ايضاً ، والاساليب المتبعة في فتح الحصون والقلاع ،
والتقدم على الخطوط المتقاربة ، ثم السياسة والادارة التي كان يتبعها
الخليفة القائد وينفذها امرأؤه لاحراز النصر ، وهنا نرى درساً في غاية
الخطورة ، نستنبطه من خيانة جندي واحد ، ونرى كم جرت هذه

الخيانة من اضرار جسيمة على الجيش والامة والمملكة .

« وترون ايضاً كيف كان المعتصم يدير الحركات العسكرية بنفسه ويصدر الاوامر اليومية الى جيوشه وارثاله السائرة على طرق مختلفة ، وكيف كان يرسم الخطط لهذه الحرب ، ويمين للقواد مرا كزهم ومنساق هجومهم ، وانهم كانوا في تصرفه كما تكون حجارة الشطرنج بين يديه ساعة لوه » (١)

ثم ان الحروب ذات فوائد كبيرة « فالتائع ان الحرب شر محض ، وانها اشد البلايا التي ابلى بها نوع الانسان ... ولسكن حرباً ؛ يشترك فيها ١٢ في المئة من الشعب كله واكثرهم من الشبان الذين كان همهم الوحيد السعي لتحصيل ما يحتاجون اليه من المأكل والمشرب والملبس ، فتمى انتظموا في الجندية ودخلوا ميدان الحرب استغثوا عن هذا السعي لان طعامهم وشرابهم ولباسهم يأتيهم حينئذ عفواً ، وتفرغوا لامور اخرى اشرف منها واسمى وهي الدفاع عن بلادهم واعلمهم ومساعدة بعضهم بعضاً في اشد المآزق حرجاً ، ونمروا على اعمال تقوي ابدانهم وعقولهم فيخرج الجنود من الحرب اقوياء الابدان متصفين بكل صفات الرجولية السامية فيكون نسلهم اقوى من نسل غيرهم لاسيما وان المرأة تفضل ان تزوج بجندي مستكمل صفات الرجولية على ان تزوج بالقعدة الذي لا يختار للجندية لضعف جسمه او لعاهة فيه ، فتكون الحروب من مقويات الامة لا من مضعفاتها » (٢)

وبالاخير ترون كيف كان : السيف اصدق انباء من السكتب في حده الحد بين الجد واللعب .

وفي تاريخ الحروب العباسية وقائع اخرى قد تكون خطيرة ومهمة ، غير ان الوقت لا يفسح لنا للتعريف بجميعةها ، ويكفي من القلادة ما احاط بالجيد .

وانني لا رجو ان يتفرغ احد الضباط لدرس كل من :

وقعة الخرمي

وقعة عمورية

ففيهما من دروس الحروب الجبلية ، امثلة كثيرة خطيرة الشأن . . ففي الوقعة

الاولى :

أ — ان الجيش كان كلما جاوز مضيقاً او عقبة ترك عليه من يحفظه .

ب — ان الامراء كانوا يقفون في جماعات ينظرون الى سير المعركة ، ويأمرون

بسد كل خلل يروونه (١)

ج — ان الجنود كانوا اذا القوا القبض على اسير خطير الشأن سيروه الى

آمرهم فيستنطقه ثم يسيره الى الخليفة ، فكان الخليفة يسأله عن بلاده ،

وطرقها ، ووجوه القتال فيها (٢) وكانوا اذا ظفروا باحد الجواسيس حملوه

الى اميرهم ، فكان الامير يحسن اليهم ويهب لهم ، ويسألهم عن الذي

يعطيهم قائدهم الذي ارسلهم للتجسس فيضمنهم لهم ، ويقول : « كونوا

جواسيس لنا »

د — وكانوا اذا ارادوا ان يباغتوا قوما ، او يحرقوا قرية ، ركبوا سرّاً فلا

يضرّبون طبلاً ولا يذشرون علماً ، ويأمرون الجند بالسكوت (٣)

ه — واذا خاف الامراء ان يؤخذ عليهم الطريق اصدروا اوامرهم فجعلوا

على رأس كل جبل رجلاً ، معهم الاعلام السوداء ، فان رأوا شيئاً يخافونه
حرّكوا الاعلام (١)

و - وكانوا لشدة الخذر يجعلون الجند « نواب » (٢) اي يتركون قسماً منهم
يقفون على ظهور الخيل نواباً في الليل مخافة البيات (٣)

ز - وكان القادة يأمرّون « الكوهبانية » وهم اصحاب الاخبار او حضائر
الاستخبارات على حد تعبيرنا ، فينظرون لهم في رؤوس الجبال مواضع
تصلح لتحصن الرجالة فيها ، وبعد ان يعينوا محلاتها على الاماكن
الحاكمة ، يأخذون اليها الفعلة ومعهم السكك والسويق ، فنقل الحجارة
وتسد الطريق الى تلك المواقع ، ثم يحفر خندق على كل طريق وراء
تلك الحجارة ، ولم يعملوا الفعلة وحدهم يقومون بهذه الميام ، انما يخصصون
لهم قسماً من الرجالة ، ثم يفرزون قوات تقوم بحراسة الفعلة والرجالة
ليلاً ونهاراً ، فاذا فرغوا من اعمالهم سحبوا الفعلة وادخلوا الرجالة الى
هذه المواقع الحصينة (٤)

فلما انهم كانوا يحفرون الخنادق حولهم ، ويجدر بنا هنا استطراداً ان
نرجع الى غزوة الاحزاب سنة ٥ هـ فان قريش عندما قرروا الهجوم على
قوة الرسول ﷺ امر بحفر الخندق وعمل بنفسه فيه ترغيباً للمسلمين
في الاجر ، وعمل معه المسلمون فدأب ودأبوا فيه ... حتى احكوه
وكانوا يرتجزون حين العمل فيه (٥)

« ١ » ابن الاثير ص ١٥١ « ٢ » لعل اول من ابتكر طريقة « النواب » هو
المنصور عندما داهمه الراوندية في قصره « ٣ » ابن الاثير ج ٦ ص ١٥٦ « ٤ »
ابن الاثير ج ٦ ص ١٥٦ « ٥ » ابن هشام ج ١ ص ٧١



باب في خرائب واسط

وكان الخندق شمالي المدينة لان الجهات الاخرى كانت محصنة بالجبال والنخيل والبيوت ، وقد اختلف المؤرخون في مكان الخندق وطوله ، ويظهر لنا انهم خطوه من الحرة الشرقية الى الشمال فالغرب ثم الى الجنوب قليلا ، واذا صححت الرواية القائلة بأن الرسول قد وكل الى كل عشرة من المسلمين ان يحفروا قطعة من الخندق طولها اربعون ذراعا ، فاننا نستطيع ان نستنتج ان طول الخندق قد بلغ اثني عشر الف ذراع على الاقل ، اذا فرضنا انه لم يعمل في حفر الخندق الا رجال الجيش الذين اتفقت الروايات على انهم كانوا ثلاثة آلاف (١) وجعل الرجل من المسلمين اذا نأبته النائبة من الحاجة التي لا بد له منها ، يذكر ذلك رسول الله ويستأذن في اللجوء لحاجته ، فيأذن له ، فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان فيه من عمله »

ولا شك ان في انقاذ الرسول مشورة سلمان الفارسي بحفر الخندق قد ظهرت مقدرته الحربية ، ومرونته ، وكان حفر الخنادق آنذاك من الاستحكامات الحربية التي لم تعرفها العرب قبل ذلك ، حتى لقد دهشت قريش عندما رأته ، وقال قائلهم : « والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها » (٢)

وهكذا نرى ان العرب لم يهملوا امر التحكيمات والاستفادة من قوة الارض الطبيعية في حصونهم بل استعملوا الاسوار والخنادق ، واتقنوها اتقاناً باهراً ، فاستعاضوا بقوة الطبيعة عن قوة الجيش وقلته في كثير من حروبهم (راجع كتاب الاستحكام للعمري)

ح - وكان الامراء يصدرون امرهم بأن لا يرموا العدو عند اقترابه من

خنادقهم ، ولا ان يخرج اليهم احد ، فلا يستطيع العدو في هذه الحالة ان يكتشف مواقع الجند ، وكانوا يتخذون لهم كمناء فاذا اقتربوا من الكمين ثاروا عليهم . ولا نزال نوصي جنودنا باتباع هذه الطريقة ضد الرجال الجبليين .

ط - وكان الامراء يصلون بالجند بفلس ، ويسرون زحفاً ، وكانت علامتهم في السير والوقوف ضرب الطبول ، وذلك لكثرة الجند وتفرقه ، ومسيرهم في الجبال والادوية على مصافهم ، فاذا ساروا ضربوها واذا وقفوا امسكوا عن ضربها فيقف الجنود جميعاً ويسرون جميعاً ، وكان سيرهم قليلاً قليلاً ، فكلما جاءهم كوهباني بخبر سار او وقف .

ي - وكانوا يحملون الجرحى على المحامل التي تعلقها البغال .

ك - وكانوا اذا ارادوا الهجوم على حصن ، نزلوا وبينهم وبين الحصن نحو ستة اميال ، ثم حفروا الخنادق حولهم ، وبوا عليهم سوراً ثم يزحفون من معسكرهم هذا بفلس ، فيحاصرون الحصن حتى يفتح لهم والا نكسوا عنه اذا ادركهم المساء ، ورجعوا الى المعسكر فكانت يرجع اولاً اقربهم الى العدو ثم الذي يليه ثم الذي يليه

وفي الواقعة الثانية

ل - نرى العباسيين يستعملون الخطوط المتقاربة عند تسييرهم الجيوش ، فتسلك هذه الجيوش طرقاً مختلفة ، ولكنها تجتمع بوقت واحد في

منطقة معينة ، ومن هناك كانوا يجابهون العدو بكل قوتهم ، ولقد

سلك المعتصم الى عمورية طريقين : —

الطريق الاولى : الطريق الساحلية الى جانب طرسوس ومرسين ومنها

الى قونية فمدينة انقره فعمورية التي تبعد عنها بمقدار سبع

مراحل ، وهي طريق صالحة للحركات العسكرية .

الطريق الثانية : الطريق الداخلية المعروفة بدرب الحدث او درب

السلامة كما اطلق عليها الامويون تفاقولا مما يصيب سالكيها

من الاخطار ، كما سمي العرب الصحاري المهلكة بالمفازة

وتحترق هذه الطريق بلاد الاناضول ، وتمر بالحصون

والمعقل الرومية المحيطة حتى انقره ومن هناك الى عمورية .

ولقد اصدر المعتصم في اوامر حركته الى قائدي جيشيه ان يجتمعوا في صعيد

انقرة ، في يوم واحد ، وكان قد انتخب انقره مركزاً لتحشد جيشيه

الجرارين ، ومن هناك يتخذ تدابير السوقيه الثانية للزحف على عمورية

واليك ما ذكره ابن الاثير عن هذه الحركة السوقيه الفذة قال (١) :

« وامضى المعتصم الافشين الى سروج وامره بالدخول من درب

الحدث ؛ وسمى له يوماً يكون دخوله فيه ، ويوما يكون اجتماعهم فيه .

وسير اشناس من درب طرسوس وامره بانتظاره بالصفصاف وقدم

المعتصم وصيفا في اثر اشناس »

م - وكان المعتصم حريصاً ان لا تشتبك قواته مع العدو على الافراد وكان

يسمى ان يضربه الضربة القاضية بكل قوته ، حتى انه عندما استخبر بان ملك الروم قد كن وراء مخاض نهر اللامس يقصد مباغنة القائد اشناس ، ارسل اوامره الى اشناس يعلمه ان ملك الروم بين يديه وانه يريد ان يكبسهم ويامرهم بالمقام في « مرج الاسقف » الى ان يصل اليه « ١ » ، فاقام .

ن — وكان العباسيون يعمنون بالاستخبارات بشقي الطرق والاساليب ، ومن ذلك الطريقة التالية : —

قال ابن الاثير « ٢ »

« فاقام » يعني اشناس بمرج الاسقف ثلاثة ايام فورد عليه كتاب المعتصم يامرهم ان يوجه قائداً من قواده في مرية يلتصقون رجالا من الروم يسألهم عن خبر الملك ، فوجه اشناس عمرو الفرغاني في مائتي فارس فدخل حتى بلغ انقرة وفرق اصحابه . فاتوه بجماعة بعضهم من عسكر الملك وبعضهم من السواد . فاحضرهم عند اشناس فسألهم عن الخبر فاخبروه ... ثم وجه اشناس بهم الى المعتصم فاخبروه الخبر »

ولا شك ان هذا العمل لا تزال تجربته مفارز الاستطلاع ، وان الاخبار المأخوذة من اسرى العدو ، لمن اخطر الاخبار واثقها .

س — ولما كان جيش المعتصم جيشاً جراراً ، ويتألف من فيالق عدة ، تحتوي على صنوف مختلفة ، لا مندوحة له عن استصحابها ، مما جعل عمق الجيش زائداً زيادة لا مبرر لها ، ولا شك ان هذا الجيش اللجب

بتعسر عليه الدخول في المعركة بجميع صنوفه ، في الوقت اللازم ، مع ان النصر لا يتأتى الا بتعاون هذه الصنوف جميعاً .
وعلى هذا ، فقد اقام المعتصم بانقرة ثلاثة ايام ثم جعل العسكر ثلاثة جيوش :-

١ - جيش اشناس في اليسرة

٢ - جيش المعتصم في القلب

٣ - جيش الافشين في الميمنة

وجعل بين كل جيش وآخر فرسخين ، ثم امر ان يكون لكل جيش من هذه الجيوش الثلاثة ميمنة ويسرة ، اي ان كل جيش مسؤول عن حماية نفسه حماية محلية ، وامن الارتباط بين كل جيش ، وهكذا ساروا على ثلاثة طرق من انقرة حتى بلغوا عمورية (١)

ع - وكان القادة يوزعون الجبهة والهدف على قواتهم ، بالنسبة الى خطورة تلك الاهداف ، وسعة تلك الجبهة ، وبالنسبة الى قواتهم المتيسرة ، قال ابن الاثير (٢) : « ولما وافوا عمورية ، داروا حولها ، وقسمها بين القواد ، وجعل لكل واحد منهم ابراجاً على قنبر اصحابه »

ف - ومن ابرز التعبية التي كان يتبعها المعتصم في المناطق الجبلية هو مسك المضائق بالربايا القوية بينما يجتاز الرتل تلك المضائق . فانه لما رحل ليعود الى العراق ، اقام اشناس في باب مضائق (البندون) ثلاثة ايام ، ينتظر ان يتخلص عساكر المعتصم (٣)

ص - ولما تبين للمعتصم نقاط ضعيفة للعدو ، جمع قواته المتفرقة في تلك النقطة الضعيفة ، واستعملها كتلة واحدة لتحقيق غرض واحد ؛ فادت النتيجة الى نجاحه وافتتاحه المدينة الحصينة ، قال البارقي (١) : « ونحصد اهل عمورية ونحرزوا قاصر المعتصم ان تصف المجانيق ، فالت المجانيق حتى تصدع السور ... ولم يزالوا كذلك حتى انهدم ما بين برجين من السور ، وحميت الحرب واتسع الموضع المثل . قال ابن الاثير وكان الموضع ضيقا فلم يمكنهم الحرب فيه ، فامسدهم المعتصم بالمنجنقيات التي حول السور ، فجمع بعضها الى بعض ، حول الثلثة ، وامر ان يرمى ذلك الموضع » ولا تختلف هذه الطريقة عن طريقة تكثيف نيران المدفعية ومركزتها في الحروب الموضعية في هذه الايام .

ق - ولقد بلغ :

عرض الجيوش

في عهد العباسيين ، اقصى درجات السكال ، فلقد كان الوزراء والامراء ، حتى الخلفاء انفسهم يعرضون جيوشهم ، فيتفقدونهم ، ويتفقدون اسلحتهم ومعداتهم وخيولهم ، ويفحصون ازياء الجند خصصاً دقيقاً ، وكانوا يكررون العرض في الاعياد ولا سيما قبل شروعهم في الحملات الحربية ، ولم يغفروا الذنب لمن تقاعس في ازيائه واسلحته وحسن هندامه .

واليك بعض ما استصحبه المعتصم معه الى عمورية ، اخبرنا البارقي (١) بأن المعتصم خرج (من سامراء) وركب دابته وسمط خلفه شكلا ، وقال الفخري (٢) وابن الاثير (٣) : وسكة حديد ، وحقبة فيها زاده ، وتجهز جهازاً لم يتجهز مثله خليفة قط من السلاح ، والعدد ، والعدد ، والآلات ، وحياض الادم ، والروايا والقرب ، والبغال ، والدروع ، والجواشن ، والزديات ، وآلة النار . والنفط ، غير ان عرض الجيوش لم يكن من مستنبطات بني العباس . فلقد كان العرب في الجاهلية يمرضون جنودهم .. وكان الاسكندر يباشر عرض جنوده بنفسه ، ويتقن عرض الفارس وخيله وعدته ، وكان اكثر عرضه في المضايق في السفر ، فـ... كان احد يجسر على التهاون فيما يحتاج اليه (٤) ، وكان النبي ﷺ يستعرض اصحابه بنفسه . في السيرة الحلبية (٥) انه عسكر في غزوة احد سنة ٣ هـ بالشيخين (وها جيلان) فعرض قومه فردّ جمعاً لم يرم قد بلغوا خمس عشرة سنة ، وانه (٦) في غزوة الاحزاب ، جعل النساء والذراري في الاطام (٧) وعرض الفلمان وهو يحفر الخندق ، وكانوا بأجمعهم من بلغ ومن لم يبلغ يعملون فيه .

والامثلة كثيرة على انه كان يستعرض الصفوف قبل نشوب القتال ، ويتفقد الذين يستطيعون حمل السلاح والذين لا يطيقونه ، حتى (٨) انه في وقعة بدر

«١» خلافة المعتصم ص ٤٠ «٢» الآداب السلطانية ص ١٦٩ «٣» ابن الاثير ج ٦ ص ١٦٢ «٤» آثار الاول ص ٧٠ «٥» ج ٢ ص ٢٣٢ «٦» ج ٢ ص ٢٣٥ السيرة الحلبية «٧» جمع الاطم وهو البرج والقلمة او الموضع الحصين «٨» السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩١

الجبيري سنة ٢ هـ امر ان يعد المسلمون ، فوقف لهم في محل مشرف ، فعدوا ، ثم عرضهم ورد من استصغر »

وكان الخلفاء الراشدون يعرضون الجند على نحو ذلك .

ولم تزل بنو امية تعرض الجيوش وتفصل الطبقات (١) وكان الحجاج اذا عرض الجند يسأل عن رجل رجل من هو ؟ وما هي قبيلته ؟ وعن حاله ؟ وعن سلاحه ؟ وجواده ؟ وانه عندما استعمل محمد بن القاسم الثقفي على ثغر السند ، وسير معه آلاف المقاتلين جهزهم بكل ما يحتاجون اليه حتى المسال والابر ، والخيوط » (٢)

واورد كل من الطبري والمسعودي (٣) ان يزيد بن معاوية حين جرد الجيش سنة ٦٣ هـ لمحاربة ابن الزبير ، خرج الى الخيل يتصفحها وينظر اليها وهو متقلد سيفاً ومنتكب قوساً عربية . اما : -

كيفية العرض عند العباسيين

فهو ان يجلس الخليفة او يركب جواده ، وعليه الدرع والحوذة كأنه في استعداد للحرب ، فينادي المتادي بأسماء القواد اولاً ، فيمرون من امامه فيتفقد افراسهم وعدتهم ، ثم يدعى بعد ذلك بأصحاب الرسوم على مراتبهم ، فيتعرض لآلائهم النامة ، ولدوابهم ، وبطالبتهم بجميع ما يحتاج اليه الفارس والراجل من صغير آلة وكبيرها ، فن اخل باحضار شيء منها حرموه رزقه فيكون ذلك بمثابة التفرير .

(١) آثار الاول من ٧٠ « ٢ » ابن دحلان في الفتوحات الاسلامية

ج ١ ص ٢١٦ ، ٣ ، المسعودي ج ٢ ص ٩٥ والطبري ج ٧

وقد اخذ العباسيون هذه الطريقة عن الامويين ، واقتدوا بسيرة القائد الاعظم عليه السلام ونعماً لما تقتضيه الحالات الحربية من ضرورة الاطلاع على الجندي وصحته ، وفرسه ، وسلاحه ، ومهاته ، وتفتيشها تفتيشاً دقيقاً . ثم صاروا يشددون في عرض جيوشهم جرياً وراء سنة الاعاجم ، الذين كانوا طفوا في الجيش كما رأيت ذلك في فرق الخراسانية والابناء ، وكان رسم العجم في اجراء العرض ، وقد اخذه العباسيون عنهم (١) : هو ان يمر الفارس الذي هو في الطبقة الاولى على حصانه ومعه الادوات التالية : -

« الغلام - بجنيبه - الدرع - المغفر - الكفوف - الزرد - الزانات - التجايف
للخيل (٢) - الترس - الرمح - السيف - الدبوس - السكين الكبيرة - الجبل -
الحمالى - السكك الحديد - المقاول - كبة خيوط - مخصف - مقص - مطرقة -
كز - مسل - ابر - خيوط - زنار - طرطور - لباد - قوسان - موتوران -
وتران زائدان لخوف الانقطاع - وجعبتان للشباب احدهما معه والاخرى
مع غلامه »

وانك ترى بان الجندي العباسي الخيال ، قد استكمل كل ما يحتاجه الفارس وحصانه في الخدمات الفعلية ، وقد لا يحتاج الى ارباب الحرف ممن يصلح له ادوات سرجه ، او يقوم بتنغيل جواده . واخبرنا العلامة الجاحظ في صفة الجندي التركي

(١) عن آثار الاول ص ٧٠ وقد نقله عنه جرجي زيدان في التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٦٢ ولم يؤشر الى المصدر (٢) التجايف وتسمى بركستوان او بركسطوان وهي جمع تجفاف وقد مضى تفسيرها .

في زمن العتصم (١) انه يطبع السيف ويسقيه وبرهفه ، وكذلك فهو يصلح كل ما يصيب سرجه وسهمه وجعبته ورمحه من عطل ، فهو يعمل كل ذلك بدون ان يستعين برفيق او يفزع الى رأي صديق ولا يختلف الى صانع .
ومثلهما كان العباسيون يعرضون جيوشهم البرية ، فقد كانوا يعرضون اساطيلهم البحرية ، وكيفية : -

استعراض الاساطيل

فهو على ما ذكره ابو العباس اقلقشندي (٢) عن الخلفاء الفاطميين بمصر :
انهم كانوا يستعرضون اساطيلهم ، فيخرج الخليفة مع الوزير الى ساحل النيل (بالمقسم) فيجلس في منظرة كانت بجانب باب البحر ، والوزير معه ، ويأتي القواد بالمراكب الى تحت المنظرة وهي مزينة بالاسلحة ، والمنجنقات واللعب منصوبة في بعضها ، فدير بالمجاذيف ذهابا وايابا كما يفعل في حالة القتال ، ثم يحضر الى بين يدي الخليفة « المقدم » والريس « فيوصيها ويدعو لهم بالسلامة ، ثم تنحدر المراكب »

هذا ولا تستوعب الاطروحة بحثا اسهب من هذا في التعبئة عند العباسيين ؛ ولقد نجد في بعض الكتب كثيرا من النظريات التعبوية ، مثل قول القائل (٣) :
« اذا حاربتم وكنتم ثلاثة فاجعلوا واحدا مددا ، وآخر كميناً » وقول الآخر (٤) : « ان الرجال كالاشباح والتعباني كالارواح فاذا حلت الارواح

« ١ » رسائل الجاحظ الرسالة الثانية ص ٣٤ ٢٠ ، صبح الاعشى ج ٣

ص ٥٢٣ ٣٠ ، رسائل الجاحظ الرسالة الثانية ص ٣٤ ٢٤ ، كشف الظنون

الاشباح حصلت الحياة » وكقول غيره (١) « اذا حضر الحرب ولم يكن منها يد فالمبادرة اليها اولى من الاشتغال بالدفع » فهو يوصي بالمبادأة والاسبقية بالعمل ، ثم قول الآخر (٢) : « وعلى امير الجيش ان يلتمس الغرة في الهجوم على العدو » وهو يوصي بلزوم التمسك بمبدأ المباغة ، ثم قول الآخر (٣) « الشجاع رجل اذا انهزم اصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم وبحول بينهم وبين عدوهم ، ويقوي قلوب اصحابه » ويروون عن حكاء المعجم (٤) :

« أسد يقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف أسد »

« هذا وقد اطال الشيخ احمد المعروف بابن عبد ربه الاندلسي في كتابه « العقد الفريد » في ذكر الحروب وصنعتها ومدارها ، والشيخ ابراهيم بن يحيى المعروف بالوطواط في « غرر الخصاص الواضحة » في بيان الشجاعة وصفة الابطال وخيارها ... والشيخ شهاب الدين الابشيحي في كتاب « المستطرف » في ثمره الشجاعة والحروب وتدبيرها ، والشيخ ابو الطيب صديق بن حسن القنوجي في كتاب « العبرة في الغزو والشهادة والهجرة » والشيخ ابو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي في كتابه « سراج الملوك » في الشجاعة وقوة النفس وذكر الحروب وتدبيرها واحكامها ، والشيخ ابن خلدون في مقدمته فصولا عن الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها ، والشيخ محمود العالم المتوفي في القاهرة سنة ١٣١١ هـ ما ذكره في « فكهة الاذواق من مشارع الاشواق » في فضائل الجهاد وهو مختصر من مشارع الاشواق لمحي الدين احمد النحاس الدمشقي ، وكتاب

« ١ » آثار الاول ص ١٧٢ « ٢ » الاحكام السلطانية للماوردي ص ٣٥

« ٣ » سراج الملوك للعلامة الطرطوشي ص ١٣٩ « ٤ » سراج الملوك ص ١٤١

« ارشاد العباد الى الغزو والجهاد » لمؤلفه الشيخ الغازي احمد فخر الدين الفيضي طبع في المطبعة العامرة بمصر سنة ١٣٣٦ هـ في ٢٥٠ صحيفة ، الى آخر ما هنالك من الكتب ، وقد ذكرنا منها سابقا كتاب « آثار الاول في ترتيب الدول » للعلامة الحسن بن عبدالله العباسي وقد ألفه سنة ٧٠٨ هـ ، ثم « الاحكام السلطانية » تأليف اقضى القضاة ابي الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، واخيراً « سلوك الممالك في تدبير الممالك » تأليف العلامة شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي الربيع وقد ألفه للخليفة المعتصم بالله العباسي .

وغير ذلك من الكتب التي لا يمكن ان اسردها جميعها .. ولكن ارى خلف لنا العباسيون من : —

التأليف العسكرية

ما نستطيع بها ان نقف على عسكرية الجيش العباسي وقوفا تاما ؟ نعم فلقد نقل العرب في العصر العباسي الى اللغة العربية علوما جمة من علوم اليونان والفرس والهند والسريان وغيرهم ، وخلفوا لنا شيئاً كثيراً من علومهم وآثارهم ، على ان العرب بدأوا بالنقل منذ ايام بني امية ، وان لم يبق من نقل الامويين الا الآن إلا النزول اليسير ، وان اول من امر فنقل له من اللغة الرومية هو خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ هـ ، ولما كانت الكتب العسكرية وحدها هي التي تهتمنا ، فاقول ان محمد بن اسحق النديم قد عقد في كتابه « الفهرست » فصلاً ذكر لنا فيه الكتب المؤلفة في الفروسية وحمل السلاح وآلات الحروب والتدبير والعمل بذلك . وقد أم ابن النديم كتابه هذا في شعبان سنة ٣٧٧ هـ ومات في شعبان سنة ٣٨٥ هـ .

وفيا يلي بعض تلك الكتب :-

- ١ - كتاب تعبئة الحروب وآداب الاساورة ، وكيف كانت ملوك الفرس تولى الاربعة الثغور من الشرق والغرب والجنوب والشمال .
- ٢ - كتاب الحيل للهرثمي الشعرائي ، والفقه للمأمون في الحروب ، جود في تأليفه وجعله مقالتين .
- ٣ - كتاب عبد الجبار بن عدي المنصور في آداب الحروب وصورة العسكر
- ٤ - كتاب الاشميطي في الفروسية .
- ٥ - كتاب آداب الحروب وفتح الحصون والمدائن وتربص السكينة ، وتوجيه الجواسيس ، والطلائع ، والسرايا ، ووضع المسالح ، ترجمته مما عمل للاردشير بن بابك .
- ٦ - كتاب باجر الهندي في فراغات السيوف ، ونعمها وصناتها ورسومها وعلاماتها .
- ٧ - كتاب السيوف التي كانت عند العرب واصناف ذلك .
- ٨ - كتاب شاناق الهندي في امر تدبير الحرب ، وما ينبغي للملك ان يتخذ من الرجال ، وفي امر الاساورة ، والطعام والسم .
- ٩ - كتاب العمل بالنار والنفط والزراقات في الحروب .
- ١٠ - كتاب الدبابات والمنجنقات والحيل والمكائيد ، قال ابن النديم : رأيت بخط ابن خفيف . . اه . واما الكتب المؤلفة في البيطرة وعلاج الدواب وصفات الخيل واختباراتها ، فقد عقد ابن النديم فصلا ذكر فيه منها عشرات الكتب ، ولم تتعرض لنقلها ، فليرجع

اليها هناك . وفي الواقع ، ان الفنون العسكرية قد نضجت في عهد الدولة العباسية ، ونبغ قواد كثيرون وضعوا المؤلفات القيمة ، بلغت الشأو الاعلى في بابها ، انما ضاع جل هذه الآثار وانطمست معالمها ، فلم يبق منها الا اسمائها المدونة في فهرست ابن البديم ومعاجم الكتب الاخرى مثل كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون ، ومثل مفتاح السعادة لطاش كبري زادة وغيرهما ، وعبثاً نجاهد للتوصل الى هذه المصنفات . ما دام المؤرخون يذكرون لنا ان الجيوش التتارية في استيلائهم على بغداد سنة ٦٥٦ هـ القوا من الكتب الخطية في دجلة ، حتى اسود وجه الماء من المداد ، وحتى طموا بها المخاضات وكدسوها فجعلوها قناطر وجسوراً يعبرون عليها . غير ان المؤلفين لم تفر همهم ، فاخذوا يضعون الاسفار من بعد ان دالت الدولة العباسية ، ومما لا شك فيه ان مادتها مستقاة من ذلك المنبع الفياض ومبنية على تلك الوقائع الحربية ، فالايام والرجال والآلات ايام ورجال وآلات بني العباس ، ولا تزال مكاتب الغرب تحفظ لنا طائفة حسنة من تلك النواذر ، واداني مضطراً ان اذكر لكم اهم تلك المخطوطات ، او التي تم طبعها .

وتنحصر غايي التي اتوخاها من وراء ذلك في مطلبين : -

المطلب الاول

بيان تطور التسمية العربية :

فاننا لا نزال نجعل التسمية التي كان يتخذها اوائلنا ، مثلما نجعل اسلحتهم ، ونظام قتالهم ، وتنظيم جيشهم ، مع اننا عرفنا الشيء الكثير عن تطور اسلحة الامم القديمة وتطور تعيبتهم ، واساليب قتالهم .. ونحن نعرف عن المصريين القدماء

وعن اليونان ، والفرس ، وغيرهم . ولا نعرف شيئاً عن العرب ؛ لا شك ان هذه الغفلة اجحاف بحق القومية ، وجريمة لا يغفرها لنا التاريخ . فاذا انا ذكرت كتبهم ، وذكرت مؤلفيها ، وبينت اماكنها التي توجد فيها الآن ، فانما لاحث الرجال العسكريين للتقريب عنها ، والسعي لاقتنائها ، وبالاخير لندرسها درس إيمان ، لنعلم ان اصول الحرب العربي كانت انموذجا لبقاى الامم في ذلك العهد ، وان اساليبهم التعبوية ، من الاساليب المهمة التي اقتبسها عنهم الامم المعاصرة .

المطلب الثاني

معرفة المصطلحات العسكرية العربية :

فاننا لانزال نرى كتابنا العسكريين يقفون في خيرة عند وصف الاسلحة الحديثة ووصف اجزائها الدقيقة ، يقفون ولا يعثرون على مسميات لها ، فيضطرون الى وضع الاسماء الاجنبية ، والنطق بها كما ينطق بها اهلها ، وفي ذلك من الاجحاف بحق اللغة ما فيه ، مع ان الاوائل قد فرغوا من ذلك ، برغم المشاق التي جابهوها ، حتى تضخم في زمنهم معجم اللغة العربية تضخماً سوف لا تبلغ عشره اي دولة من الدول الحاضرة . وانك لو رجعت الى كتبهم التي وضعوها بعد نضوج افكارهم ، او نقلوها عن السنة غيرهم ، لرأيت من المصطلحات شيئاً عجيباً ، ولهذا ارى من الواجب المحتم ان نبحث عن تلك المؤلفات ، ونطالعها ، ونفقه ما فيها ، بصفتنا رجالاً يخدمون الامة من الناحية العسكرية ، وسوف ترى من بعد مطالعتها ، مئات بل اوفاً من المصطلحات العسكرية العربية ، ومئات من

المصطلحات العربية في مختلف الفنون الحربية ، اخذها الافرنجية عن العرب ، في العهدين الاموي والعباسي ، وترى ان معظم اسماء الآلات الحربية ، ومثل القلاع وامير البحر ، ودار الصناعة وغيرها ، قد اخذها الغربيون عن العرب ، وذلك يوم كان الغربيون على ما نحن عليه الآن من الجحود ، وترك تراث السلف ، والتسكع في دياجير حالكة .

والآن ، وقد يعترف حتى الافرنج بانفسهم يدعون بأن اللغة العربية « آتم لغة في العالم » أترى يليق بابنائها ان يستعبروا لها وهي آتم لغة في العالم الفاظا اعجمية فيرقعون ثوبها الجميل ، برقع دكناء لا وجه لها . وهل من الانصاف ان نضيف اليها المصطلحات الفرنجية ، وهي في عصر العشرين عصر النور ، عصر تقدمها ورقها ، فتمت يا هل ترى ينتبه اقطابها المسؤولون عن كيانها . فينحتون من مقلعها الضخم عبارات والفاظا وكلمات تقوم بحاجتها ونستغني عن المصطلحات الغربية .

وهنا يجب ان يعترف العالم العربي بأنه مدين الى الحكومة العراقية ، لانها احيت بفضل وزارة الدفاع للجيش العراقي ، مئات المصطلحات العسكرية ، التي كانت معروفة عند العرب ، ثم انها نحتت واشتقت من جسم اللغة العربية مسميات لا حصر لها ، فاسدت يدأ بيضاء ، لا يمكن ججدها ، ولا ازال انخطر ما كتبهته المجلة العسكرية في السنة الاولى من صدورها وهي السنة ١٩٢٤ م واقدمت على وضع قاموس المصطلحات العسكرية ، انها رجت من جميع المهتمين بهذه المصطلحات ان يرافوها بنظراتهم وتقديراتهم في هذا الشأن ، ليستفيد الجيش وتستفيد اللغة منها ، لان لا غنى لها عن معاونة ذوي العلم والاختبار في هذا الباب ، ولان هذا العمل

يقتضي بذل العناية الشديد في تمحيص الالفاظ والعبارات المصطلح عليها ، وانعام النظر الدقيق فيها ... غير ان المجلة ثابرت على المضي في سبيلها ، واحيت ما اندثر من علوم الاولين العسكرية ، وارجمت ما وضعوه قديماً الى الاستعمال ، فكانت بحق رمز الصحافة العسكرية ليس في العراق فحسب وانما في الافطار العربية اجمع .
(راجع بحث اسكندر العلوف في المجمع اللغوي بمصر)

المطلب الثالث

وهو الاخير ، هو ان اضع بين ايدي الناشئة العسكرية ، والشباب الذي اقبل على نظام الفتوة ، فاندج في سلسكها ، ليتناول من بعدها البندقية فيحارب كضابط او ضابط صف في الجيش ، الى هؤلاء اكتب لهم تاريخ اجدادهم ، واهديهم الى آثار القادة العظام من آباؤهم ، ليتبعوا تاريخ تلك الحروب تتبعاً صحيحاً ، ودقيقاً ، فيسجلوا لانفسهم العبرة ، ومادام التاريخ مرآة للماضي وعبرة للحاضر ونور الهدى للمستقبل ، فما اجل تاريخ الحرب ، للامة التي فطرت على العسكرية ، وجبلت على حب الحرب .
واليك الآن بعض تلك : -

البقايا من التأليف العسكرية (١)

- ١ - كتاب : « الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية » تأليف طيوغا الاشرفي البكلميشي اليوناني (٧٧٠ هـ) وهو مطول في علم ركوب الخيل ولا سيما في الحرب منذ يعتلي الفارس صهوة الجواد حتى يتحول
- « ١ » منقولاً عن كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لمؤلفه جرجي زيدان ج ٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٨ ما لم أشر الى مصدر آخر

غنه وفيه فوائد - زيلة عن الاسلحة بالنسبة الى الفارس ، وقد افرد فصلاً خاصاً لكل جزء من اجزاء السرج كالعنان والركاب والمقرعة وكيف يعتلي الفارس متن الفرس وكيف ينقل الرمح بيديه ، وفي الميادين والجري فيها ، والحيل الحربية ، ويصف الميادين على اشكالها . وقد وضع للميادين رسوما هندسية ، ودل بالخطوط على طرق جري الافراس باختلاف ضروب السباق ، او طرق الهجوم .

فيها : الميدان المربع ، والمستدير ، والمستطيل ولها اسماء تعرف بها كقولهم « ميدان السكلايين المشقوفة المغلوبة » و « ميدان المقابلة » وجملتها ١١ ميدانا . وهناك تفاصيل لضروب الحرب من الكر والفر ورسم له شكلاً خاصاً ، اوضح فيه طريقته وكيفية جولان الفرسات في ساحة الحرب ، وقس على ذلك سائر ضروب الفروسية ورمي النشاب ولعب السيف ، والرمح وغيرها .

منه نسخة في المكتبة الخديوية في ٢١٤ صفحة كبيرة .

٢ - كتاب : « الانيق في المجانيق » تأليف ارنيفا الزرد كاش (١) سنة

٨٦٧ هـ وصف به انواع المجانيق وكيف يرمى بها على اختلاف انواعها ووضح ذلك بالاشكال التفصيلية اعني أنه وصف كل نوع من المجانيق وصوره وصور كل جزء منه واسكل قطعة اسم عربي . وفي هذا الكتاب كثير من المصطلحات ، ونحو ٥٠٠ رسم منه نسخة في المكتبة الخديوية .. في ١٠٩ صفحات اكثرها رسوم ميكانيكية للمجانيق واجزاؤها وصور القلاع ، واماكن وضع المجانيق فيها ،

ووصف سقي السيوف وسائر الآلات القاطعة ، الفه لشمس العلاء
منكلي بغا الشمسى .

وهو في جملة كتب الاستاذ زكي باشا مأخوذاً بآلة التصوير في ١٠٩
لوحات بعضها مكرر . وفيه وصف المنجنيق واجزائه وطرايق صناعته
وغير ذلك محلى بصور في غاية الابداع . (عن المقتطف سنة ١٩٢٣
ج ٤ جلد ٣٦ ص ٣٧٥)

٣ - كتاب : « تحفة المجاهدين في العمل بالميادين » الفه الامير لاجين بن
عبدالله الذهبي الحسامي الطرابلسي (٧٣٨ هـ) يبحث في الحركات
العسكرية ، منه نسخة في برلين ، « كان قد ابتاعها احد قناصلة
المانيا » (١)

٤ - « بغية القاصدين في العمل بالميادين » الفه محمد بن الامير لاجين
(السابق الذكر) ٧٨٠ هـ للامير سيف الدين المارديني صاحب حلب
ويبحث في الفروسية ، منه نسخة في لندن .

٥ - كتاب : « كشف الكروب في معرفة الحروب » الفه عماد الدين
موسى بن محمد اليوسفي المصري ٧٥٩ هـ احد مقدمي الحلقة المنصورة ،
للسultan الملك الظاهر حقمق ، ويبحث في فن الحرب ونظام الجند ،
وطرقهم العسكرية واسلحتهم ، منه نسخة في المكتبة الخديوية ... في
خمسین صفحة مزدوجة الحجم .

٦ - كتاب : « الفروسية » ألفه بدر الدين بكتوت الرماح الخازنداري

نائب الاسكندرية سنة ٧٧١ هـ ومنه نسخة في المتحف البريطاني .

٧ - كتاب : « الاحكام المملوكية والضوابط الناموسية » ألفه محمد بن

منكلي (١) نقيب الجيش في زمن الاشرف شعبان سلطان مصر سنة

٧٦٤ - ٧٧٨ هـ (٢) ويبحث في فن القتال (٣) قسمه الى ١٢٢ باباً

في السفن الحربية وآلاتها وحركاتها والرمي بالمدافع والزرقات ، منه

نسخة في الخزانة التيمورية ناقصة من آخرها ، يبحث ينتهي الكلام

فيها الى الباب ١١٠

٨ - كتاب : « انس الملايوخش الفلا » لمؤلف السابق الذكر ويبحث في

الصيد ، ومنه نسخة في باريس .

٩ - كتاب «التدبيرات السلطانية في سياسة صنائع الحربية » لمحمد بن المنكلي

ذكره صاحب كشف الظنون (ج ١ ص ٢٧٠) ولم يسم مؤلفه . نسخة منه

في خزانة ايا صوفية تحت رقم ٨٢٥٦ وله كتاب :

(الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ، محفوظ في الخزانة

المذكورة تحت رقم ٣٠٨٦ و ٣٠٨٧ (٤)

١٠ - تعبئة الجيوش : وقف المستشرق (وستفيلد) على مجموعة خطية في

مكتبة غوطا فيها قطعة عربية كبيرة ، تبحث في تعبئة الجيوش ،

والحركات العسكرية في الحروب . هي عبارة عن ثلاثة فصول من

١٠ ، بغا الشمسي «٢» واحد مقدمي الجند بمصر في دولة المماليك

٣٠ في البحر «٤» تذكرة النوادر ص ١٤٨ .

كتاب الحركات العسكرية لالبانوس ، ليس عليه اسم واضعه في العربية ، ولكن يظهر انه من اهل النصف الاول من القرن الثامن للهجرة ، وعني (وستنفيلد) بنشر هذه القطعة مع ترجمتها الالمانية في غوتنجن سنة ١٨٨٠ م ويشمل الاصل العربي على التعليم الثامن في عقد الجيوش وجمعها وولاتها وامراتها وتنظيم المعسكر وترتيبه ومنزلة كل قسم في مكانه منه ، والتعليم التاسع في تعبئة الامير للصفوف في القتال وفصول في الصنوف واسماؤها واعدادها ، والعمل بالسيوف وانواعها على اختلاف اصولها ، وغير ذلك في ٣٢ صفحة كبيرة موضحة بالاشكال الحربية من تنظيم الجند في مربعات او اهلة او مثلثات او دوائر .

١١ - كتاب : « بغية المرام وغاية الغرام » وهي قصيدة في رمي السهام قدما مؤلفها طيبوغا الاشرفي ٧٧٠ هـ لسلطان الملك الاشرف منه نسخة في لندن .

١٢ - كتاب : « غنية الطلاب في معرفة الرمح والنشاب » للمؤلف الآنف الذكر ، ويوجد في غوطا ، وباريس والمكتبة الخديوية بمصر .

١٣ - كتاب : « الاقوال الكافية في الفصول الشافية » الفه الملك المجاهد علي بن داود الرسولي في اواسط القرن الثامن ، منه نسخة في المتحف البريطاني .

١٤ - « رمي القوس » كتاب في تعليم رمي القوس والنشاب وسبب رميه وتعليمه بشواهد من الكتاب والسنة لم يذكر عليه اسم المؤلف .

منه نسخة في المكتبة الخديوية تاريخ كتابتها سنة ٨٠٠ هـ في ١٣٦
صفحة ...

بدأ المؤلف بأثبت وجوب الرمي بالنشاب وأنه فرض على المسلمين
ثم وصف السهام وأطوالها وشروطها في قصيدة شرح فيها ما ينبغي
شرحه بطريقة علمية فنية من الرمي ، وما يتفرغ اليه ، وأنواع القسي
على اختلاف المواقف .

١٥ - « خزانة السلاح » كتاب في وصف السلاح لم يذكر عليه اسم مؤلفه
واسكنه الفه بإشارة السلطان محمد شاه بن السلطان مظفر شاه ، فرغ
من تأليفه سنة ٨٤٠ هـ وصف به السلاح وصفا شعريا منه نسخة في
المكتبة الخديوية في ٤٢ صفحة .

١٦ - « السؤل والمنية في تعليم الفروسية » فيه صور ملونة منه نسخة في
المكتبة الخديوية كتبت سنة ٨٠١ هـ ناقصة من اولها .

١٧ - « الارجوزة الحلبية » ارجوزة تقع في ٤٠٠ بيت نظمها ابو بكر
الحلي المنقار ٩٢٠ هـ وتبحث في رمي السهام عن القسي العربية ،
يوجد في برلين .

١٨ - كتاب « القسي العربية » ولا اعرف مؤلفه ، ومنه نسخة في غوطا

١٩ - والذي رأيته في كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ان لمصطفى
كاني القهوجي باشي « تلخيص رسائل الرماة » وطبع في القسطنطينية
سنة ١٢٦٣ هـ وهو مقالة في صناعة الرمي بالقسي .

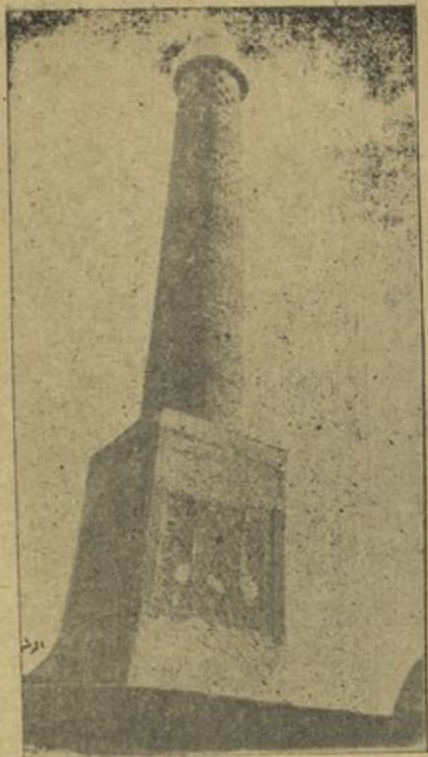
« ١ » في باب كسب القتال والحرب بحراً وبراً ٥٠٩

والذي رأيته في كتاب : تذكرة النوادر ما يلي :
 أولا - الحلبة في اسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام تأليف الفاضل
 محمد بن علي بن كامل .

ذكره صاحب كشف الظنون (ج ١ ص ٤٥١) ونقل عنه النواحي
 في كتابه حلبة السمكيت (وهو مطبوع) وهو كتاب جيد في
 اسماء الخيل وانسابها نسخة منه في خزانة بانكي فور تحت رقم
 ١٦٨٧ وهي مكتوبة بخط المصنف في سنة ٦٩٧ اوراقها ٣٢ (١)
 ثانياً - اللغة ازي لابن اسحق المتوفى سنة ١٥١

نسخة منه في مكتبة كوبريلي تحت رقم ١١٤٠ قلت : هذا كتاب
 عزيز الوجود لو ثبت انها نسخة للغة ازي بن اسحق لافخرت
 الامم كلها بوجودها . (٢)
 ثالثاً - البرق الشامي في التاريخ .

تأليف الوزير عماد الدين السكاتب ابي عبد الله بن محمد بن محمد بن
 حامد الاصمعي المتوفى سنة ٥٩٧ (ذكره ابن خلسكان ج ٢ ص
 ٩٨) فقال : « فوصل الى دمشق في ٨ جمادى الآخرة سنة
 ٥٧٠ هـ وصلاح الدين يومئذ نازل على حلب .. ولم يزل على ذلك حتى
 نظمه في سلك جماعته واستمكتبه واعتمد عليه فصار من جملة الصدور
 المعدودين والامائل المشهورين . وصنف كتاب البرق الشامي في سبع
 مجلدات وهو مجموع تاريخ وبدأ فيه بذكر نفسه وصورة ائمة له
 من العراق الى الشام وما جرى له من خدمة السلطان نور الدين محمود



منذنة الجامع الكبير في الموصل

وكيفية تعلقه بخدمة السلطان صلاح الدين وذكر شيئاً من الفتوحات بالشام . وهو من الكتب الممتعة »

وقال صاحب كشف الظنون « ثم بسط اخبار السلطان صلاح الدين وفتوحاته وحوادث الشام في ايامه وهو كتاب كبير في سبع مجلدات »

نسخة عتيقة منه في متحف بطرس برج ، كتبت في حياة مصنفه .

ولو كان في اليد منسوخ من الوقت لذكرنا عشرات اخرى من الكتب العسكرية الاخرى ، وهي تراث السلف الصالح ، الذي وجب على الخلف احياءه فلقد رأيناهم يعنون بعلومهم العسكرية حتى عقدوا لها العلوم الخاصة وعرفنا قبلاً :

آ علم الآلات الحربية (١)

وسوف نعرفكم بثلاثة علوم اخرى هي :

ب - علم ترتيب العساكر (٢)

وهو علم يبحث عن قود الجيوش وترتيبهم ونصب الرؤساء لضبط احوالهم ، وتهئية اراضيهم ، وتمييز الشجاع عن الجبان واستمالة قلوبهم بالاحسان اليهم ، ويهيء لهم البسة الحروب ، والسلاح ، ثم يأمر لكل منهم بالزهد والصلاح ليفوز بالخير والفسلاح ويأمرهم ان لا يظالموا احداً ولا ينقضوا عهداً ولا يهملوا ركناً من اركان الشريعة ، فانه الى استئصال الدولة ذريعة »

ج - علم التعاقب العددي في الحروب

وهو علم يتعرف منه كيفية ترتيب العساكر في الحروب وكيفية تسوية

صفوفها ازواجاً وافراداً وتعيين اعداد الصفوف ، واعداد الرجال في كل صف منها وهيئة الصفوف اما على التدوير او التثليث او التربيع الى غير ذلك ، حسبما تقتضيه الاحوال .

د - علم الجهاد

هو علم يعرف به احوال الحرب وكيفية ترتيب العسكر ، واستعمال السلاح ، ونحو ذلك وهو باب من ابواب الفقه تذكر فيه احكامه الشرعية ، وقد يذوا احواله العادية ، وقواعده الحسكية في كتب مستقلة ، ومن الكتب المصنفة فيه :

« الانجهاد في طالب الجهاد »

قلت : والكتاب الاخير مطبوع ، عنت بنشره « جمعية النشر والتأليف الازهرية » طبع عام ١٣٤٧ في ٢٣ صفحة ، وهو من مؤلفات ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ . وقد وقع بيدي كتاب آخر كبير الحجم في الموضوع نفسه اسمه « ارشاد العباد الى الفوز والجماد » تأليف الشيخ حافظ فخر الوصلي ويقع في ٢٥٠ صفحة .

ولا شك ان ما ذكرناه من الكتب ، هو نليل جداً من كثير ، والذي وصفناها به ، هو دور قدرها علم الله ، ومع هذا فقد يدشننا خبر هذا القليل ويدشننا وصفه ، وانما الذي يخفف لوعة اها هو انها محفوظة ، معتنى بها في دور مهمة للكتب . فهل يا ترى يلفظ الله بقومه ، فيرد علينا ما ضاع وفقد من آثار آبائنا ومؤلفاتهم ، وهل يا ترى تتحرك اريحية خلفاء هؤلاء الابجداد فينهضوا لبناء مجد عملي واستغلال قوي وحربية صحيحة ؟ فيعود العرب لسابق مجدهم .

واذ وصلنا الى هذا الحد ، فلتحول الى بيان :-

أدوار الخلافة العباسية

على ان نختم الاطروحة في ذكر :-

اسباب سقوط الدولة العباسية

ملخصين تلك الاسباب ، من الابحاث السالفة التي وردت في الاطروحة ،
ومن النتائج التي وصل اليها بنوا العباس ، فانتهت تلك النتائج بسقوط تلك الدولة
العظيمة متوخين في كل ذلك ان نذكر العوامل العسكرية فقط ، تلك العوامل التي
دعت الى تداعي وانهدام ذلك الصرح الضخم .

واليك :-

ادوار الخلافة العباسية

الدور الاول

دور القوة والعمل ، او العصر العباسي الذهبي ، ويبدأ من ظهور
الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى اول خلافة المعتصم بالله الخليفة
العباسي الثامن ، وفيه كانت الجيوش ، عربية وخراسانية ، والقادة
من الطرفين وفيهم غير قليل من الامويين واصحاب العصية ، الا ان
السياسة والادارة كانا بيد الفرس ، انما كان المهيمن على شؤون الدولة
الخلفاء انفسهم ، وهم قادة الجيش دأبوا . ولذلك كان النفوذ العربي
باقياً ، وفيه بلغت الدولة العباسية ارقى قمم المجد ، وهو دور سيادتها
الذي دوخت في ابانه الامم ، وامتازت بالحضارة ، والمدنية والثروة

ونشر العلوم والآداب ، وعظمة الجيوش المجندة ، وكثرة الجنود المتطوعة ، إنما الذي يؤخذ عليه العباسيون في هذا الدور هو أنهم فسحوا المجال كثيراً للفرس ، فأنفوا الجيوش الخراسانية الجرارة وأغلبهم لا يرتبطون مع الدولة لا بالوحدة الدينية ولا بالجامعة القومية ، ثم إنهم أودعوا فيه الوزارة إلى الموالي من الفرس ، وأناطوا بهؤلاء قيادة الجيش فتضوا على عرب العراق والجزيرة والشام ، فلم تنج الدولة على عظم شوكتها من الخوارج الذين أدخلوا بالامن ، وعاثوا فساداً في الأنحاء ، واقضوا مضاجع الخلفاء .

الدور الثاني

ويبدأ من أن تولى الخلافة المعتصم بالله سنة ٢١٨ هـ وينتهي باغتيال المتوكل على الله سنة ٢٤٧ وقد حكم في هذا الدور ثلاثة خلفاء هم : المعتصم والواثق والمتوكل ، كان الجيش فيه تركياً غريباً لا صلة له بالعراقيين ، أما قيادة هذه الجيوش فكانت بيد المماليك من الأتراك ، إنما كانت الخلافة فيه مهيبة الجانب ، والنفوذ المطلق بيد الخلفاء . فالعلماء الأتراك الذين جلبهم المعتصم ، ولم يكونوا في سنة ٢١٨ هـ سوى جنود أو عرفاء ، لم يزالوا يرتقون رتبة فرتبة ، حتى كان منهم في عهد المعتصم قواداً وأمرأه كثيرين ، ثم توطدت قدمهم في حياة ابنه الواثق ، وصار رؤساء الأتراك هؤلاء ، أصحاب نفوذ عظيم ، ولا سيما (اشناس) الذي توجه الواثق والبسه وشاحين بالجوهر في سنة ٢٢٨ هـ .

وما انتهت الخلافة الى المتوكل حتى كان الجيش العباسي كله من الاثراك ، يتسلط عليه القادة الاثراك الذين قدم بهم العهد ، فاستبدوا باموال الخلافة وادارتها وكان الحكم في هذه المدة حكماً عسكرياً محضاً ، ولقد مر بكم جمهرة من اولئك القادة ، غير ان المتوكل احس بهذا الخطر الدائم ، وعزم على ان ينقذ المملكة من سيطرتهم المطلقة ، شأن الملوك الذين يغارون على مصلحة الممالك ، فبدأ بقائدهم الاكبر « ايتاخ » وكانت بامرته الجيوش جميعها : المغاربة والاثراك والموالي والابناء الخراسانيون ، وتحت سيطرته ايضاً : البريد ، والحجابة ، ودار الخلافة . قال في القبض عليه وحبسه ، وحبس ممة ابنيه ، منصور ومظفر ، وكاتبه : سليمان ابن وهب ، وقدامة بن زياد ، فكانت الشدة التي عومل بها « ايتاخ » سبباً لوفاته سنة ٢٣٥ هـ .

ثم ان المتوكل على الله ، فكر في نفسه ، واستشار العرب من حاشيته فاشاروا عليه بان يجعل دمشق عاصمة للملكة ، ليتخلص من نفوذ الاثراك اولاً ، وليضربهم بعرب الشام ثانياً . وهكذا سار اليها في سنة ٢٤٣ هـ ، انما لم يتم له ذلك ، فقيل انه استوبأها آنذاك ، ولعل السياسة هي التي اقهرته الى الرجوع الى بغداد ، ومهما كان من امر هذه السياسة القاهرة ، فلقد قلم المتوكل من اظفارهم ، واخفض من غلوائهم ، فهابه القواد المتمردون ، ولم يستطيعوا ان يشبوا الثورة في البلاد ، او ان يستأثروا بالحكم دونه ، وكان زمن المتوكل ، آخر الازمنة العباسية التي يستقل فيها الخليفة العباسي ، حتى قال المسعودي (١) « كانت ايام المتوكل في حسنهما ونضارتها ورفاهية العيش فيها وحمد الخاص العام لها ، ايام سراء لا ضراء » .

وفي سنة ٢٤٧ هـ من حكم المتوكل ، تحالف القواد الاتراك وفي مقدمتهم « باغر » التركي فاجتالوا المتوكل تحت جنح الليل ، وبقتله زادت الاتراك قوة في الدولة على قوتهم ، وانتهت الخلافة الى دور صار الخلفاء فيه يهابون امراءهم لان ايدي هؤلاء صارت تمتد الى حياتهم .

الدور الثالث

دور استبداد الاتراك ، ويبدأ من مقتل المتوكل على الله سنة ٢٤٧ الى اول خلافة المقتدر بالله سنة ٢٩٥ هـ .

وامم ما يمتاز به هذا الدور هو ان الجيوش فيه تركية بحتة ؛ والامر والنهي بيد القواد من الترك ، فتغلب العنصر التركي بالطبع ، لان اهم ما تظهر به الدولة جيشها الذي يزود عن حياضها ويحمي بيضتها مشتركافي كل ذلك مع الشعب في احساسه وشعوره ... نعم تغلب العنصر التركي في هذا الدور ، حتى اصبح الخلفاء آلة بايديهم ، فهم الذين يعينون الولاة والعمال والوزراء وغيرهم ، واذا تنازع هؤلاء القادة على السلطة ، كان الخليفة دائماً مع الغالب منهم ، وهكذا بعد ان كان القواد يحلفون للخليفة باطاعة صار الخليفة يحلف لهم . ولا حاجة بنا لابرار الامثلة عن ذلك ، فبطلون التواريخ مشحونة بقضايا الاستبداد التركي وفضائعهم ، ولنا بالذي قتل في مجلس ابيه والذي فصد بريشة مسمومة ، والذي سحب على وجهه ، والذي ضرب بالدبابيس ، والذي حبس بغرفة لا نوافذ فيها ، والذين سملت اعينهم ، والذين اماتوهم فقراء لا يملكون شروى تقير بل

يسألون عامة الناس ، لنا في ذلك كفاية عن الادلال .

الدور الرابع

دور نفوذ الخدم ، ويبدأ من خلافة المقتدر بالله سنة ٢٩٥ هـ الى استيلاء البويهيين على بغداد سنة ٣٣٤ هـ واستقرار دولتهم فيها ، ويمتاز هذا الدور بأن الجيش العباسي فيه أصبح خليطاً من الترك ، والعرب والسودان ، والبربر ، والنوبة ، أماقوا هذا الجيش المختلط فمعظمهم من الخدم العبيد ولذلك كان النفوذ فيه للخدم ، وما اكبرها جريمة على الدولة ان يسلم الخلفاء خدمهم على الرعية ، لقد كان المقتدر بالله اول من استكثر من الخدم ، ورفع منزلتهم ، فقد تولى سنة ٢٩٥ هـ وعنده من الخدم والخصيان : ١١٠٠٠ خادماً من الروم والسودان (١) وكان يقدمهم فيستعين بهم ، ثم ولاهم قيادة الجند وغيرها .

وفي أيام المقتدر نفع (مؤنس) الخادم ، وكان عبداً خصياً من عبيد المعتضد والد المقتدر ، فلما صارت الخلافة اليه ، زاده في رفعة القدر وولاه قيادة كثير من جيوشه ، وصار من اعظم وزرائه ، وكان يستشير في كل اموره ، فتصرف مؤنس في مصالح الدولة كما يشاء حتى أصبح في الاخير امير الامراء ، وتولى رئاسة الجيش وانضمت اليه بيوت الاموال ، واستبد في كل شيء ، انما يقول المؤرخون بان مؤنس خدم المقتدر خدماً ذات بال ، ولكنهم لا ينظرون الى النتيجة

فلقد نشبت بينها وحشة وتكررت حتى ادت الى حروب انتهت بقتل
المقتدر سنة ٣٢٠ هـ فتأملوا الى اي درجة وصل التطاول بهؤلاء الخدم
حتى اصبح بمقدورهم مناوئة الخليفة والقتال معه والانتصار عليه .
وهناك غير مؤنس الخادم « ثمال » الخادم وقد عقد له المقتدر على الغزاة
في بحر الروم (١) ثم هناك « مفلح » الاسود غلام يوسف بن ابي الساج
والى اذربيجان في عهد المقتدر ، وهالك كثيرون لا يسعني ان اسرد
اسماءهم واعمالهم المنكرة وما جروه على الخلافة من ويلات جميعا .
فلقد تشعبت في دورهم المملكة العباسية الواسعة الى امارات وممالك
صغيرة مستقلة عن الخلافة والغريب انه لم يكن بين تلك
الدويلات دولة عربية غير الدولة الحمدانية بحلب والثمور ، وهي رقعة جد
صغيرة ولم يزل شأن الدولة في ضعف وانحلال حتى استولى البويهيون
على العراق والاهواز وفارس والجل والري في سنة ٣٣٤ هـ فتضوا
على نفوذ الخدم وسارت الدولة العباسية على سياسة اخرى جديدة قال
ابو العباس (٢) « ولما ولي المتقي سنة ٣٢٩ هـ تقاصر امر الخلافة ،
وتناقص وقنع الخلفاء بالدعاء على المنابر وضرب اسمهم على الدنانير
والدراهم ، وربما خطب الواحد منهم بنفسه »

الدور الخامس

دور النفوذ الديلمي ؛ ويبدأ من سنة ٣٣٤ هـ اذ دخل معز الدولة

١٠، الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ٣١٩ « ٢ » صبح الاعشى ج ٣ ص

٢٧٢ والصدفي ج ١ ص ١٢٨

ابن بويه بغداد بجيوشه الدبلوماسية الى ان قامت الدولة السلجوقية وتغلبت على البويهيين في سنة ٤٤٧ ، وفي هذا الدور كانت الجيوش فارسية محضة ، لان البويهيين من الديلم وراء خراسان (الجيـلان) وملوكهم من الفرس ، ويرفع نسبهم الى ملوك الفرس القدماء ، لقد استولت هذه الجيوش على مقر الخلافة العباسية ففضت على نفوذ الخلفاء ، واتخذت جنود الاتراك الذين كانوا فيه ، واندمجوا بالجنود الدبلوماسية المختلة فنشبت فتن ادت الى الحروب الداخلية بين العنصرين ، بدافع العصبية والغيرة والتحاسد والتنازع على السلطان ، فكان النزاع الشديد الذي يقع دائماً بين الطرفين يعود بالضرر على المملكة ولذلك توقفت التجارة ، لحوف الناس على ما بيدهم من المال والبضاعة ، وهكذا كان استخدام الاتراك مع الديلم مؤدياً الى نشوب الفتن بين العنصرين .

هذه الفتن والحروب المستمرة بين الجنود انفسهم من جهة ومن الجهة الاخرى « فلقد كان النظام الاقطاعي الذي سنه البويهيون اول فساد في العراق ؛ لانه اضعف همه الفلاحين الذين يقومون بزراعة الارض واصلاحها وتأمينها » (١) وارى ان اشرح هذه النبذة لما فيها من المساس ببعض الوية مملكتنا ، وذلك ان البويهيين لم يكونوا يدفعون الرواتب قوداً لاجنادهم ، ولا لامراء هذه الاجناد ، حتى ولا في ازمان ومدد متقطعة انما اقطعوا القواد (٢) والاتباع القرى ، يتقاضون غلاتها على ان يقوموا بأود هذه القرى ويعمروها ، ويسووا الطرق اليها ، ويعتوا بمشاربها

« ١ » الخصري ص ٤٤٧ « ٢ » ومن هؤلاء القواد : اسفار بن شيرويه ، وماكان بن كالي ، ومرداويج بن زياد ، وليلي بن النعمان ، عن : خلاصة تاريخ العراق ص ١١٠

ثم لهم ان يزرعوا ما شاؤوا ، فربح القواد من وراء ذلك ربحاً كبيراً ، ولكن اتباعهم خسروا ، وبالطبع كان الخسران نصيبهم ، لانهم مسودون ، وجند لا يستطيعون ان يتفوا في وجه امراءهم وقادتهم ، اما القرى فقد اعتورها الخراب ثم اشتدت الحالة فطلت دواوين الحكومة ، واشتد الغلاء ومات الناس من الجوع ، اما الخليفة العباسي فكان نصيبه ك نصيب احد الامراء يتعيش بما اقطعه البويهيون له . فضعفت المملكة ضعفا شديداً ، وذهبت هيبة الملك ، ولم يبق في جيشها ذلك الذي وصفه المؤرخون « بأنه جيش له حول وطول وشوكة » اية قوة يستطيع بها ان يدافع عن المملكة ، فاستولى السلاجوقيون على البلاد سنة ٤٤٧ هـ ونقلوها الى حالة جديدة .

وكان الداعي الى انقراض دواتهم امران :-

الامر الاول : النزاع بين جند الانراك والديلم

الامر الثاني : اقطاع العسكريين القرى والزارع

والذي ذكره الفقهاء في احكام الجهاد (١) « انه يلزم امير الجيش ان لا يمكن احداً من جيشه ان يتشاغل بتجارة او زراعة لصرفه الاهتمام بهامن مصابة العدو وصدق الجهاد ، روي عن النبي ﷺ انه قال : « بعثت مرغمة ورسجة ولم ابعث تاجراً او زارعاً ... الخ » ولقد مررنا ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب حرم على الجند ان يشتغلوا بالزراع ، وجازى من تجراً على ذلك ، لان ذلك من العوامل التي تشغلهم في عرض الدنيا ، ولهذا السبب لم تدم الدولة البويهية ، واسرع

اليها الفناء ، والى جنودهم التفسخ (١)

الدور السادس

دور النفوذ التركي ، ويبدأ بقيام الدولة السلجوقية سنة ٤٠٧ هـ ، الى سنة ٥٣٠ هـ . حيث تولى الخلافة المقتدى لامر الله .. والسلجوقيون هم من عنصر الغز من اتركيا وراء سيحون ، ولم تعتمد هذه الدولة في تثبيت كيانها ، ورد الاعتداءات عنها ، على غير عنصرها التركي فاستقامت امورها ، انما اتبعوا الطريقة التي سار عليها البويهيون من نظام الاقطاع ، ففرقوا البلاد التي افتتحوها والعراق بالطمع من ضمنها على فوادهم ، وامراء جيوشهم ، في مقابل حربهم واتعابهم ، وفرق القواد تلك الاراضي في ضباطهم ، وفرقها هؤلاء في الاتباع من ضباط صف وجنود ، وقد اعتقد السلجوقيون كما اعتقد البويهيون من قبلهم ، ان تسليم الارض الى المقطعين يضمن عمارتها ، لاعتناء مقطعيها بامرها ، وبكفل الدفاع عن البلاد لان نظام الاقطاع بزعمهم يجعلهم يداً واحدة في الدفاع عنها ، لاشتراك مصالحهم وتبادلها فيها ، فكانت النتيجة ان استبد القواد بالغسلات ، فلم تكن حصّة الاجناد منها الا بلغة زهيدة ، عدا انها اقعدهم عن حفظ الثغور ، والتفرغ للتدريب ، ومناجزة العدو ، وصدق الجهاد ، قال الامران نخرّب القرى والاراضي ، ويضف شأن الجيش . فينتهمز الفرصة

«١» وكان سقراط يحرم على الامراء والجنود ان يفتنوا بيوتاً او يكون

لهم مال ، نظام العالم والامم ج ٢ ص ٢٠١

الخلفاء العباسيون ، فيرجعون سابق عزمهم ، ويستردون العراق من السلاجقة ، ومن الغريب ان يتولى العراق ، بعض الولاة العثمانيين في العهد الاخير ، فينحوا هذا المنحى ويمزق لواء العارة بين الشيوخ فيقطع كلا منهم قسماً من اراضي اللواء ، الامر الذي حدا ببراء الرؤساء ، وفقر السواد فقراً مدقعاً .

الدور السابع

دور استعادة العباسيين شيئاً من نفوذهم العسكري والسياسي ويبدأ من سنة ٥٣٠ هـ حين تولى الخلافة المقتفي لامر الله العباسي وتنتهي سنة ٦٤٠ هـ حين افضى امر الخلافة الى المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين في بغداد « ففي ايام المقتفي عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء ولم يبق لهما منازع ... ولم ير بعد المعتصم خليفة في شجاعته (١) وهو الذي طرد شحنة السلجوقية ، واخذ اموالهم وجمع الرجال والعساكر واكثر الجند . وارسل جنوده فاستولت على سائر البلاد العراقية الحلة وواسط وغيرها ، وخرج بنفسه ليقوي جنده (٢) فاعطى درساً قيمياً للأجيال المقبلة ، انه لا يتم اخذ الحق بغير القوة ولا حياة لمملكة بغير جند ، ثم اعقبه خلفاء لم يقصروا عنه شأواً واخذوا بسيرته » فجدد الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ) عزيمته في ازالة السلاطين السلجوقيين الذين اهتموا حقوق الخلفاء والرعية واتخذ الوسائل الناجمة لقطع دابرهم من العراق ، ثم ملك بلاد

خراسان بجيش ارسله الى هناك ، وكذلك دقوفا (١) وقلعة تكريت
 وقلعة الحديثة ، ثم ملك همدان ، واسقط من كان بها من الملوك ،
 وقتل السلطان « طغرل بك » السلجوقي ، بتدبير وزيره محمد بن
 القصاب (٢) ثم جاء المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠ هـ) فاستخدم
 عساكر عظيمة لم يستخدم مثلها ابوه ولا جده حتى ان جريدة جيشه
 بلغت نحو مائة الف فارس ، استعداداً لحرب التتار وكان ذا أهمية
 عالية وشجاعة عجيبة ، وافدام عظيم وكان التتار قصدت البلاد فلقبهم
 عسكره فزعموا التتار شر هزيمة ، وكان له اخ يقال له : « الخفاجي »
 فيه شهامة زائدة ، كان يقول : « لئن وليت لاعبرن بالعسكر
 نهر جيحون وآخذ البلاد من ايدي التتار واستأصلهم » (٣) انما لم
 يتولى الخلافة وتولى المستعصم بالله ، وفي دوره انقضت الدولة
 العباسية في العراق ، وانهدم صرح تلك المملكة العظيمة ، وسوف
 نشرح ذلك فيما يلي : -

الدير الثامن

وهو الدير الاخير الذي انقطع فيه حكم بني العباس ويبدأ بأول
 خلافة المستعصم سنة ٦٤٠ هـ وينتهي بسنة ٦٥٦ هـ واليك الخبر عن
 سيرة المستعصم :

« فقد كان ابن الملقمي وزيره يصانعه ويظاھرہ في الخارج ، ولا

« ١ » دقوفا طاووق الحالية ٢. خلاصة تاريخ العراق ص ١٢١ « ٣ » خلاصة

تاريخ العراق ص ١٢٧

في الباطن ، وكان قد عقد النية على اخراج الخلافة من العباسيين وجعلها في العلويين
فاخذ الوزير يضرب اخماساً باسداس بلوغاً لاميته ، واول شيء اشار به الخليفة
ان يسرح اكثر الجنود لعدم الحاجة الى هذا القدر العظيم الذي جمعه ابوه ، وبعد
ان كان عسكره بمقدار يبلغ مائة الف فارس ... صار دون عشرين الف
فارس » (١)

وكان ابن العلقمي في تلك الاثناء يساعد الاعداء في ما يؤملون ، ويكاتبهم
بما يجري في البلاد ، وكيف يعملون على اضعاف قوى الخلافة ورجالها المتعلقين
بها ، وكانت الرسل بينه وبين التتر « حتى انه ارسل اخاه اليهم يستدعيهم » (٢)
وكان اذا جاءه خبر منهم كتمه عن الخليفة ، ويطالع التتر باخبار مولاه ، فاطمهم
في البلاد ، وسهل عليهم الامر ، وطالب ان يكون نائبهم فوعده خيراً ، فدلهم
على عورات الامصار وصورة اخذ دار السلام ، وضعف الخليفة ، وانحلال
العسكر ، الى غير ذلك من الامور الخطيرة التي كانت تتعلق بافائها الى العدو
سلامة الدولة .

ولا شك ان الجاسوس الخائن الذي يخدم في ديوان الخلافة رياء ، ثم انه
يحكم منصبه بطلع على اسرار الدولة ، ويروح يعرضها على العدو ، فيستفيد منها لحو
خطر عظيم ، كان يجب ان يلتفت اليه وتشدد الرقابة عليه ، من قبل ان يحقق
بالمملكة ما احاق بها .

فلقد زحف هولاء كوكب جيش جرار الى بغداد ، والمستعصم ومن معه في غفلة
عنه ، لاختفاء ابن العلقمي سائر الاخبار عنهم ، الى ان وصل العراق واستأصل

من بها قتلا واسراً .. ولما دخلت سنة ٦٥٦ هـ وصل التتار بغداد وعدتهم مائتا ألف وفي مقدمتهم قائدهم ومليكم هولاء ، فخرج اليهم عسكر الخليفة وعددهم اربعون الفا فانهزموا امام العدو . فتعقبهم التتار ووضعوا السيف فيهم (١) ثم كانت واقعة بغداد التي لم ير التاريخ اشنع منها ، وصارت حاضرة دولة لائذين بدين بعد ان كانت عاصمة المسلمين « واصبح في خبر كان ذلك الملك الطويل العريض ، الذي تعب العرب في فتحه واصلاحه وتعميره وثقيف اهليه ونشر العدل والامن فيه .

وهكذا ترى ان العباسيين حكموا في بغداد ٥٢٤ عاما ، اي من سنة ١٣٢ هـ الى ٦٥٦ هـ . وتقلب عليهم ادوار مختلفة ، فدور كان فيه للخلفاء الكلمة العليا والسيادة التامة على جميع العالم الاسلامي ، ودور يجتري فيه الامراء بالاطراف على الاستقلال ، وادوار اخرى تكون فيه السلطة بيد القواد من الترك او الفرس ثم يجيء دور يستقل الخلفاء فيه بملك العراق فقط ، ويشكون مملكة صغيرة يحميها جيش لا بأس به ، الى ان خمدت انفاس الدولة العباسية ، وازيلت من بغداد على يد هولاء كوفيد جنكيز خان سنة ٦٥٦ هـ .

ولو انك امعنت النظر جيداً ، لرأيت ان الدولة العباسية كانت تتقلب من حالة الى حالة اخرى ، تبعاً لتقلب جيشها . وان حالتها السياسية كانت مرتبطة تمام الارتباط بحالتها العسكرية ، ولذلك قسمت مدة حكم العباسيين ، الى ثمانية ادوار ، ولم اراع فيما ذهبت اليه ، المؤرخين الذين سبقوني والذين قدموا الدولة

(١) خلاصة تاريخ العراق . وان شئت التفصيل على هذه الحادثة فارجع الى تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي حوادث سنة ٦٥٦ هـ

العباسية الى ادوار ارتأوها ، على ما اقتضته الانقلابات السياسية او الاجتماعية .
ولما كان الجيش العباسي من اعم الوامل التي سببت انقراض الدولة العباسية
فلنبحث عن مواطن النقص والضعف فيه .
واليك :-

اعظم الاسباب العسكرية الداعية الى تداعيها

اولا - تعدد الاجناس وضعف الجامعة القومية في الجيش ، ونلاشي
عصبية الدولة .

ثانياً - شغب الجنود على الخلفاء والامراء ، والنزاع فيما بينهم .

ثالثاً - اناطة قيادة الفرق العباسية بغير العرب .

رابعاً - قلة مخصصات الجيش ، واضاعة واردات المملكة في امور الترف
واللهو ، وفيما لا طائل تحته من الشؤون غير العسكرية :

خامساً - ضعف روح التطوع ، وكثرة الخارجين على الدولة ، في داخل
المملكة وخارجها .

سادساً - ان الجندية لم تكن الزامية ، انما كانت على نظام التطوع .

ولكي ابرهن لكم على ان كان لهذه الاسباب اثر عظيم في حياة الدولة
فاتي اسوق بالبحار :-

اولا - تعدد الاجناس وضعف الجامعة القومية .

لما كان الجيش العباسي يتألف من عناصر مختلفة ، تباين عن بعضها

بالتقاليد ، واللغة والموطن ، والشعور الخاص ، وان لكل من

هؤلاء الاقوام عصبية جزئية يستमित دونها ، ويسمى لاجياها ووطن

بعيد يحسن اليه ، وعنفات لا يجب أن يزايلها ، واخلاق خاصة به ، كان من الصعب اتفاق كلمتهم على العدو . وصدق ضرايبهم وجهادهم في الميدان ، وصحة ولائهم الى الخلفاء واولي الامر من رجال الدولة العباسية ، ولذلك لم تكن للدولة عصبية تعزبها . وتشد ازرها وتحمي بيضتها ، وتبعث الغيرة على مصالحها ، وقد انمحت عصبية الدولة بتعدد اجناس الجيش وكثرة الاخلاط فيه ، عدا ان هؤلاء الذين ادبجهم الخلفاء في الجيش ، ومنحومهم الرتب العالية ، من خراسانيين او اترك او مغاربة كان لهم مجد يتوارثون ذكره ، ويبدلون الجهد في الفرص المناسبة لاسترجاعه .

وقد يحاجني البعض فيقول ان الدين كان يجمع بين هؤلاء العناصر المختلفة وكفى بالدين جامعاً ، ولكن الدين ان لم يكن مدعماً بعصبية قومية متحدة ، يضعف عمله ، ولذلك فان الدعوة الاسلامية قد اعتمدت في اول نشأتها على العصبية العربية ، فسحقت العصبيات الجزئية التي كانت القبائل تعزبها ، وبحارب بعضهم بعضاً بسببها . فكانت تلك العصبيات الجزئية عندهم كالاقلية المختلفة في هذه الايام التي تتمسك كل منها ، بمبدأ وعقيدة ، وعادات واخلاق وتاريخ ولغة ينافي ما لدى الاخرى ، ولكنهم شاهدوا ضرر ذلك فسحقتها ، وقامت مقامها وحدة قومية جامعة ، غير ان العباسيين لم يراعوا هذه النقطة الجوهرية في تشكيل جيوشهم ، حتى انهم اناطوا القيادة الى قادة من الموالي والترك ، وحتى تلاشى العنصر العربي وهو العنصر الذي تنتسب اليه الدولة ، وضعف شأنه في الايام الاخيرة ، فلم يكن بعد للدولة ملجأً تلتجى اليه في ايام شدتها .

ثانياً - شغب الجنود على الخلفاء والنزاع بينهم .

ثم ان هذه العناصر المختلفة ، المتباينة في الاخلاق والعادات واللغة والوطن ، التي اعتمد العباسيون عليها ، لم تنقطع عن الشغب واثارة الفتن ، والتنافر والنزاع دائماً ، ولعل العامل الفعال في غرس روح الشغب بين الجند العباسي عدا كونه عنصراً غريباً عن الدولة ، هي الوقائع الدامية التي جرت سنة ١٩٤ - ١٩٨ هـ بين الجيوش الفارسية التي التفت حول المأمون وبايعته في حياة اخيه الامين وبين الجنود العربية التي التفت حول الامين في بغداد

ثم اختلاف جيش الامين نفسه في خاتقين ، ثم حصار الخراسانيين لبغداد سنة كاملة ، وما لقيت بغداد وجنودها وعامة سكانها من الضيم والذل والعسف والجوع والقتل والنهب والندمير ، ثم مقتل الامين وفيه انتصار الفرس والشعوبيين ، ثم خروج الفرق العربية ، من اقطار مختلفة مطالبة بدم الامين ، ثم هياج الجند الخيرية على اثر مقتل القائد العظيم هرثمة بن اعين ، ثم اندحار هذا الجند ، وتمزق تلك الفرق ونكوصها الى البوادي .

لقد ابقت هذه الحركات الحبيثة روحاً سيئة في نفوس الجند وقوت معنوياتهم على التمرد ، والشغب ، والاستخفاف بامر الخلفاء العباسيين وقادتهم من بعد الامين ، واصبح شغبهم سلسلة متصلة العرا (١) « فني سنة ٢٠١ هـ ماطل الحسن بن سهل عامل المأمون بالمداين

(١) راجع في كل ذلك تاريخ الامم والملوك للمازني ما بين سنني

الجند لبغداد في مرتباتهم . فثار الجند وعزموا على خلع طاعة المأمون ، وكثر الفساد في بغداد ، وتقوى اهل الشرور فيها ، لضعف الامراء عن مقابولتهم ، اولان ذلك بامرهم ومن صالحهم » (١) وبعد ذلك بسنة اي في سنة ٢٠٢ هـ بايع اهل بغداد ابراهيم بن المهدي بالخلافة ، وخلعوا المأمون ، الى آخر ما وقع في العراق من الفتن في عهد هذا الخليفة ، الذي غرس الشعب في نفوس الشعب كما غرسه في نفوس الجند ، فظلوا ينتهزون كل فرصة لاثارة فتنة او تمرد . حتى انهم بعد موت المأمون ومبايعة الامة للمعتصم شغبت بعض فرق الجند ، ونادوا باسم العباس بن المأمون ، وبلغ بهم الشعب ان اتفق القواد الاتراك مع العباس هذا ، ليغتالوا المعتصم . وكان ذلك في سنة ٢٢٣ هـ والمعتصم في حصار العدو في عمورية ، في نحر المدد ووجهه ، ولذلك عدها المؤرخون جريمة عظيمة ، سيما والمعتصم قريب العهد باصطناع الغلمان الاتراك ، وتأثير القواد منهم عليهم . وما فتئت حوادث الشعب بين الجند مستمرة ، حتى انهم في بدء خلافة الواثق بالله سنة ٢٢٧ هـ ثارت الجنود القيسية بدمشق وعاثوا وافسدوا وحاصروا اميرهم ومارضخوا للطاعة حتى قتل منهم في مرج راهط نحو ١٥٠٠ جندي . « ثم ان الجند والشاكرية شغبوا ببغداد سنة ٢٤٩ هـ لما رأوا من استيلاء الترك على امور المسلمين يقتلون من يريدون من الخلفاء ويستخلفون من احبوا من غير ديانة ولا نظر المسلمين .. وفتحت السجون واخرج من فيها ، واحرق احد الجسرين ، ونهبوا الدور ، ثم امتدت الفتنة الى سامراء ، وقتلوا وزير المستعين ، ونهبوا امواله .

ولما قتل باغر التركي في سنة ٢٥١ هـ وهو الذي قتل الخليفة المتوكل على الله
شعب الجند على الخليفة وحصلوه مع وزيره ، ثم خلعوا طاعته وبايعوا غيره
وفي سنة ٣١٢ هـ ثارت العساكر والاهالي على الخليفة المقتدر ، وهجموا
عليه وهو في دار الخلافة . فقادوه الى مؤنس الخادم ، وخلعوه وبايعوا غيره ،
ثم عادوا فنصبوه ، حتى قتله جند من المغاربة كانوا يجاربون في جيش مؤنس
الخادم الملقب بالمظفر .

فاذا كان الجيش يشعب على خليفته وهو قائده العام ، ويشعب على ولاته
وامرائه ، وهم من تلزم طاعتهم ، اذ قال سبحانه وتعالى : « اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم » فقرن طاعة الامراء بطاعة نفسه ورسوله ، فلاندهش
اذا رأينا النزاع قائما بين افراد هذا الجيش ، بدواعي الطمع ، والاعتزاز بالسلطة
والتعصب لابناء الجنس .

وفي الاخير دبت الفوضى بين جميع الافراد ، وساعدتهم على ذلك قوادهم ،
فلم يبق بعد هناك ما يسمى بالضبط العسكري . كل ذلك والامة تلقى من وراء
ذلك عسفا ، وخسفا وغلاء ، واعتداء ، وبلاء من الاعداء على تخوم المملكة ؛
وقلقا واعتداء من المجرمين الذين اطلق سراحهم .

ثالثا - خطة الميزانية المرصدة لشؤون الجيش .

لقد اخذ الامويون بالمقدار الضروري من الترف ، وارصدوا معظم
ميزانية الدولة للشؤون العسكرية وتجهيز الجيوش ، وانشاء الاساطيل
وخزن السلاح ، وبناء الحصون والقلاع في الثغور ، وربط هذه
الثغور بقواعدها بخطوط مواصلات مهمة ، ولذلك فانهم فتحوا اكثر

الامصار في الشرق والغرب ؛ واتسعت المملكة الاسلامية في عهدهم توسعاً لم يسمع بمثله لا قبلهم ولا بعدهم ، على انهم لم يسلموا في اواخر ايامهم من الاسراف وافلاق الاموال بما لا طائل تحته . وغض النظر عما تحتاجه جيوشهم في مختلف الرباطات من المرتب والميرة والاكسية والاسلحة . مما جراً العدو على التحرش ببلادهم ، فهاونوا في امره كما نهاونوا بأمره تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة »

ثم لما جاء العباسيون ، لم يتعظوا بمن سبقهم ، فاصابهم ما اصاب اولئك واتت لاقول كما قال الشيخ طنطاوي جوهرى (١) : « والله ان المسلمين بعد ان اختلطوا بالامم وذاقوا حلو الزمان ومره ، لن يخرجهم من مأزقهم الا الاطلاع على السير والاخبار ، بشرط ان يكون منهم من يتحنون تلك السير ، ويفهمون المتأخرين اخلاق المتقدمين ويذكرونهم بما كان منهم من الخطأ والخطأ وهناك يرجع للامم الاسلامية بحجدهم ، ويعلمو شأنهم ؛ ويذهب عنهم الحزى في الحياة الدنيا ... »

والا فما للخلفاء وانها بهم في البذخ والتبذير والترف واقتناء الجوارى والعلماء واتخاذ الفراش من الخز والديباج والحرير والمسامير الفضية ، والعيش مع الندماء وانشاء مجالس الغناء ؟

وما للقواد وارتكابهم سائر ضروب الترف والتأنق بالطعام واللباس والرياش وابتداء المتنزعات وابتزاز بيت المال ؟ وما للجند واكلهم الاموال ، وارتداء المناطق المذهبة ؟ وما لفرسانهم وصوغ الركابات من الفضة ؟ وما لتساء الخلفاء وجمع الثروة الطائلة ؟ والوزراء الذين بلغ من ثروتهم ما يشبه ثروة الخلفاء ،

واليك بمثل واحد على صدق الدعوى : -

فأم المعتز مثلاً وجدوا لها من مخبآت في الدهايز نحو مليوني دينار نقداً ، ومن التحف والجواهر ما قدروا قيمته بمليون دينار ايضاً (١) وأم محمد بن الواثق كانت غلتها السنوية عشرة ملايين دينار (٢) وأم المستعين كان بين رياسها بساط افقت على صنعه ١٣٠ مليون درهم . وهكذا فانك ترى نساء الخلفاء يتمتعن بالنفوذ ، ويستولين على الاموال بالتواطؤ مع القواد ورجال الجند ، فيتحول الغنى الى النساء والخدم والقواد ، وينضب بيت المال فلا يبقى فيه ما يؤمن عطاء الجند ، ولا صنع الاسلحة لهم ، ولا رم الحصون اذا شعنها العدو ، فكان يضطر الجند برفع شكواهم يطالبون الخلفاء بدفع روايتهم ، وكان العدو يستهين بأمرهم ، فيخترق حدود المملكة ، ويصنع بالرعية ما يشاء ، كما اسلفنا البحث عنه في وصف الثغور وما آلت اليه .

رابعاً - اناطة قيادة الفرق العباسية بغير العرب

ثم ان العباسيين ارتكبوا في تنظيم جيشهم غلطة اخرى ، وذلك انهم اوكلوا قيادتها بغير العرب ، وتداخل هؤلاء القادة بمهام الدولة الاخرى ، واثروا على الخلفاء فكان الوزراء والممال ، والحجاب ، والسكرتار من غير العرب ايضاً ، وقد مضى لنا كلام كثير حول هذا الامر ، وكانوا يتدخلون في الشؤون العسكرية وهم ملكيون وبهذه الصورة انتقل عز الخلافة العباسية الى ارباب الدسائس من

رجال الفرس ، وإلى الجفافة من غلمان الانراك ، وعاد الكثير من عظماء العرب الى مواطنهم في القفر والصحراء ، واضعين نصب اعينهم قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون بهم بالمودة » فتصرف هؤلاء بامور البلاد كما شاؤوا وحققوا مطالبهم ، التي كتموها عن الخلفاء ، حتى اصبح زمام الخلفاء والمملكة بقبضتهم ، فاساءوا معهم السلوك ، وجروا عليهم وعلى البلاد البلاء .

خامساً ضعف روح التطوع وكثرة الخوارج

وآخر اسباب الوهن الواقع في دولتهم خروج الخوارج في كل وقت فاما المنصور فلم يشرب ريقاً حلواً من ذلك ، وكذلك جرى امر الخوارج مع خليفة خليفة ، حتى كان الرعية لا ينامون في بيوتهم آمنين (١) ثم كان الخوارج سبب اضطراب جبل الحكومة عدا زعزعة الامن في البلاد ، والذي كان يجاهر به هؤلاء الخوارج وينعونه على الخلفاء استبدادهم وخروجهم عما توجبه الاوامر ، وما كن استبداد الخلفاء من هذه الفاحية الا استخدامهم الاجانب ، بمن لا يمتون الى البلاد العربية بصلة نسب او قرابة او لغة او دم او تاريخ حتى ولا بالولاء والخلف ، ولما كان الخوارج يحاربون حمية عن الدين والقومية فلقد ظهر فيهم كثيرون من القادة ذوو مقدرة وكفاءة لحوض الحروب ، حتى ان نصر بن شيبث العميلي عندما

(١) الفخري في الآداب السلطانية .

ثار في خلافة المأمون وقوى أمره كان يقول : « انما هواي في بني العباس ، وانما حاربهم محاربة عن العرب لانهم يقدمون عليهم العجم » (١) وقد هزم الخوارج للخلفاء في مواقف عديدة جيوشا حجة ، فنانوا الذين ابتغوه وخرجوا له ، انما اضعفوا جيوش الدولة وانضوا ميزانيتها ، فغنايتهم من هذه الوجهة كبيرة جداً ، ثم ان كثرة الخوارج ، حسست الناس ، وصرفت افكارهم لا الى عون الدولة ولكن للعلن عليها ، فضف شأن المتطوعين ، ولم يعد يلاقي النفير الذي يدعو به الخليفة او نائبه اقبالا من الجمهور او حرارة منهم ، ثم مالوا الى الهدوء فلم يعودوا يستمدون للحرب او يأخذون اهبتهم للدفاع ، او يناصرون الجيش في صد غارات العدو (٢)

وهكذا مات في قلوبهم « التعصب الذي هو قاعدة الاسلام وقانون الايمان واساس الشريعة وشعار الموحدين وعلامة المؤمنين » (٣) ثم تقاعد الناس عن الالتحاق بالبعوث ، ولم يعيروا الولاية سمعهم ، وانقطعوا عن النجدة بالسلاح والكراع والرجال والاموال ، واتخذوا الضياع والقرى واشتغلوا بالحراثة ، وعادوا الى السكة (المحراث) التي قال الرسول ﷺ عنها ما دخلت دار قوم الا دخله الذل (٤)

ولما كان الجيش لا يستطيع ان يحارب وحده ما لم تعضده العناصر الباقية

١٠، ابن الاثير ج ٦ ص ١٠٥ ، قال رسول الله « ص ، لرجل جاءه فقيل له : « يا رسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد » قال : لا اجده ، فتأمل
٣، ص ٤٨ مفيد العلوم ومبيد الهموم للعلامة ابي بكر الخوارزمي ، ٤، ابن خلدون ج ١ ص ١١٩

من الامة ، وتتكاتف معه ، وتسهل عليه شؤونه ، وتدبر له حاجياته ، وتستغل
من اجله ما وراء خطوط الحرب في القواعد والعواصم ، فلقد هان على العدو ان
يسحق الدولة العباسية ، سيما وقد ترخص معظم الجيش النظامي فيها . وهكذا
نرى النقص في تشكيل الجيش العباسي ، من الوجوه الآتفة الذكر ، كان العامل
المهم في هدم كيان الدولة ، وسوقها الى الدمار . وبهذا تمت

الاطروحة

وانتهت

في ٣٠ تموز سنة ١٩٣٦

الفهرست

الصفحة		٣- القسطاط
٢	الاهداء	٢٢ المراكز التي انشأها عثمان :
٣	كلمة الناشرين	١ - القيروان
٥	سعة المملكة العباسية	٢ - الموصل
٦	عدد الجند	٣ - الحديثة
٨	» » في عهد الرسول	٢٥ تجهيزات الاجناد في عهد عمر
٩	» » في ايام الخلفاء الراشدين	٢٩ تكتلات الجيش الاموي :
١٣	» » في عهد الامويين	واسط . شيراز . المحفظة
١٣	» » في عهد العباسيين	الرمكة . عسكر مكرم
١٥	» » في الدولة الخوارز	٣١ المسالخ
	مشاهية	٣٢ المراكز التي بناها بنو العباس :
١٩	التكن	عسكر ابي جعفر (بغداد)
٢٠	مراكز الجند التي انشأها عمر	عسكر المهدي . الرافقة
	ابن الخطاب .	عسكر سامراء
	١ - البصرة	٣٥ سبب خروجه (المعتصم)
	٢ - الكوفة	العسكر . الرحبة . اسكندرونة

ملطية	٥٩	خطوط المواصلات وطرق	٣٩
المسافات بين الثغور	٦١	البريد	
العواصم	٦٢	الطرق والجسور	٤٦
انطاكية	٦٣	الثغور	٤٨
منبج	٦٥	الثغور الرومية	٤٩
دلوک	٦٥	الثغور الشامية	٥٠
رعبان	٦٥	١ - طرسوس	٥٢
قورس	٦٥	٢ - اذنة	٥٤
تيزين	٦٦	٣ - المصيصة	٥٤
اعتناء العباسيين بالثغور	٦٦	ما آلت اليه هذه الثغور (الثغور الشامية)	٥٥
الفداء واشهر الافدية في عهد بني العباس	٧١	٤ - عين زربة	٥٦
الفداء الاول	٧٣	٥ - الكنيسة السوداء	٥٧
» الثاني	٧٤	٦ - الهارونية	٥٧
» الثالث	٧٤	٧ - بياس	٥٨
» الرابع	٧٦	٨ - تقابلس	٥٨
فداء سنة ٣٥٥	٧٧	الثغور الجزرية	٥٨
الصوائف	٧٨	مرعش	٥٨
ديوان الجند (وزارة الدفاع)	٨١	الحدث	٥٩
الجند في عهد ابي بكر	٨٣	سميشاط	٥٩
بيت المال (وكيفية توزيع الاموال)	٨٤		

٨٥	بيت المال في عهد عمر	١٤٠	الفرسان
٩٣	شروط القبول للجندية	١٤٥	الهجانة
	البلوغ . الاسلام . السلامة .	١٤٥	الرجل او الرجالة
	الاقدام . الحرية	١٤٦	المنجنيقيون
٩٩	اعطيات الجند في الدولة الاموية	١٤٨	قنابل النحاس
١٠٠	ديوان الخزانة (الاموال)	١٤٨	قنابل الحجر
١٠٠	ديوان الاهراء	١٤٩	قنابل الزجاج
١٠٠	ديوان خزائن السلاح	١٤٩	قنابل اليد
١٠٢	الاعطيات في عهد العباسيين	١٥٠	القنابل المضيفة
١٠٦	نظام المنح النقدية	١٥٠	قنابل خائفة
١٠٩	الجند في الدول	١٥٠	قنابل المنشار
١١٣	كاتب الجيش	١٥١	النشابون
١١٤	الجند	١٥٣	النفطون
١١٥	تنظيم الجيش العباسي	١٥٣	الزراقون
١٢٠	التنظيم في عهد الخلفاء الراشدين	١٥٥	الدبابون
١٢٣	» في العهد الاموي	١٦٠	العيارون
١٢٩	قيادة الجيش العباسي	١٦٠	الهندسة
	المنصور . المهدي . الرشيد .	١٦٤	الاطباء والبيطرة والمضمدون
	المأمون . المعتصم	١٦٥	الاساطيل البحرية
١٤٠	صنوف الجيش العباسي	١٧٥	اسلحة المراكب البحرية

٢٢٢	فرض البعوث	١٧٥	السفن ذات القذائف النارية
٢٢٣	فرق الجيش العباسي بعد المعتصم	١٧٦	الحراقة . الطراوة
٢٢٦	قواد الجيش في الدولة العباسية	١٧٦	معدات السفن البحرية
٢٢٩	القادة في عهد المأمون	١٧٧	قنابل الانزلاق والمكروبات
٢٣٠	وزراء المأمون	١٧٩	اسلحة الجيش العباسي
٢٣١	القواد في زمن المعتصم	١٩٠	المنجنيق
٢٣٤	التعبية عند العباسيين	١٩٣	الدبابة
٢٣٤	نظام الكر والفر	١٩٤	الدبابة في هرم الاسوار
٢٣٨	نظام الخماس	١٩٤	رأس الكبش
٢٤٢	الاصطلاحات العسكرية	١٩٨	الدبوس
٢٤٣	نظام الصفوف	٢٠١	زي الجند العباسي
٢٤٩	نظام الصفوف المنظمة	٢٠١	لباس الفرسان
٢٥٠	فائدة نظام الزحف	٢٠١	لباس الرجالة
٢٥٣	نظام الكراديس	٢٠٥	فرق الجيش العباسي
٢٥٩	نظامات التعبئة في الدولة العباسية		المرتزقة . المتطوعة
٢٥٩	نظام الافتتاحات	٢٠٧	الشرطة
٢٦٢	الشعار	٢١٢	آل خراسان
٢٦٣	المعارك العباسية المهمة	٢١٢	فرق الجند في عهد المنصور
٢٧٨	عرض الجيوش في عهد العباسيين		العباسية . الكرنية . المغاربة .
٢٨٠	كيفية العرض		الفراغنة . المتطوعة

٢٨٩	البقايا من التأليف العسكرية	٢٨٢	استعراض الاساطيل
٢٩٩	ادوار الخلافة العباسية	٢٨٤	التأليف العسكرية
٣١٢	اعظم الاسباب العسكرية الداعية	٢٨٦	تطور التعبئة العربية
	الى تداعبها	٢٨٧	معرفة المصطلحات العسكرية
	***		العربية

فهرست الصور التاريخية

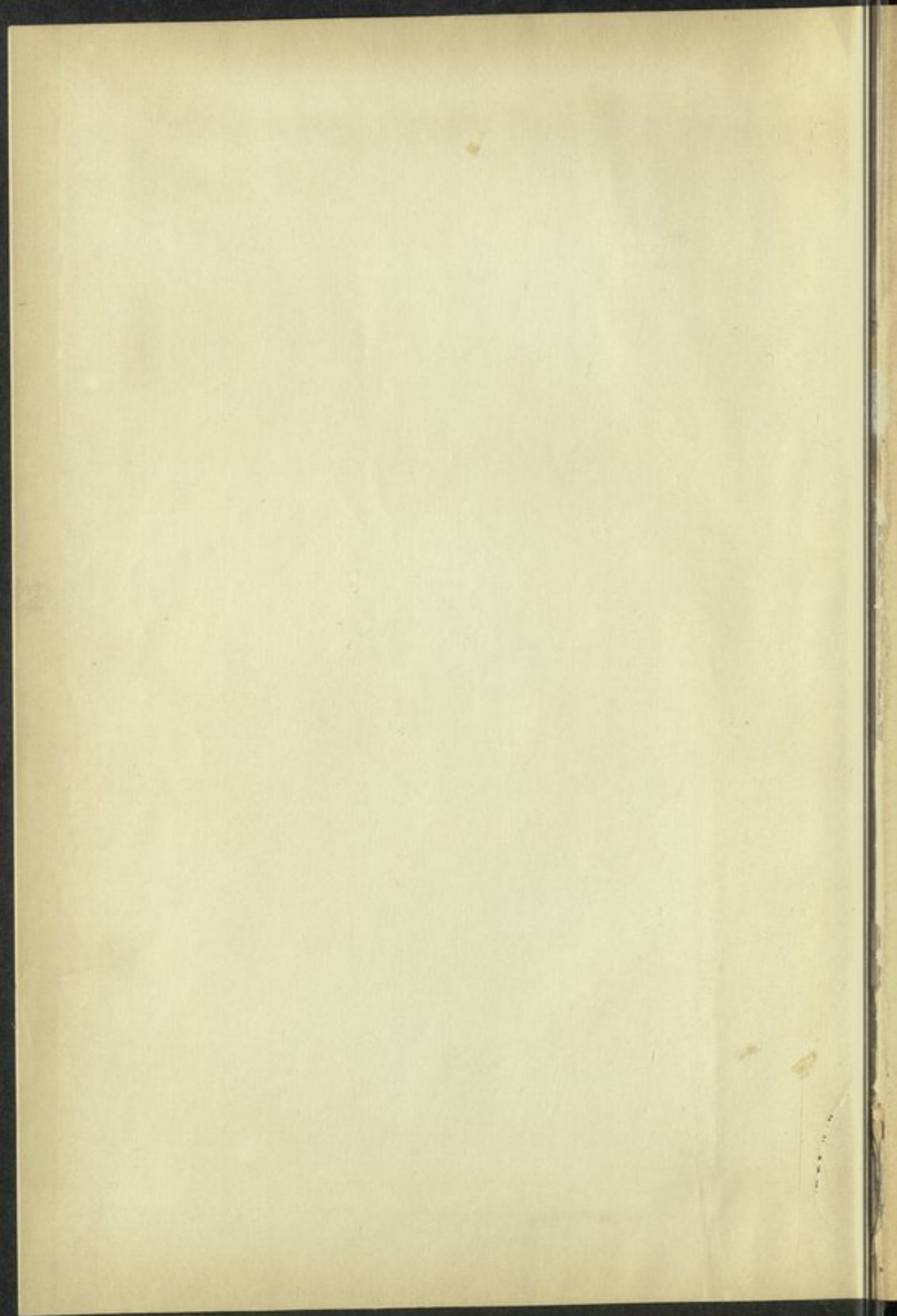
الصفحة	الصفحة
١٤٧	٣٣
مناجيق عربية	مئذنة جامع الخلفاء ومئذنة
١٦٦	معروف الكرخي
سفن حربية قديمة	٣٦
٢٤٠	ملوية سامراء وجامعها
خارطة العراق - للاصطخري	٥١
٢٤٨	الجامع الاموي
بقايا بيت الخليفة في سامراء	٦٤
٢٥٦	مئذنة في بلدة الرملة في فلسطين
نقوش جدار في سامراء	٨٠
٢٦٤	مسجد الكوفة
مطرفة باب من البرونز وجدت	٨٨
في شمالي العراق	المشتى بشرق الاردن
٢٧٢	١١٢
باب في خرائب واسط	كتابة على باب جامع مرجان
٢٩٦	في بغداد
مئذنة الجامع الكبير في الموصل	١٢٨
٣٢٧	نقوش محراب في المغرب
قطعة من اناء عليها صورة طير	

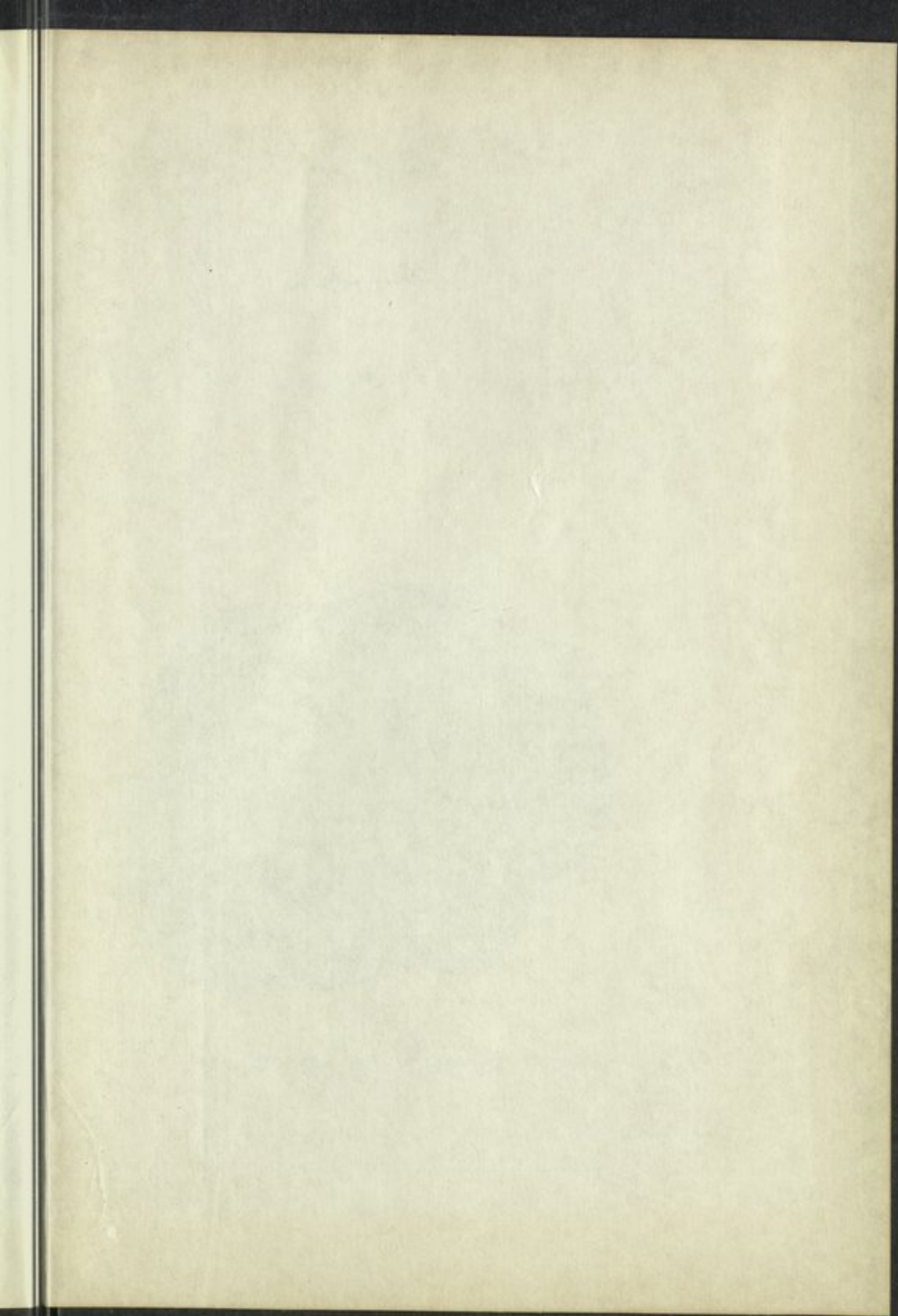
اعتذار

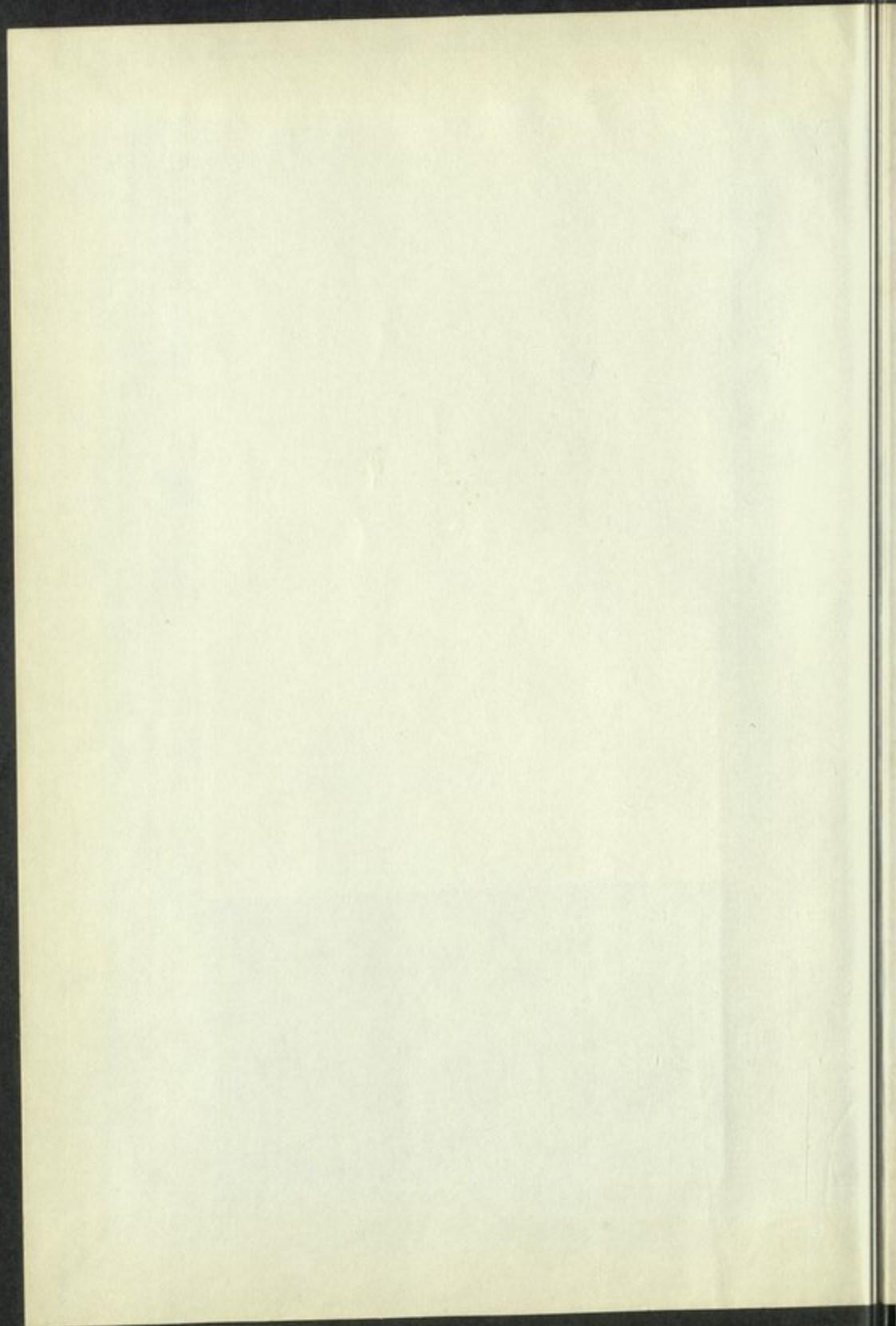
برغم الجهود التي بذلناها فقد وقعت بعض الاغلاط المطبعية التي
لا نخفى على القارئ اللبيب فعمدرة .



قطعة من اناء عليها صورة طير







DATE DUE

~~AFET LIB.~~

~~- 4 DEC 1989~~

J. Lib.

~~16 APR 1985~~

J. Lib.

~~29 AUG 1985~~

J. Lib.

J. Lib.

~~22 MAY 1985~~

~~18 OCT 1985~~

J. Lib.

~~24 JUL 1985~~

A. U. B. LIBRARY

354.536:T35JA:c.1

شباب، نعمان

الجنديّة في الدولة العباسيّة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01020750

354.536:T35JA

ثابت - نعمان

الجنديّة في الدولة العباسيّة

354.536
T35JA

208799

